من التراث

نساء بليغات

تأليف

محمد محمّد بدوي وهبة   ميساء محمد العمر

قدّم له

الأستاذ نذير محمّد مكتبي

مكتبة دار البيروتي

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

يطلب من
مكتبة دار البيروتي

دمشق - حلبوني - ٢٢١٣٩٦٦٥ - ص ب ٢٥٤١٤

الإهداء

إلى روح الطاهرة المباركة، السيدة الفاضلة ذاتِ الرأي الحصيف، وصاحبةِ المنبت الشريف، من رزق رسول الله حبّها، ومن كانت وزيرة صدق على الإسلام، أمِّنا سيدة نساء العالمين:

خديجة بنت خويلد

زوجِ الرسولِ وأمِّ أولاده وربةِ داره تلك التي خلّدَ التاريخ فعالها بأسطر من نور.

نقدم عملنا المتواضع هذا...

المؤلفان



كلمة الأستاذ

نذير محمد مكتبي

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين الذي آتاه الله جوامع الكلم ووهبه فصاحة القول وجمال النطق وحسن البيان فقال عن نفسه: «أوتيت جوامع الكلم» وقال: «أنا أعرب العرب ولدتني قريش ونشأت في بني سعد بن بكر فأنّى يأتيني اللّحْنُ؟».

وبعد:

لقد كانت اللغة وما تزال من أهم عناصر تكوين الأُمّة ومن أخطر أُسُس بنائها. فإذا ما ضعف لسانها وضاعت لغتها واستشرى الدخيل في ألسنة أفرادها؛ كان ذلك إيذاناً بضعفها وتمزيقها وانهيارها.

وحسبنا أن نعلم أنَّ دول الاستعمار الكبرى ـ التي مارست سيطرتها في العهود المتأخِّرة على كثير من الشعوب ـ كانت تعمل على قطع صلة تلك الشعوب بماضيها وتاريخ أسلافها بواسطة صَرْفها عن لغاتها الأصليّة وتجريدها من اللِّسان الذي يربط عواطفها وأفكارها بجذور ماضيها وأمجاد أسلافها، وذلك عن طريق فرض لغاتها لغاتٍ رسميّةً في حياة تلك الشعوب المُستعمَرة؛ لتبقى خاضعةً لها ضعيفةً أمام سلطانها. وبحسب قوّة لغات تلك الشعوب وضعفها يكون صمودها في وجه المستعمر وتماسكها أمام محاولاته وقراراته.

ولغتنا العربية المجيدة أثبتت في هذا المعترك قوّتها وصلابتها وعمق جذورها ومناعتها ضدّ جميع المحاولات والممارسات الاستعمارية القاضية

بتمزيق أُمّتنا وإضعاف شعوبها فكانت بذلك من عوامل قُوّة أُمّتنا وتماسكها في وجه أعدائها.

وحُقّ لهذه اللغة المجيدة، التي أكرمنا الله تعالى بها، فاصطبغت بها ألسنتنا، ونزل بها كتاب ربّنا ودستور خالقنا الذي ارتضاه لنا، أن تلقى منّا العناية والاهتمام البالغَين. ولا تنحصر تلك العناية وهذا الاهتمام في نطاق دراسة قواعدها وضوابطها وطرائق صوغ ألفاظها وتراكيبها وأنواع أساليبها ومسالك التعبير بها وإنّما يمتدّ هذا الاهتمام وتلك العناية إلى مظاهر لغتنا العربيّة وثمارها اليانعة المتمثّلة بالشعر والنثر.

والذي يزيد من قوّة اهتمامنا وحجم عنايتنا بلغتنا العربيّة عبر هذا المضمار المشرِق هو سُمُوّ قدرها على سائر لغات البشر. وحَسْبها في ذلك أنّها لغة القرآن الكريم ولسان أشرف المرسلين، وأنّها بيان أُمّةٍ عريقةٍ شاء الله سبحانه لها أن تكون بين الناس أُمّة الفصاحة ورائدة البيان الإنسانيّ.

ولا ريب في أنّ ثمّة دراساتٍ واسعةٍ وأبحاثاً جمّةً تناولت مظاهر لغتنا العربيّة الفصحى في شعرها ونثرها، وأنّ المكتبة اللغويّة العالميّة لتمتلىء بأمثال هذه الدراسات المبثوثة في طيّات الكتب والتآليف القديمة والحديثة، والتي سلك بها مؤلّفوها اتجاهات مختلفة في مضمار الشعر والنثر العربيّ منذ العصر الجاهليّ وإلى عصرنا الحديث.

وكان الأستاذان الكريمان محمد محمد بدوي وهبة وميساء محمد العمر ممن لاحظتهم العناية الإلهيّة في أن يكون لهما نصيب المشاركة في الاهتمام بمظاهر اللغة العربيّة الفصحى، واتخذا في ذلك سبيلاً طيّبة ومنحىً كريماً حيث وَجّها اهتمامهما إلى جمع رصيد جيّد من تراثنا الشعري والنثري الذي أبدعته قرائح نساء العرب انطلاقاً من العصر الجاهليّ وامتداداً إلى العصر الإسلاميّ. وقد تركّزت عنايتهما على إبراز الجانب البلاغيّ من لسان نساء العرب الجاهليات والمخَضْرمات والإسلاميّات. وتوخّيَا من ذلك أن يُبرِزا دورَ المرأة العربيّة وأثرها في الإبداع البيانيّ والجمال اللّسانيّ

وبلاغة القَوْل وسحر المنطق وروعة التعبير، وأنّ ذلك ليس حِكْراً على الرِّجال، وإنّما للنّساء منه نصيب وافر، ولَهُنّ فيه باعٌ طويل وعطاء غزير: فمنهنّ الشواعر المجيدات، والخطيبات المفوّهات، والمتكلِّمات البليغات اللواتي نَثَرْن دُرَرَ القول، ونَظَمْن قلائد الشِّعرِ، فجئنَ من سحر البيان وبلاغة اللِّسان بما يدهش الفصحاء ويعجب البُلَغاء، ويتطامن أمام روعته وحسنه فحول الأُدَباء من كتاب وشُعراء. وحسبك منهنّ تماضر بنت عمرو بن الشريد الملقَّبة بالخنساء التي برَّت بأشعارها شواعر وشعراء الرّثاء، فجاءت بالقصائد التي أشجت القلوب وأبكت العيون. فأين أنت من قولها باكيةً أخاها صَخْراً:

يـؤرّقنـي التـذكُّـرُ حيـن أُمسِـي	فأصبح قد بُليت بفَرْطِ نكسِ
على صخرٍ، وأيُّ فتىً كصخرٍ	ليـوم كـريهـةٍ وطعـان خَلْـسِ
فلـــم أر مثلَـــه رزْءاً لجـــنٍ	ولـــم أر مثلـــه رزءاً لإنْـــسِ
يذكّرني طلوعُ الشمس صَخْراً	وأذكـره لكـلِّ غـروب شمـسِ
ولولا كثرة الباكين... حولي	علـى إخـوانهـم لقتلـت نفسـي
ولكـــن لا أزال أرى عَجُـــولاً	وبـاكيـةً تنـوحُ ليـوم نَحْـسِ
أراهـا والهـاً تبكـي أخـاهـا	عشيّـة رزئـه أو غِـبَّ أمـسِ
ومـا يبكـون مثـل أخـي ولكـن	أُعِـزُّ النفـس عنـه بـالتـأسّـي
فـــلا والله لا أنســـاك حتـــى	أفـارق مهجتـي ويُشـق رَمْسـي
فقـد ودّعـت يـوم فـراقِ صَخْـرٍ	أبـي حسّـان لـذّاتـي وأُنسِـي
فيـا لهفـي عليـه ولهـف أُمّـي	أيصبحُ في الضّريح وفيه يُمْسِي

وحسبك منهنّ أمّ المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما التي أوتيت من الفصاحة والبيان ما جعلها تصوغ أروع الخطب فتأتي من فنون القَوْل وبليغ التعبير ما يُقصِّر عن مداه الخطيب المصقع والبليغ المُبدِع والمتكلِّم اللّوذعي. وإليك من بيانها الساحر وأدبها الرّفيع ما يقوم به الدليل القاطع والبرهان الساطع على ذلك. قالت من خطبة خطبتها بعد موت أبيها سيّدنا عمر بن الخطّاب رضي الله عنه:

«ولو كان غير الله أراد لأمالها إلى ابنه ولصيّرها في عَقِبه، ولم يخرجها من ذريّته، فأخذها بحقِّها وقام فيها بقِسْطها لم يؤده ثقلُها، ولم يبهظه حفظها، مشرّداً للكفر عن موطنه، ونافراً له عن وَكْره، ومثيراً له عن مجثمه، حتى فتح الله ـ عزّ وجلّ ـ على يديه أقطار البلاد ونصر الله بقَدَمه وملائكته تكنفه، وهو بالله معتصم وعليه متوكِّل، حتّى تأكّدت عُرى الحقِّ عليكم عقداً، واضمحلّت عُرى الباطل عنكم حَلاًّ. نوره في الدُّجنّات ساطع وضوؤه في الظلمات لامع قالياً للدنيا إذ عرفها، لافظاً لها إذ عَجَمها، وشانياً لها إذْ سَبَرها. تخطبه ويقلاها، وتريده ويأباها. لا تطلب سواه بَعْلاً، ولا تبغي سواه نجلاً. أخبرها أنّ التي يخطب أرغد منها عيشاً، وأنضر منها حُبُوراً، وأدوم منها سروراً، وأبقى منها خلوداً، وأطول منها أياماً، وأغدق منها أَرْضاً، وأنعت منها جمالاً، وأتمّ منها بُلَهْنِيَةً، وأعذب منها رُفَهْنِيَة».

تأمَّل، رعاك الله، هذا النصّ الخطّابيّ الذي رُصِفت فيه الجُمَل رَصْفاً، وتعانقت ألفاظ كلِّ جملة منها مع بعضها، فكانت شبيهةً بدُرٍّ نضيد وحبّات عِقْد فريد. وفي هذا الكتاب، الذي حظيت بشرف كتابة هذه المقدمة له، حديث عذب نضير عن جمٍّ غفير من اللّواتي صنعن صفحات الأدب المشرقات، ورفدن معينه الصافي بسلسال دافقٍ من العبارات والجمل المنظومات والمنثورات. ولا جرم أنّ العناية بتبويبه وتنظيمه والدقّة في جمع معلوماته ورَصْد فرائده كانتا كبيرتين تنمّان على مدى ما بذله مؤلِّفاه من جهد، وأمضيا في سبيل جمعه من وقت حتى تكامل على هذا النَّسَق الرائع والتكوين البديع ليغدوَ رافداً جديداً من روافد مكتبة تراثنا الأدبي ورصيدنا اللُّغَويّ.

والمؤلِّفان الكريمان هما غنيَّان عن التّعرِيف، وحسبي أن أقول فيهما: إنّ الأستاذ محمد محمد بدوي وهبة شابٌّ من أهل العلم والدعوة إلى الله سبحانه رصيدُه إخلاصٌ جمٌّ، وعلم نافع، ودأبٌ مستمرٌّ، ومطالعةٌ غزيرة، واندفاع في مضمار المعرفة وهو إلى جانب ذلك صحفيّ ماهر يُجيد

التعليق، ويُحسِن التعبير، وله قلم طيِّب يُؤْثِر الحقَّ والإنصاف، ويجانب الزيف والتزوير والبهتان. أتمنّى له مستقبلاً باهراً وتقدّماً زاهراً.

وأما الأستاذة ميساء محمد العُمَر فهي فتاة مسلمة ذات دين وإيمان، وعلم وعرفان، تتمتّع بشغف شديد بلغة القرآن، وهمّة عالية في البحث والمطالعة، وحسبها أن قامت برَصْد دقيق لواقع حياة نساء بليغات في العصرَيْن الجاهليّ والإسلاميّ، وأَنْ شاركت في جمع نصوصٍ من بلاغتهنّ، وترتيبهاعلى نَسَق يعجب المتعلِّم الدّارِس، ويدهِش الأديب المُمارس. أتمنّى لها ما تمنَّيْت لشريكها في هذا المؤلَّف القيِّم من ازدهار المستقبل وسموِّ التقدُّم.

وفي نهاية المطاف أشكر للمؤلِّفَين الكريمين رغبتهما في أن طلبا منّي كتابة هذه المقدّمة فشَرُفت بذلك. وأسأل الله سبحانه أن يكون عملهما في هذا الكتاب خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون باكورة أعمالٍ أُخَر في مضمار العِلْم والأدب والبيان. وحسبهما أن يثيبهما الله تعالى على إخلاصهما فيه توفيقاً وسداداً، فإنّه سبحانه وتعالى وليّ المخلصين.

والحمد لله رب العالمين

كتبه

نذير محمد مكتبي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

نحمدك يامن أنزلت القرآن، فأعجزت به فرسان البديع والبيان، ونصلي ونسلم على نبيك العدنان، أفصح من نطق بلسان.. وبعد:

فإننا لا نرى علماً هو أرسخ أصلاً وأبسق فرعاً وأعذب ورداً وأكرم نتاجاً وأنور سراجاً من علم البيان، الذي لولاه لم نر لساناً يحوك الوشي ويصوغ الحلي ويلفظ الدرَّ وينفث السحر.. وصدق رسول الإسلام ﷺ حيث قال: «إن من البيان لسحراً» ومن المعلوم أن العرب أمة شاعرة، فقد كان الشعر عندهم عندما أشرق الإسلام سمة من سماتهم القومية، وتتمثل مظاهر شاعرية العرب في ميلهم إلى سماع الشعر وتذوقه وفي نبوغ بعضهم في إجادة قرضه وفي إعلاء مكانة الشاعر النابه بينهم، وفي إذاعة الشعر ونشره وروايته.. وليست هذه المكانة للشعر فقط بل للنثر منزلة مرموقة عندهم، ومن تتبع أخبار خطباء العرب وأهمية خطبهم وجد تلك المنزلة السامية للكلمة عند العرب.. وليس هذا حكراً على الرجال، إنما نبغت في هذا نساء ربما فقن بعض الرجال في بعض المقال.. على أننا لم نجد امرأة تتكسب بشعرها كما فعل الرجال، إنما تولد الشعر عندها مباشرة نتيجة لانفعال قوي وتأثير مباشر ومن ذلك أن المرأة محدودة بعواطفها الخاصة، فأكثر ما تقول الشعر والبيان يكون في رثاء الولد والزوج والقريب، أو في معاني الشوق للحبيب، أو الحسرة على الغائب والتطلع إلى الأمل.. وقلما تعنى بالقضايا العامة من وطنية أو دينية كما يعنى الرجال، ومن ذلك ندرة الإنتاج في غالب الأحوال، فقلما نرى امرأة كالخنساء استقلت بديوان كامل.

عملنا في الكتاب:

ونحن نرصد في عملنا هذا «نساء بليغات» عدداً من نساء جاهليات ومخضرمات وإسلاميات اشتهرن بفصاحة في نثر أو شعر، إذ أننا نطالع في أدب النساء كثيراً من صنوف القول من مدح وهجاء وغزل وحكمة ومن نصيحة وإشارة ووصف ورثاء، ومنهن من امتزن بجودة الشعر ومنافسة الشعراء الكبار في متانة الأسلوب وقوة البيان، مثل الفارعة وأم الضحاك وليلى العامرية. .

* إننا نجد في متفرقات كتب الأدب أن مؤلفيها عندما يتحدثون عن شاعرة أو فصيحة إما أن يهملوا قبساً من سيرها وحياتها وإما أن يتركوا ترجمتها ونسبها. . لذلك حاولنا ـ قدر الإمكان ـ أن نسوق لكل واحدة نسبها وترجمتها ثم سرد أهم النقاط البارزة في مسيرتها الحياتية والأدبية وقد حرصنا على حذف أبيات الخلاعة والأدب المكشوف، كما حذفنا أشعار ونثر الجواري والمغنيات وقمنا بشرح بعض الكلمات وضبطها بالشكل، وأشرنا إلى المراجع في أماكنها من كل صحيفة، كما قارنا بين الأشعار الواردة في المصادر التي توفرت لدينا وميزناها وأشرنا إلى رواياتها واختلاف بعض ألفاظها، وقد حرصنا على عدم ذكر أي خبر إلا بإسناده ودليله واستبعدنا كل خبر يخل بالعرف ويخدش الصورة الناصعة لديننا الحنيف. .

تحديد العصر الجاهلي:

ابتدأنا بالعصر الجاهلي. . وقد يتبادر للذهن أن العصر الجاهلي هو كل ما سبق العصر الإسلامي من حقب زمنية. . ولكن الباحثين في الأدب الجاهلي لا يتسعون في هذا الزمن به هذا الاتساع، فهم لا يعودون إلا إلى ما قبل البعثة النبوية بمائة وخمسين عاماً فقط، وبذلك يكون ابتداء العصر الجاهلي من زمن استقلال العدنانيين عن اليمنيين، من منتصف القرن الخامس للميلاد وينتهي بظهور الإسلام سنة /٦١٠/ م وهذه هي الحقبة

التي تكاملت للغة العربية منذ أوائلها خصائصها، والتي جاءنا عنها الأدب الجاهلي، وقد لاحظ هذا بوضوح الجاحظ، فقال: «أما الشعر العربي فحديث الميلاد صغير السن، أول من نهج سبيله وسهّل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له ـ إلى أن جاء الله بالإسلام ـ خمسين ومائة عام وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام.» وهذه ملاحظة هامة ودقيقة، لأن ما قبل هذا التاريخ في الأدب العربي مجهول.

والجاهلية التي أطلقت على هذا العصر ليست مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم ونقيضه، إنما هي مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب فهي تقابل كلمة الإسلام التي تدل على الخضوع والطاعة لله جل جلاله وما يطوى فيها من سلوك خلقي كريم. . .

مكانة المرأة في العصر الجاهلي:

ولا بد لنا هنا من إلقاء الضوء على مكانة المرأة الاجتماعية في هذا العصر. . فقد وقع عليها في الجاهلية حيف وظلم فكانت ممتهنة في كثير من أحوالها، حيث كان بعض العرب يئدون البنات خوفاً من العار!! والبعض لا يورثوهن!! تعمل لتأكل وتعيش وليس لها أية قيمة عائلية كريمة. . ويذهب الدكتور شوقي ضيف إلى أن المرأة كان لها قدرها عند بعض العرب كما كان لها كثير من الحرية، ولم تكن مهملة. . ويقسّم مجتمع النساء إلى إماء وحرات. . ويقول: إن الحرات كنَّ يقمن بطهي الطعام ونسج الثياب وإصلاح الخباء إلا إذا كنَّ من الشريفات المخدومات فإنه كان يقوم لها على هذه الأعمال بعض الجواري. . وأما الأصفهاني في كتابه الأغاني فإنه يقول: إن دلائل كثيرة تدل على أن بنات الأشراف والسادة كان لهن منزلة سامية فكن يخترن أزواجهن ويتركنهم إذا لم يحسنوا معاملتهن، وبلغ من منزلة بعض شريفاتهن أنهن كن يحمين من يستجير بهن

ويرددن إليه حريته إذا استشفع بهن على نحو ما ردت فكيهة إلى السليك حريته حين وقع أسيراً في يد عشيرتها من بني غوار وكانوا يعدونها جزءاً لا يتجزأ من عرضهم. . وكانوا يصحبونهن معهم في الحرب وكن يشددن من عزائمهم بما ينشدن من أناشيد حماسية، حتى إذا قتل فارس ندبنه ندباً حاراً حاضات على الأخذ بثأره والانتقام من قتلته، وتلمع في هذا الجانب أسماء كثيرات على رأسهن الخنساء، ومراثيها في أخويها صخر ومعاوية مشهورة. .

إذاً فللمرأة تأثير كبير شعراً ونثراً وقد شهد للمرأة كبار العظماء في الجاهلية. .

المخضرمات:

بعد العصر الجاهلي يأتي عصر النور والهداية، عصر الإسلام. . وفيه عرضنا لبليغات شهدن الجاهلية والإسلام فهن مخضرمات كخديجة زوج رسول الله ﷺ والخنساء وهند بنت عتبة وغيرهن. .

وفي هذا العصر توسعنا أكثر لما حملته حياتهن من معان دقيقة إبّان أن سطع عليهن نور الإسلام وأشرقت سريرتهن بضوء اليقين فظهر هذا جلياً على ألسنتهنّ في شعرهن ونثرهن. . فلقد ذخرت كتب الأدب بما نظم من أشعار في صدر الإسلام وهي أشعار كثيرة نقرؤها في كل ما يصادفنا من أحداث العصر، فليس هناك حدث كبير إلا ويواكبه الشعر ويرافقه، وظل النظم مزدهراً في هذه الفترة، وقام رجال ونساء يذودون عن الدعوة ويمجدونها ويرصدون أحدثها برائع بيانهم. . وتلوح لنا أسماء كثير منهم حملوا على الظلم ودافعوا عن حياض الدين الجديد.

كيف عامل الإسلام المرأة؟. .

والإسلام نظم حقوق المرأة ورعاها خير رعاية، إذ كانت مهضومة الحقوق في الجاهلية فردَّ إليها حقوقها وجعلها كفؤاً للرجل، لها ما له من

الحقوق، وكفل الإسلام للمرأة كرامتها فأجلّها ورفع قدرها، حتى لنراها في الصدر الأول من العصر الإسلامي تشارك في الأحداث السياسية وغيرها. . ولنقرأ ما يقوله الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي عن معاملة الإسلام للمرأة ومكانتها فيه حيث يقول: المرأة اشتركت مع الرجل في كل المرافق الثقافية والاجتماعية والسياسية، اشتركت مع الرجل في الحروب، وجدت في كثير من الغزوات بقطع النظر عن المهام التي كانت تؤديها، اشتركت مع الرجل في الساحات والميادين الثقافية، المرأة مارست الفتوى، المرأة تمارس القضاء فيما يحق لها أن تشهد فيه، المرأة شهدت مجلس الشورى، تستشار فتشير فتطبق مشورتها. .

وكما كان في الجاهلية رجال لانت لهم أعواد المنابر وطاعت لهم القوافي فكانوا ملوك الكلام والبيان، ثم أكرمهم الله تعالى بهذا الدين الجديد فدخلوا الإسلام ودخل الإيمان قلوبهم واستحثهم رسول الإنسانية عليه الصلاة والسلام أن ينصروه بألسنتهم، فكانوا برداً وسلاماً على قلوب المؤمنين وعلقماً وجمراً في حلوق أعدائهم. . كما كان أولئك الرجال فقد وقفت بعض النسوة اللاتي كن شاعرات مجيدات في الجاهلية وأخذن ينظمن شعراً حفظته لهن كتب التاريخ والأدب صفحات مشرقة خالدة. .

ولعلنا نقرأ عن شاعرات فقن الفحول من الرجال لما في شعرهن من قوة الرجولة ورقة الأنوثة وتعدد أغراض الشعر. .

فالإسلام لم يثبط الشعر بل كان يرتضيه ويستحسنه. .

الإسلاميات:

ثم نأتي إلى القسم الأخير من كتابنا هذا وهو الذي نعرض فيه لنساء بليغات إسلاميات أمثال عائشة بنت الصديق وفاطمة بنت سيدنا محمد ﷺ ورضي الله عنهن. . وفي الحديث عنهن وجدنا متعة وفائدة وعبرة وعظة فاستطردنا بعض الشيء في النسب والنشأة والترجمة والسيرة. .

لقد أذهل القرآن الناس جميعاً ببلاغته وإعجازه، ونشأ جيل جديد يتلو آيات الله ويستذوقها فيضيف إلى بلاغته روعة وسحراً جديداً. . لذلك نقرأ الشعر والأدب في العصر الإسلامي فنشم رائحة الإيمان من بين سطوره، ونحسُّ سحر البيان جلياً في كلماته ونسجه. . ولم تتقاعس النساء في هذا الميدان بل تبرز أسماء كثيرات من الشاعرات البليغات ممن كان كلامهن وثيقة تاريخية هامة أرخت لتلك المدة وعرفتنا بالكثير من أحداثها. .

وفي الختام، نسأل الله القدير أن ينفع بهذا الكتاب وأن يكتب لنا الأجر والمثوبة، وأن يتجاوز عن زلاتنا وتقصيرنا إنه سميع مجيب.

* * *



آمنة بنت وهب

«أم الرسول ﷺ»

أحببنا أن نبدأ بذكرها كرامة لابنها سيد الخلق وحبيب الحق محمد ﷺ، ولهذا سنفصل بعض الشيء في الحديث عنها:

نسبها:

هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن نضر[1].

وهذا يشير إلى أن الرسول عليه الصلاة والسلام أشرف ولد آدم حسباً، وأفضلهم نسباً، من قبل أبيه وأمه، وقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «ما ولدتني بغي قط، منذ كنت في صلب آدم، فلم تزل تنازعني الأمم كابراً عن كابر حتى خرجت في أفضل حيين في العرب: هاشم وزهرة».

أخلاقها:

كانت ـ كما ذكرنا ـ أفضل امرأة في قريش نسباً ومكانة، امتازت في الذكاء وحسن البيان، ويؤخذ من اللهجة التي كانت تتكلم بها أن أصلها من المدينة، وأن إخوتها كانوا يقطنون المدينة. وقال ابن قتيبة: لا يعلم أنه كان لآمنة أخ، فيكون خال النبي ﷺ، ولكن بني زهرة يقولون: نحن أخوال النبي لأن آمنة منهم.

كانت آمنة زهرة قريش اليانعة الشابة وقد ظلت في خدرها محجبة عن العيون.. مصونة عن الابتذال.. حتى بات الرواة لا يكادون يتبينون

---

(١) انظر سيرة ابن هشام (١/ ١١٠).

ملامحها. . أو يتمثلونها في صباها المنير. . وإن لمحتها العيون رأتها في حسنها وبهائها في جمال الأمهات. . والبنات. . أو الأخوات. . أو العمات. . أو الخالات.

زواج عبدْ الله من آمنة:

كان عبد المطلب جد النبي ﷺ قد نذر لئن ولد له عشرة نفر، لينحرن أحدهم لله عند الكعبة وقد توافى له ذلك العدد وذكر النذر وأراد أن يبر به. ولما ضرب بالقداح على أولاده خرج القدح على ابنه عبدالله وهمَّ بذبحه ولكن قريشاً منعته قائلة: والله لا تذبحه أبداً حتى تعذر فيه، وأشاروا إليه أن يستشير عرافة الحجاز فيرى ما تقول، فلما انطلقوا إليها أشارت أن يفتدى بالإبل، فعادوا وضربوا القداح على عبدالله والإبل، وقد كانت دية الرجل عندهم عشراً من الإبل فما زالوا يزيدونها حتى بلغت مائة فخرجت القداح على الإبل وأعادها ثلاث مرات وكانت تخرج في كل مرة على الإبل وهكذا نجا عبدالله من الذبح.

ثم انصرف عبد المطلب آخذاً بيد ابنه عبدالله فمرا على امرأة من بني أسد يقال لها رقية بنت نوفل تكنى: أم قتال وهي أخت ورقة بن نوفل فقالت له حين نظرت إلى وجهه: أين تذهب يا عبدالله؟ قال: مع أبي، قالت: لك مثل الإبل التي نحرت عنك وقع عليّ الآن، قال: أنا مع أبي ولا أستطيع خلافه ولا فراقه[1] بعد ذلك خرج به أبوه عبد المطلب إلى

---

(١) يقال إن عبد الله قال حين ذاك:

أمـا الحـرام فـالحمـام دونـه ... والحـل لاحـل فـأستبينـه
فكيـف بـالأمـر الـذي تبغينـه ... يحمـي الكـريـم عـرضـه ودينـه

وكانت قرأت نور النبوة في وجهه فدعته إلى نكاحها فأبى فلما أبى قالت أبياتاً منها:

إنـي رأيـت مخيلـة نشـأت ... فتـلألأت بحنـاتـم القطـر
لله مـا زهـريـة سلبـت ... منـك الـذي استلبت ومـا تـدري

ـ انظر سيرة ابن هشام.

وهب بن عبد مناف وهو يومئذ سيد بني زهرة نسباً وشرفاً فزوجه ابنته آمنة بنت وهب.

آمنة يشع بين عينيها نور النبوة:

بعد زواج عبدالله من آمنة حملت برسول الله ﷺ ثم خرج من عندها عبدالله فأتى المرأة التي عرضت عليه زواجها فقال لها: ما لك لا تعرضين عليّ اليوم ما كنت عرضت عليّ بالأمس؟ قالت له: فارقك النور الذي كان معك بالأمس وانتقل إلى آمنة، فليس (لي) بك اليوم حاجة. وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل ـ وكان قد تنصر واتبع الكتب أنه سيكون في هذه الأمة نبي.

آمنة تبشر برسول الله ﷺ:

تحدث آمنة عن نفسها فتقول: أتيت حين حملت بمحمد فقيل لي: إنك قد حملت بسيد العالمين، وخير هذه الأمة، فإذا وقع على الأرض فقولي: أعيذه بالواحد، من شر كل حاسد، ثم سمِّه محمدا. ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى، من أرض الشام. وتحدث أيضاً أنها لم تجد ثقلاً من حمله ﷺ ولا وحماً ولا ألماً، ولم تجد عند ولادته دماً أصلاً، وقد ولد ﷺ مختوناً مسروراً رافعاً أصبعه إلى السماء ساجداً على الأرض.

وقد كان النبي ﷺ يقول: «أنا دعوة أبي إبراهيم» ومعناه: أن الله تعالى لما قضى أن يجعل محمداً ﷺ خاتم النبيين، وأثبت ذلك في أم الكتاب، وأنجز هذا القضاء، بأن قيض إبراهيم عليه السلام للدعاء ببعثته ليكون إرساله إياه بدعائه كما يكون تقلبه من صلبه إلى أصلاب أولاده وأما قوله ﷺ: «وبشارة عيسى بي»، فهو أن الله تعالى أمر عيسى عليه السلام فبشر به قومه، فعرفه بنو إسرائيل قبل أن يخلق.

وأما قوله ﷺ: «ورؤيا أمي التي رأت»[1] فإنما عنى به والله أعلم:

---

(١) روى الإمام أحمد والبيهقي والحاكم: عن العرباض بن سارية صاحب رسول الله ﷺ أنه قال: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «إني عبد الله وخاتم النبيين، وآدم لمجندل في=

ما حدث ابن إسحاق حيث قال: فكانت آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ تحدث أنها أتيت حين حملت بمحمد ﷺ فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض فقولي:

أعيـــذه بـــالـــواحـــد   مـــن شـــر كـــل حـــاســـد
مـــن كـــل بـــر عـــاهـــد   وكـــــل عبـــــد رائـــــد
يـــــرود غيـــــر رائـــــد
فإنه عبد الحميد الماجد   حتى أراه قد أتى المشاهد

وفاة آمنة:

كانت آمنة تخرج كل عام إلى المدينة تزور قبر زوجها وقد كانت وفية له في حياته وبعد مماته ولما بلغ النبي ست سنوات قدمت المدينة فزارت القبر وأخواله من بني عدي بن النجار وفي طريق العودة في موضع بين مكة والمدينة يسمى «الأبواء» وافتها المنية.

آمنة تودع ابنها محمداً ﷺ:

وقد نسب إليها قولها، وهي على فراش الموت مخاطبة ابنها:

بـــارك فيـــك الله مـــن غـــلام   يا ابن الذي في حومة الحمام[1]
نجـــا بعـــون الملـــك العـــلام   فـودي غـداة الضـرب بـالسهـام
بمـــائـــة مـــن إبـــل ســـوام   إن صح ما أبصرت في المنام
فـأنـت مبعـوث إلـى الأنـام   تبعـث فـي الحـل وفـي الحـرام

= طينه وسأخبركم عن ذلك دعوة أبي ابراهيم. وبشارة عيسى بي. ورؤيا أمي التي رأت».
الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ١٢٧ ـ ١٢٨) والبيهقي في دلائل النبوة (١/ ٨٠) والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠٠) وقال: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٢٣) وقال: رواه أحمد والطبراني والبزار وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حباب.

(١) الأبيات في «الدر المنثور»: ١٦

تبعــث بــالتــوحيــد والإســلام ديــن أبيــك البــر إبــراهــام
فـــالله ينهـــاك عـــن الأصنـــام أن لا تـــواليهـــا مـــع الأقـــوام

وقد ورد أنها قالت لرسول الله ﷺ حين داركتها الوفاة: يا محمد كن رجلاً فإني سأموت. وكان النبي رجلاً من طفولته إلى مماته. بما تحمله الكلمة من معنى.

* * *

أسماء المرية

هي شاعرة من نجد، تزوجها رجل من تهامة ونقلها إليها، فحنت إلى عيشها السابق وجوها الذي ألفته وسألت زوجها قائلة له: ما فعلت ريح من نجد كانت تأتينا يقال لها: الصّبا، ما رأيتها ها هنا؟ فأجابها الزوج: يحجزها عنا هذان الجبلان. فوقفت تقول أبياتاً ذكر «كحالة» ثلاثة أبيات منها فقط، وهي:

أيا جبلي وادي عريعرة[1] التي ... نأت عن ثوى قوم وحمّ قدومها

ألا خليا مجرى الجنوب لعله ... تداوى فؤادي من جواه نسيمها

وقولا لركبان تميمية غدت ... إلى البيت ترجو أن تحط جرومها[2]

وأضاف صاحب كتاب شاعرات العرب هذه الأبيات:

أيا جبلي نعمان بالله خليّا ... نسيم الصّبا يخلص إليّ نسيمها

فإنّ الصّبا ريح إذا ما تنفّست ... على قلب محزون تجلّت همومها

أجد بردها أو تشف منّي حرارة ... على كبد لم يبق إلاّ صميمها

وكيف تداوي الريح شوقاً مماطلا ... وعيناً طويلاً بالدّموع سجومها

بأنّ بأكناف الرّغام غريبة ... مولّهة ثكلى طويلاً نئيمها[3]

مقطّعة أحشاؤها من جوى الهوى ... وتبريح شوق عاكف ما يريمها

---

(١) في أعلام النساء: عريعرة: ماء لبني ربيعة، وجاء في شاعرات العرب: قال ياقوت: نخل لبني ربيعة باليمامة، وقال الأصمعي: هي بين الجبلين والرمل وأنشد البيت...

(٢) جرومها: جمع جرم، وهو الذنب.

(٣) النئيم: الصوت الضيف الخفي أياً كان.

آمنة بنت عتيبة

«أم البنين»

هي آمنة بنت عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربعية. شاعرة مجيدة من شواعر العرب في الجاهلية يمتاز شعرها بالبلاغة والرصانة. أما أبوها فقد كان فارس بني تميم وله مواقف مشهودة في أيام العرب مثل يوم الغبيط ويوم المخطط. وقد قتل في يوم خوّ بواد لبني أسد، ويوم خوّ كان لبني أسد على بني يربوع، قتل أبو آمنة في ذلك اليوم فقامت ترثي أباها في أبيات ذكرت في العقد الفريد[1] وفي معجم البلدان لياقوت الحموي[2] منها:

تـروّحنـا مـن اللّعبـاء[3] عصـرا ... فـأعجلنـا آلاء لاهـة أن تـؤوبـا

علـى مثـل ابـن ميّـة فـانعيـاه ... بشـق نـواعـم البشـر الجيـوبـا[4]

وكـان أبـي عتيبـة سمهـريّـا ... فـلا تلقـاه يـدّخـر النّصيـب[5]

ضـروبـا للكمـيّ إذا اشمعلّـت ... عـوان الحـرب لا ورعـا هيـوبـا[6]

---

(١) العقد الفريد (٥/ ٢٥٠).

(٢) معجم البلدان (٥/ ١٨).

(٣) اللعباء: قيل هي كثير الحجارة بحزم بني رعال في أكناف الحجاز عند جبال غطفان وقيل هي ماء سماء.

(٤) البشر: جمع بشرة وهي ظاهر الجلد عند الإنسان، والجيب في القميص، وكانت للجاهلين عادة سيئة وهي شق الجيب وقد أبطلها الإسلام.

(٥) السمهري: الرمح الصليب العود، والكلام على التشبيه.

(٦) الكمي: الشجاع المدجج بالسلاح، واشمعلت الغارة في العدو: شملت وانتشرت.

أروى بنت حرب

هي أم جميل بنت حرب ابن أمية، عمة معاوية وأخت أبي سفيان، زوجة أبي لهب عم النبي ﷺ وقد كانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده وكانت من أشد الناس معارضة لدعوة الإسلام.

وأكثرهن إيذاء لرسول الله ﷺ، وقد كنيت بـ(حمالة الحطب) ذلك لأنها كانت تحمل الشوك فتطرحه على طريق رسول الله ﷺ حيث يمر، وفيها وفي زوجها نزل قول الله تعالى: ﴿تبت يدا أبي لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب * سيصلى ناراً ذات لهب * وامرأته حمالة الحطب * في جيدها حبل من مسد﴾[١].

وقد كانت تعيّر النبي ﷺ بالفقر، ويذكر ابن هشام في سيرته حادثة عن أروى هذه فيقول «قال ابن إسحاق: فذكر لي: أن أم جميل: حمالة الحطب، حين سمعت ما نزل فيها، وفي زوجها من القرآن، أتت رسول الله ﷺ، وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق، وفي يدها فهر[٢] من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ، فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر: أين صاحبك، فقد بلغني أنه يهجوني[٣]، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما والله إني لشاعرة، ثم قالت[٤]:

---

(١) سورة المسد جزء (٣٠).

(٢) الفهر: حجر على مقدار ملء الكف والمعروف في الفهر التأنيث إلا أنه وقع هنا مذكراً.

(٣) لعلها تقصد ما نزل فيها من القرآن.

(٤) ذكر ذلك كحالة في أعلام النساء على أنه من كلامها.

مـــذممـــا عصينـــا وأمـــــره أبينـــــا

ودينـــــــه قلينـــــــا[١]

ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله أما تراها رأتك؟ فقال: ما رأتني، لقد أخذ الله ببصرها عني[٢]. اهـ.

وقد كان المشركون يسمّون رسول الله ﷺ «بالمذمم»، ثم يسبونه، فكان رسول الله ﷺ يقول: ألا تعجبون لما يصرف الله عني من أذى قريش، يسبون ويهجون مذمماً، وأنا محمد. ﷺ.

ولأم جميل شعر ذكر في كتب الأدب منه:

زيـــن العشيـــرة كلّهـــا فـــي البـــدو منهـــا والحضـــر

ورئيهـــا فـــي النّـــائبـــا ت وفي الرّحال وفي السفر

ورث المكــــارم كلّهـــا وعـــلا علـــى كـــل البشـــر

ضخـــم الـــدّسيعـــة مـــاجـــد يعطـــي الجـــزيـــل بـــلا كـــدر

وكانت أروى قد قامت دون ضرار بن الخطاب في الجاهلية فمنعته من أعدائه، وقد شكر لها ضرار هذا الصنيع وقتها.

ولما قام عمر بن الخطاب أتته أم جميل، وهي تظن أن ضرار أخوه، فلما انتسبت إليه وذكرته بالقصة، قال: إني لست بأخيه إلا في الإسلام وهو غاز في سبيل الله، وقد عرفت منتك عليه، وأعطاها على أنها ابنة سبيل، وهكذا الإسلام حوى مكارم الأخلاق.

---

(١) قلينا: أبغضنا، قال تعالى: ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾.

(٢) سيرة ابن هشام جزء (١) (ص٣٥٥).

أمامة بنت ذي الإصبع

هي أمامة بنت ذي الإصبع العدواني الفارس والشاعر المشهور، كانت أختاً لثلاث بنات كلهن شاعرات، وقد كان أبوها هرماً كبيراً، فرأته يوماً قد سقط بعد أن حاول النهوض متوكئاً على العصا فبكت.

فأنشد أبوها أبياتاً منها:

جزعت أمامة أن مشيت على العصا ... وتـذكّـرت إذ نحـن مـن الفتيـان
لا تعجبـنّ أمـام مـن حـدث عـرا ... فـالـدّهـر غيّـرنـا مـع الأزمـان

وقد اتفق أن ذي الإصبع كان يرفض تزويج بناته الأربع غيرة، فاستمع إليهن مرة وهن لا يعلمن، فإذا بهن يتناجين بأمانيهن، فقالت كبراهنّ:

ألا ليت زوجي من أناس ذوي غنى ... حديث الشّباب طيب النّشر والذكر[١]
لصـوق بـأكبـاد النّسـاء كـأنّـه ... خليفة جان لا يقيم على هجر[٢]

فقلن لها: أنت تحبين رجلاً ليس من قومك.

فقالت الثانية:

ألا ليـت يعطـي الجمـال بـديئـة ... له جفنة تشقى بها النيب والجزر
له حكمات الدّهر من غير كبرة ... تشين فلا فانٍ ولا ضرع غمر[٣]

فقلن لها: أنت تريدين سيداً.

---

(١) «في مختار الأغاني»: «طيب الريح والعطر».
(٢) «في مختار الأغاني»: «طيب بأدواء... لا ينام على وتر».
(٣) الحكمات: جمع حكمة وأصلها الحديد في اللجام تمنع الفرس من مخالفة راكبه والمراد بها هنا التجارب، لأنها تمنع من ارتكاب مالا يليق، والضرع: الضعيف، والغمر، مثلث الغين: من لم يجرب الأمور.

فقالت الثالثة:

ألا هــل تــراهــا مــرّة وحليلهــا ... أشمّ كنصل السّيف عين المهنّد[1]

عليمــاً بــأدواء النســاء ورهطــه ... إذا ما انتمى من أهل بيتي ومحتدي[2]

فقلن لها أنت تريدين ابن عم لك.

وقلن للصغرى: ما تقولين؟ فقالت: لا أقول شيئاً، فقلن: لا ندعك، وذاك أنك اطلعت على أسرارنا وتكتمين سرك؟ فقالت: زوج من عود خير من قعود! فخطبن، فزوجهن جمع[3]، ثم أمهلهن حولاً، ثم زار الكبرى، فقال لها: كيف رأيت زوجك؟ قالت: خير زوج يكرم أهله، وينسى فضله، قال لها: فما مالكم؟ قالت: الإبل، قال: وما هي؟ قالت: نأكل لحمانها مزعا، ونشرب ألبانها جرعاً، وتحملنا وضعفتنا معاً، فقال لها: زوج كريم، ومال عميم. ثم زار الثانية فقال لها: كيف رأيت زوجك؟ قالت: يكرم الحليل[4]، ويقرب الوسيلة. قال: فما مالكم؟ قالت: البقر، قال: وما هي؟ قالت: تألف الفناء، وتملأ الإناء، وتودك السقاء، ونساء مع نساء. قال لها: رضيت وحظيت. ثم زار الثالثة فقال لها: كيف رأيت زوجك؟ فقالت: لا سمح بذر، ولا بخيل حكر[5]، قال: فما مالكم؟ قالت: المعزى، قال: وما هي، قالت: لو كنا نولدها فطماً[6]، ونسلخها أدما[7]، لم نبغ بها نعما فقال لها: جذو مغنية.

ثم زار الرابعة فقال لها: كيف رأيت زوجك؟ فقالت: شر زوج، يكرم

---

(١) في «مختار الأغاني»: «ألا هل أراها.... غير مبلد».

(٢) في «مختار الأغاني»: لصوق بأكباد النساء وأصله.

(٣) جمع: أي جميعاً.

(٤) الحليل: المقصود بها الزوجة. والوسيلة: الغاية المنشودة.

(٥) الحكر هنا: المقتر.

(٦) فطم: بضم الفاء والطاء: جمع فطيم وهو الذي فصلته أمه عن رضاعها.

(٧) الأدم: جمع أديم وهو الجلد المدبوغ.

نفسه، ويهين عرسه. قال لها: فما مالكم؟ قالت: شر مال، الضأن، قال لها: وما هن؟ قالت: جوف[1] لا يشبعن، وهيم لا ينقعن[2]، وصم لا يسمعن، وأمر مغويتهن يتبن، فقال: «أشبه امرؤ بعض بزه»[3] فأرسلها مثلاً. ولابنة ذي الإصبع شعر في الرثاء، فقد قالت ترثي قومها:

كم من فتى كانت له ميعة ... أبلج مثل القمر الزاهر[4]
قد مرت الخيل بما فاته[5] ... كمرغيث لجب ماطر
قد لقيت منهم وعدوانها ... قتلا وهلكا آخر الغابر
كانوا ملوكاً سادة في الذرى[6] ... دهراً لها الفخر على الفاخر
حتى تساقوا كأسهم بينهم ... بغياً[7] فيا للشّارب الخاسر
بادوا فمن يحلل بأوطانهم ... يحلل برسم مقفر داثر

* * *

(١) جوف: عظمية الأجوف.
(٢) الهيم: العطاش. وقولها: لا ينقعن، أي: لا يروين.
(٣) يضرب مثلاً للمتشابهين أخلاقاً.
(٤) الأبيات في «مختار الأغاني»: (٣/ ٨٢) طبع المكتب الإسلامي والميعة: أول الشباب.
(٥) في أعلام النساء: بما فاتهم.
(٦) في أعلام النساء: في الورى.
(٧) في أعلام النساء: سقياً.

برة بنت عبد المطلب

هي برة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أمها فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم[1]. تزوجها في الجاهلية عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، فولدت له أبا سلمة بن عبد الأسد وقد شهد بدراً وهو زوج أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة قبل ـ زواج ـ رسول الله ﷺ.

ثم تزوجت أبا رهم بن عبد العزى بن أبي قيس فولدت له أبا سبرة بن أبي رهم، وقد شهد بدراً كذلك[2] وبرة هي شقيقة عبدالله والد النبي ﷺ[3]. قال الحافظ الذهبي بعد ذكرها مع عمات النبي ﷺ: لم تدرك المبعث وإنما ذكرتها استطراداً[4] ويذكر ابن هشام في سيرته فيقول: قال ابن إسحاق حدثني محمد بن سعيد بن المسيّب أن عبد المطلب لما حضرته الوفاة وعرف أنه ميت جمع بناته، وكنّ ست نسوة: صفية، وبرة، وعاتكة، وأم حكيم البيضاء، وأميمة وأروى. فقال لهن ابكين عليّ حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت[5] وهكذا قامت كل واحدة ترثي أباها على حياة عينه، وقامت من بينهن برة فقالت:

أعينـــي جـــودا بـــدمـــع درر   علـى طيـب الخـم والمعتصـر[6]
علـى مـاجـد الجـد واري الـزنـاد   جميـــل المحيـــا عظيـــم الخطـــر

(١) الطبقات لابن سعد (٨/ ٤٥).
(٢) المصدر نفسه.
(٣) تاريخ الطبري (٢/ ٢٣٩).
(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/ ٢٧٣).
(٥) سيرة ابن هشام (١/ ١٦٩).
(٦) الخيم: بالكسر: السجية والطبيعة، ومعنى كونه طيب المعتصر أنه جواد عند المسألة.

على شيبة الحمد ذي المكرمات وذي المجـد والعـز والمفتخـر
وذي الحلم والفصل في النائبات كثيـر المكـارم[1] جـم الفجـر[2]
لـه فضـل مجـد علـى قـومـه منيـر يلـوح كضـوء القمـر
أتتـه المنـايـا فلـم تشـوه[3] بصـرف الليـالي وريـب القـدر[4]

* * *

(١) في شاعرات العرب: كثير المفاخر.
(٢) الفجر: المعروف والجود والكرم والعطاء. وقد وردت في أعلام النساء: «كثير الفخر».
(٣) الشوى: الأطراف. أي لم تصب الأطراف بل المقتل.
(٤) ريب القدر: وردت في كتب السير: «وييث القمر» وهو كحريف.

البسوس «ابنة منقذ البكري»

هي خالة جساس بن مرة الشيباني، و«البسوس» اسمها[1]، كانت لها ناقة يقال لها سراب، فرآها كليب[2] وائل في حماه وقد كسرت بيض طير كان قد أجاره، فرمى ضرعها بسهم، فوثب جساس على كليب فقتله، فهاجت حرب بكر وتغلب ابني وائل بسببها أربعين سنة، حتى ضربت بها العرب المثل في الشؤم وبها سميت حرب البسوس. وقيل: إن الناقة عقرها جساس بن مرة. وهذه رواية لسان العرب، أما في كتاب الأغاني فقد جاء «أن كليباً كان قد عز وساد في ربيعة بغياً شديداً، وكان هو الذي ينزلهم منازلهم ويرحلهم، ولا ينزلون ولا يرحلون إلا بأمره. فبلغ من عزه وبغيه أنه اتخذ جرو كلب، فكان إذا نزل منزلاً به كلأ قذف ذلك الجرو فيه فيعوي، فلا يرعى أحد ذلك الكلأ إلا بإذنه، وكان يفعل هذا بحياض الماء، فلا يردها أحد إلا بإذنه أو من آذن بحرب فضرب به المثل في العز فقيل: «أعز من كليب وائل». وكان يحمي الصيد، ويقول: صيد ناحية كذا وكذا في جواري، فلا يصيد أحد منه شيئاً، وكان لا يمر بين يديه أحد إذا جلس، ولا يحتبي أحد في مجلسه غيره، فقتله جساس بن مرة.

وكان كليب بن ربيعة ليس على الأرض بكري ولا تغلبي أجار رجلاً ولا بعيراً إلا بإذنه، ولا يحمي حمى إلا بأمره، وكان إذا حمى حمى لا يقرب، وكان لمرة بن ثعلبة عشرة بنين جساس أصغرهم، وكانت أختهم عند كليب. .

---

(١) انظر الأغاني (٥/ ٩٣) ومابعدها.

(٢) كليب وائل: سيد الحيين «بكر» في الجاهلية ومن الشجعان الأبطال، وهو مهلهل بن ربيعة وخال امرىء القيس بن حجر الكندي قتله جساس، وكان أخا زوجة كليب.

وخالة جساس البسوس - وهي التي يقال لها: «أشأم من البسوس» فجاءت فنزلت على ابن أختها جساس فكانت جارة لبني مرة ومعها ابن لها، ولهم ناقة خوارة[١] من نعم بني سعد ومعها فصيل[٢].

وكان كليب قبل ذلك قال لصاحبته أخت جساس: هل تعلمين على الأرض عربياً أمنع مني ذمة؟ فسكتت ثم أعاد عليها الثانية، فسكتت ثم أعاد عليها الثالثة، فقالت: نعم أخي جساس وندمانه ابن عمه وعمرو المزدلف[٣] بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان. وزعم مقاتل: أن امرأته كانت أخت جساس، فبينما هي تغسل رأس كليب وتسرحه ذات يوم إذ قال: من أعز وائل؟ فصمتت، فأعاد عليها، فلما أكثر عليها قالت: أخواي جساس وهمام، فنزع رأسه من يدها وأخذ القوس فرمى فصيل ناقة البسوس خالة جساس وجارة بني مرة فقتله، فأغمضوا على ما فيه وسكتوا على ذلك.

ثم لقي كليب بن البسوس فقال: ما فعل فصيل ناقتكم؟ قال: قتلته وأخليت لنا لبن أمه، فأغمضوا على هذه أيضاً. ثم إن كليباً أعاد على امرأته فقال: من أعز وائل؟ فقالت أخواي، فأضمرها وأسرها في نفسه وسكت، حتى مرت به إبل جساس، فرأى الناقة فأنكرها، فقال: ما هذه الناقة؟ قالوا: لخالة جساس، قال: أوَقد بلغ من أمر ابن السعدية أن يجير علي بغير إذني! إرم ضرعها يا غلام.

قال فراس: فأخذ القوس فرمى ضرع الناقة فاختلط دمها بلبنها، وراحت الرعاة على جساس فأخبروه بالأمر، فقال: احلبوا لها مكيالي لبن بمحلبها ولا تذكروا لها من هذا شيئاً، ثم اغمضوا عليها أيضاً.

---

(١) الناقة الخوارة: الحسنة.

(٢) الفصيل: ولد الناقة.

(٣) المزدلف: لقب عمرو.

قال مقاتل: حتى أصابتهم سماء[1] فغدا في غيها يتمطر[2]، وركب جساس بن مرة وابن عمه عمرو بن الحارث بن ذهل وقيل: بل عمرو بن أبي ربيعة ـ وطعن عمرو كليباً فحطم صلبه، فسكت جساس، حتى ظعن ابنا وائل، فمرت بكر بن وائل على نهي[3] يقال له شبيث فنفاهم كليب عنه وقال: لا يذوقون منه قطرة، ثم مروا على نهي آخر يقال له الأحيض فنفاهم عنه وقال: لا يذوقون منه قطرة، ثم مروا على بطن الجريب[4] فمنعهم إياه، فمضوا حتى نزلوا الذنائب[5]، وأتبعهم كليب وحيه حتى نزلوا عليه، ثم مر عليه جساس وهو واقف على غدير النائب فقال: طردت أهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشاً! فقال كليب: ما منعناهم من ماء إلا ونحن له شاغلون، فمضى جساس ومعه ابن عمه المزدلف.

الخلاصة: البسوس شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية، كان لها جار من جرم يقال له: سعد، وكان له ناقة يقال لها: السراب، وكان كليب قد حمى أرضاً من العالية، فلم يكن يرعى فيها غير إبل جساس بن مرة بن ذهل الشيباني، فخرجت يوماً ناقة الجرمي ترعى في حمى كليب، فنظر إليها كليب، فأنكرها، فرماها، فأصابها فأقبلت ترغو وضرعها يشخب لبناً ودماً، فلما رآها صاح، فخرجت البسوس ونظرت إلى الناقة، فضربت يدها على رأسها ونادت: واذلاه، وأنشأت تقول:

لعمرك لو أصبحت في دار منقذ لما ضيم سعد وهو جار لأبياتي
ولكنني أصبحت في دار معشر[6] متى يعدو فيها الذئب يعدو على شاتي

---

(١) أصابتهم سماء: أي نزل المطر.
(٢) يتمطر: يتنزه.
(٣) النهي: الغدير، من الماء.
(٤) الجريب: واد في أرض نجد.
(٥) الذنائب: هضاب في أرض اليمن.
(٦) في أعلام النساء «في دار غربة».

فيا سعد لا تغرر بنفسك وارتحل فإني في قوم عن الجار أموات
ودونـــك أذوادي إليـــك فـــإننـــي محـــاذرة أن يغـــدروا ببنيـــاتـــي[1]
وسـر نحـو جـرم إن جـزمـا أعـزة ولا تك فيهم لاهياً بين نسوات
إذا لم يقوموا لي بثأري وليصدقوا طعانهم والضرب في كل غارات
فلا آب ساعيهم ولا سد فقرهم ولا زال في الدنيا لهم شر نكبات

فلما سمع جساس قولها هدأ من روعها وقال لها: أيتها المرأة ليقتلن غدا جمل أعظم من ناقة جارك.

وهو يقصد كليباً بذلك، وما زال جساس يتوقع غرة كليب حتى قتله.

* * *

---

(١) ورد في أعلام النساء بهذا اللفظ:
ودونـــك أذوادي فـــإنـــي عنهـــم لـــراحلتـــي لا يفقـــدونـــي بنيـــاتـــي
والغريب أن كحالة صاحب أعلام النساء لم يذكر سوى أربعة أبيات للبسوس.

أم تأبط شراً

هي شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية، تزوجها رجل يقال له: «أبو كبير» اسمه عامر ابن الحليس، من بني هزيل[1]، وكان عندها ولدٌ اسمه ثابت بن جابر تسميه العرب «تأبط شراً» لأنه فيما ورد لقي الغول في ليلة ظلماء في موضع يقال له: رحى بطام في بلاد هزيل فأخذت عليه الطريق، فلم يزل بها حتى قتلها، وبات عليها فلما أصبح حملها تحت إبطه وجاء بها إلى أصحابه، فقالوا عنه: لقد تأبط شراً. وله في هذه الحادثة شعر ذكرته كتب الأدب[2].

تأبط شراً هذا كان أعدى ذي رجلين وذي ساقين وذي عينين «فهو من عدائي العرب المشهورين والمشهود لهم، ومن أصحاب النظر الثاقب» فكان ينظر إلى الظباء فينتقي على نظره أسمنها، ثم يجري خلفه فلا يفوته حتى يأخذه فيذبحه بسيفه، ثم يشويه فيأكله. ويذكر الجاحظ في كتاب الحيوان أم تأبط شراً في معرض حديثه عن عقلاء نساء العرب فيقول: «وإذا كان نساء العرب في الجملة أعقل من رجال العجم، فما ظنك بالمرأة منهم إذا كانت مقدمة فيه فرووا جميعاً أن أم تأبط شراً قالت: والله ما ولدته يتنا، ولا سقيته غيلا، ولا أبيته على مأقة»[3].

ومعنى اليتن: خروج رجل المولود قبل رأسه وذلك علامة سوء ودليل على الفساد.

---

(١) انظر خزانة الأدب (٣/ ٤٦٧).
(٢) انظر قصص العرب (٤/ ٣٦٤)، ومعجم البلدان (٤/ ٢٣٠)، والأغاني (٨/ ٢٠٩).
(٣) انظر الحيوان (١/ ٧٣).

أما سقي الغيل: فهو ارتفاع لبن الحبلى وذلك فساد شديد.

وأما قولها في المأقة: فإن الصبي يبكي بكاء شديد متعباً موجعاً فإذا كانت الأم جاهلة حركته في المهد حركة تورثه الدوار أو نومته بأن تضرب يدها على جنبه توفي تأبط شراً سنة ٨٠ قبل الهجرة وقد رثته أمه بمراث كثيرة منها قولها فيه:

نعم الفتى غادرتم برخمان[١] من ثابت بن جابر بن سفيان
يجدل القرن ويروى الندمان ذو مأقط يحمي وراء الإخوان

* * *

(١) موضع في ديار هذيل عنده قتل تأبط شراً.

أم جندب

عالمة بالشعر ونقده: وهي امرأة امرىء القيس بن حجر، تنازع امرؤ القيس بن حجر وعلقمة الفحل في الشعر أيهما أشعر فقال كل واحد منهما: أنا أشعر منك، فقال علقمة: قد رضيت بامرأتك أم جندب حكماً بيني وبينك، وكذلك رضي زوجها. فحكماها. فقالت أم جندب مشطرة لهما: قولا شعراً تصفان فيه فرسيكما على قافية واحدة وروى واحد.

فقال امرؤ القيس:

خليليّ مرّا بي على أم جندب   نقض لبانات الفؤاد المعذب

وقال علقمة:

ذهبت من الهجران في غير مذهب   ولم يك حقاً طول هذا التجنّب

وأنشداها جميعاً القصيدتين. فقالت لامرىء القيس: علقمة أشعر منك، قال: وكيف؟ قالت لأنك قلت:

فللسوط ألهوب وللساق درّة   وللزجر منه وقع أخرج مهذب

الأخرج ذكر النعام والخرج بياض في سواد وبه سمي فجهدت فرسك بوطك في زجرك ومريته فأتعبته بساقك. وقال علقمة:

فأدركنّ ثانياً من عنان   يمرّ كمر الرائع المتحلّب

فأدرك فرسه ثانياً من عنانه لم يضربه بسوط ولم يتعبه فقال: ما هو بأشعر مني ولكنك له عاشقة. وطلقها. فخلف عليها علقمة فسمي الفحل لذلك.

* * *

أم الضحاك المحاربية

أم الضحاك شاعرة من شواعر العرب أحبت رجلاً من بني الضباب حباً شديداً وقد تزوجته وعندما طلقها أنشدت تقول:

هل القلب إن لاقى الضبابي خالياً ... لدى الركن أو عند الصفا متحرج
وأعجلنا قرب المحل وبيننا ... حديث كتنشيج المريض مزعج

وقالت:

يا أيها الراكب الغادي لطيّته ... عرج أنبيك عن بعض الذي أجد
ما عالج النّاس من وجد تضمنهم ... إلّا ووجدي به فوق الذي وجدوا
حسبي رضاه وأني في مسرّته ... ووده آخر الآيام أجتهد

وقالت أيضاً:

لا يأمَنَنَّ بعدي عطيّة حرّة ... من النّاس أو جارٌ كريمٌ يجاوره
وكنت وإيّاه كذي الكلب لم يزل ... يسمنه حتى اسمدر يساوره
فلما أبى إلّا الحماقة لم أجد ... له مثل ما يكوى فينضج ناظره

وقالت:

سألت المحبين الذين تحمّلوا ... تباريح هذا الحب في سالف الدّهر
فقلت لهم ما يذهب الحبّ بعدما ... تبوأ ما بين الجوانح والصّدر
فقالوا شفاء الحب حبٌ يزيله ... من آخر أو نأيٌ طويلٌ على هجر
أو اليأس حتى تذهل النّفس بعدما ... رجت طمعاً واليأس عونٌ على الصّبر

وقالت:

أرى الحبّ لا يفني ولم يفنه الألى ... أحينوا وقد كانوا على سالف الدّهر

وقالت فيه أيضاً حين سلت عنه:

تعزيت عن حب الضبابيّ حقبة وكـل عمـايـا جـاهـل ستشـوب
يقـول خليـل النفـس أنـت مـربيـة كلانا لعمري قد صدقتَ مريب
وأريبنـا مـن لا يـؤدي أمـانـة ولا يحفـظ الأسـرار حيـن يغيـب
ألهفـا بمـا ضيّعـت ودي ومـا هنـا فؤادي بمن لم يدر كيف يثيب

* * *

«أم حكيم»

هي البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم، عمة الرسول ﷺ، وقد طلب عبد المطلب وهو يحتضر من بناته أن يقمن فيرثينه، فقامت أم حكيم بدورها وقالت:

ألا يـا عيـن جـودي واستهلـي ... وبكـي ذا النـدى والمكـرمـات[١]

ألا يـا عيـن وعـك أسعفينـي ... بـدمـع مـن دمـوع هـاطـلات

ولكـن خيـر مـن ركـب المطـايـا ... أبـاك الخيـر تيـار الفـرات[٢]

طـويـل البـاع شيبـه ذا المعـالـي ... كـريـم الخيـم محمـود الهبـات[٣]

وصـولاً للقـرابـة هبـرزيـا ... وغيثـاً فـي السنيـن الممحـلات[٤]

وليثـاً حيـن تشتجـر العـوالـي ... تـروق لـه عيـون النـاظـرات[٥]

عقيـل بنـي كنـانـة والمـرجـى ... إذا مـا الـدهـر أقبـل بـالهنـات[٦]

ومفـزعهـا إذا مـا هـاج هيـج ... بـداهيـة وخصـم المعضـلات[٧]

فبكيـه ولا تسمـي بحـزن ... وبكـي مـا بقيـت البـاكيـات[٨]

---

(١) استهلي: أظهري البكاء. وبكى: أمن بكاه «بالتشديد» بمعنى بكى عليه ورثاء وفي أعلام النساء «وابكي».

(٢) أصله الخير بالتشديد فخففت الياء، التيار: معظم الماء، والفرات: الماء العذب.

(٣) الخيم: الطبيعة والسجية.

(٤) الهبرزمي: الجميل الوسيم. يقال: رجل هبرزمي: إذا كان وسيماً جميلاً ويقال: الحاذق في أموره.

(٥) تشتجر: تختلط وتشتبك، والعوالي: الرماح حين تجد الحرب.

(٦) الهنات: جمع هنة، وهي كناية عن القبيح.

(٧) مفزعها: ما جزعها، والهيج: الحرب، وهو من التسمية بالمصدر.

(٨) لا تسمي: أي لاتسأمي، سهلت الهمزة بالنقل ثم حذفتها.

وقالت تبكيه بعد وفاته:

مـــا للـــديـــار قـــد افحمـــت مـــن ربهـــا ميـــت الجـــلال

ميت الرزية والمصيبة والفضيلة والفعال

فلئن هلكت لتورثن من خير ميراث الرجال

المال والمجد التليد فضول صون وابتذال

العز والزاد الكثير وإنها كمها الرحال

التارك المال الخبيث وباذل الكسب الحلال

وقد ذكرت هذه الأبيات في كتاب «أعلام النساء» على أنها رثاء في أخيها الحارث وكذلك في كتاب «بلاغات النساء» و«الصحيح» ما أوردناه من أنها رثاء لأبيها عبد المطلب بعد وفاته.

* * *

أم الصريح الكندية

هي أم الصريح بنت أوس الكندية، شاعرة من شواعر حضرموت. ولدت في حضرموت حوالي سنة ٣٠ قبل مولد الرسول ﷺ، قتل أبناؤها في إحدى الوقعات الحربية القبلية، بجيشان[١] فرثتهم بقولها:

سقى مستهلّ الغيث أجداث فتية ... بجيشان[١] ولّينا فحورهما الدّما
صلوا معمعان الحرب حتّى تحزموا ... مقارحيم إذ هاب الكماة التّقحّما
هوت أمّهم ماذا بهم يوم صرّعوا ... بجيشان من أسباب مجد تصرّما[٢]
أبوا أن يفرّوا والقّنا في نحورهم ... ولم يبتغوا من رهبة الموت سلّما[٣]
ولو[٤] أنّهم فرّوا لكانوا أعزّة ... ولكن رأوا صبراً على الموت أكرما

كانت أم الصريح وأختها أم إياس عند أخوين من بني كليب وكانت الحلال الكلبية ضرة لأم إياس فكانت تفاخرها فقالت أم الصريح غيرة لأختها أم إياس: ألا اربعي[٥] يا بنت أم قيس أتعدين محصناً بأوس

---

(١) جيشان: فحلاف باليمن كان ينزله جيشان بن غيدان بن حجر بن ذي رعين فسمي باسمه.

(٢) هذا البيت والبيتان بعده في «حماسة أبي تمام» (٢/ ٢٠١) وأنشدها ياقوت في «معجم البلدان» في رسم جيشان. وهو أمهم: هلكت. قال أبو العلاء هوت أمهم: من الأدعية التي استعملتها العرب على العكس، وذلك أن ظاهرها ذم ودعاء على المذكور، والمراد بها المدح، ويدل على غرضهم في ذلك أنهم لا يجيشون بها في مواطن الذم.

(٣) ورد الشطر الثاني في أعلام النساء: وأن يرتقوا من خشية الموت سلما، في نحورهم وردت في معجم البلدان: في صدورهم.

(٤) في أعلام النساء وردت فلو.

(٥) اربعي: احبسي فخرك.

والخطفي بالأشعث بن قيس؟ ما ذاك بالعدل ولا بالكيس[١] فردت عليها الحلال إذا كليب زخرت في الظم ركبت في عرنينها الأشم[٢] مالك من خال ولا ابن عم غير هذين فاصبري للذم واعترفي بالرفقة الأصم[٣] رفقة ذي شقاشق هلقم[٤] وقال: أبو الحسن نشزت[٥] أم الصريح بنت أوس وأختها أم إياس وهم من كنده التي في بني كليب بن يربوع على أبي الصريح الكلي فقال:

كـأنّ الـدار يـوم تكـون فيهـا ... علينـا حفـرة ملئـت دخـانـا

فليتـك فـي بسفيـن بنـي عبـاد ... طـريـداً لا نـراك ولا تـرانـا

وليتـك غـائـب بـالهنـد عنّـا ... وليـت لنـا صـديقـا فـافتنـانـا

ولـو أنّ النّـذور تكـفّ منـه ... لقـد أهـديتهـا مئـة هجـانـا

* * *

(١) لا بالكيس: ولا بالعقل.

(٢) الأشم: زخر القوم جاشوا في الحرب وزخر الرجل فخر والعرنين الأشم أي الأنف المرتفع عزة كناية عن شرفهم وأنفتهم.

(٣) الأصم: الرجل الذي لا يطمع فيه ولا يرد عن هواه.

(٤) الشقاشق: جمه شقشقة وهو ما يخرجه البعير من فمه إذا هاج والهلقم الواسع الاشداق تريد من هذا الوصف الإشارة إلى قوة نطقه وفصاحته.

(٥) نشزت: استعصت على زوجها وابغضته.

أمامة بنت الحارث

من ربات الفصاحة والبلاغة والرأي والعقل، خطب الحارث بن عمرو ملك كندة ابنتها أم إياس بنت عوف بن محلم الشيباني عندما بلغه من جمالها وكمالها وقوة عقلها، حيث أرسل امرأة من بني كندة يقال لها عصام إلى أمها فأعلمتها ما قدمت له، فأرسلت إلى ابنتها، وقالت: أي بنية، هذه خالتك أتتك لتنظر إليك، فلا تستري عنها شيئاً أرادت النظر إليه من وجه وخلق، وناطقيها إن استنطقتك. فدخلت عصام إليها، فنظرت إلى مالم تر عينها مثله قط بهجة وحسناً وجمالاً، فإذا هي أكمل الناس عقلاً وأفصحهم لساناً، ثم أقبلت عصام إلى الحارث تخبره ما رأت عينها وسمعت أذنها من جمال وفصاحة وعقل، فأرسل الملك إلى أبيها فخطبها، فزوجه إياها.

فلما حملت إلى زوجها، قالت لها أمها، أمامة بنت الحارث:

أي بنية، إن الوصية لو تركت لفضل أدب وتركت لذلك منك ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل. ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتها إليها كنت أغنى الناس عنه ـ ولكن النساء للرجال خلقن. ولهن خلق الرجال. أي بنية إنك فارقت الجو الذي منه خرجت. وخلفت العش الذي فيه درجت. إلى وكر لم تعرفيه. وقرين لم تألفيه فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً. فكوني له أمة يكن لك عبداً وشيكاً. يا بنية احملي عني عشر خصال تكن لك ذخراً وذكراً: الصحبة بالقناعة. والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، والتعهد لموقع عينه والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا طيب ريح، والكحل أحسن الحسن، والماء أطيب الطيب المفقود والتعرف لوقت طعامه والهدوء عنه عند منامه فإن حرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مبغضة والاحتفاظ ببيته وماله

والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله، فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، والارعاء على العيال والحشم حصن التدبير، ولا تفشي له سراً ولا تعصي له أمراً، فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره وإن عصيت أمره أوغرت صدره ثم اتقي مع ذلك الفرح إن كان ترحاً والاكتئاب عنده إن كان فرحاً فإن الخصلة الأولى من التقصير والثانية من التكدير، وكوني أشد ما تكونين له إعظاماً يكن أشد ما يكون لك إكراماً وأشد ما تكونين له موافقة يكن أطول ما تكونين له مرافقة، واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك وهواه على هواك في ما أحببت وكرهت. والله يخير لك.
فحملت فسلمت إليه فعظم موقعها منه وولدت له الملوك السبعة الذين ملكوا بعده اليمن.



بهيسة

هي بهيسة بنت أوس بن حازم الطائي. من ربات الفصاحة والبلاغة والعقل والرأي.

حدّث إبراهيم بن محمد بن عوف عن أبيه قال:

قال الحارث[1] بن عوف بن أبي حارثة: أتراني أخطب إلى أحد فيردني؟ فقال له: نعم! قال: ومن ذاك؟ قال: أوس[2] بن حارثة الطائي، فقال الحارث لغلامه: ارحل بنا، ففعل. فركبا حتى أتيا أوس بن حارثة في بلاده فوجداه في منزله. فلما رأى أوس الحارث بن عوف قال: مرحباً بك يا حار[3]. قال وبك قال: ما جاء بك يا حار؟ قال: جئتك خاطباً، قال: لست هناك! فانصرف ولم يكلمه، ودخل أوس على امرأته مغضباً وكانت من عبس. فقالت: من الرجل الذي وقف عليك فلم تطل ولم تكلمه؟ قال: ذاك سيد العرب الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري. قالت: فمالك لم تستنزله؟ قال: إنه استحمق[4]. قالت: وكيف؟ قال: جاءني خاطباً. قالت: أفتريد أن تزوج بناتك؟ قال: نعم، قالت: فإذا لم تزوج سيد العرب فمن؟ قال: قد كان ذلك. قالت فتدارك ما كان منك. قال بماذا؟ قالت: تلحقه فترده. قال: وكيف وقد فرط إليه! قالت تقول له: إنك لقيتني مغضباً بأمر لم تقدم فيه قولاً، فلم يكن عندي فيه من الجواب إلا ما سمعت، فانصرف ذلك عندي كل ما أحببت فإنه سيفعل. فركب في أثرهما.

---

(١) الحارث بن عوف بن أبي حارثه المري: من فرسان الجاهلية أدرك الإسلام فأسلم.
(٢) أوس بن حارثة الطائي: أحد فرسان الجاهلية المشهورين.
(٣) ياحار: منادى مرخم حارث.
(٤) استحمق: فعل فعل الحمقى.

قال خارجة بن سنان: فوالله إني لأسير إذ حانت مني التفاتة فرأيته، فأقبلت على الحارث ولم يكلمني غماً فقلت له: هذا أوس بن حارثة في أثرنا. قال: وما نصنع به، امض! فلما رآنا لا نقف عليه صاح: يا حار اربع[١] عليّ ساعة. فوقفنا له فكلمه بذلك الكلام فرجع مسروراً. فبلغني أن أوساً لما دخل منزله قال لزوجته ادعي لي فلانة (لأكبر بناته) فأتته، فقال: يا بنية. هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب قد جاءني طالباً خاطباً، وقد أردت أن أزوجك منه فما تقولين؟ قالت: لا تفعل قال: ولم؟ قالت: لأني امرأة في وجهي ردة[٢]، وفي خلقي بعض العهدة[٣]، ولست بابنة عمه فيرعى رحمي، وليس بجارك في البلد فيستحي منك، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون علي في ذلك ما فيه. قال: قومي بارك الله عليك ادعي لي فلانة (لابنته الوسطى) فدعتها، ثم قال لها مثل قوله لأختها، فأجابته بمثل جوابها وقالت: إني خرقاء[٤] وليست بيدي صناعة، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون علي في ذلك ما تعلم وليس بابن عمي فيرعى حقي، ولا جارك في بلدك فيستحييك[٥]. قال: قومي بارك الله عليك. ادعي لي بهيسة (يعني الصغرى)، فأتي بها فقال لها كما قال لهما: فقالت أنت وذاك. فقال لها: إني قد عرضت ذلك على أختيك فأبتاه. فقالت: ـ ولم يذكر لها مقالتيهما ـ لكني والله الجميلة وجهاً، الصناع يداً، الرفيعة خلقاً، الحسيبة أباً، فإن طلقني فلا أخلف الله عليه بخير. فقال: بارك الله عليك. ثم خرج إلينا فقال: قد زوجتك يا حارث بهيسة بنت أوس. قال: قد قبلت. فأمر أمها أن تهيئها وتصلح من شأنها ثم أمر ببيت فضرب له، وأنزله إياه، فلما هيئت بعث بها إليه. فلما أدخلت إليه لبث

---

(١) اربع: أي توقف.
(٢) الردة: العيب.
(٣) العهدة: العيب.
(٤) خرقاء: حمقاء، امرأة غير صناع.
(٥) فيستحييك: يستحي منك.

هنيهة ثم خرج. فقال له غلامه: أفرغت من شأنك[1]؟ قال: لا والله فقال: وكيف ذلك؟ قال: لما مددت يدي إليها قالت: مه[2]! أعند أبي وإخوتي!! هذا والله مالا يكون. قال: فأمر بالرحلة فارتحلنا ورحلنا بها معنا، فسرنا ما شاء الله ثم قال الحارث لغلامه: تقدم فتقدم وعدل بها عن الطريق، فما لبث أن لحق به. فقال له: أفرغت؟ قال لا والله. فقال: ولم؟ قال: قالت لي: أكما يفعل بالأمة الجليبة[3] أو السبية الأخيذة[4]! لا والله حتى تنحر الجزر، وتذبح الغنم، وتدعو العرب، وتعمل ما يعمل لمثلي قال غلامه: والله إني لأرى همة وعقلا، وأرجو أن تكون المرأة منجبة إن شاء الله. فرحلنا حتى جئنا بلادنا، فأحضر الإبل والغنم، ثم دخل عليها وخرج. فقال: أفرغت؟ قال: لا فقال: ولم؟ قال: دخلت عليها أريدها، وقلت لها قد أحضرنا من المال ما قد ترين، فقالت: والله لقد ذكرت لي من الشرف ما لا أراه فيك. قلت: وكيف؟ قالت: أتفرغ لنكاح النساء والعرب تقتل بعضها! (وذلك في أيام حرب عبس وذبيان) قلت: فيكون ماذا؟ قالت اخرج إلى هؤلاء القوم فأصلح بينهم، ثم ارجع إلى أهلك فلن يفوتك فقال الغلام: والله إني لأرى همة وعقلاً، ولقد قالت قولاً. قال الحارث لغلامه: فاخرج بنا فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا فيما بينهم بالصلح، فاصطلحوا على أن يحتسبوا القتلى، فيؤخذ الفضل ممن هو عليه، فحملنا عنهم الديات، فكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين. فمدحوا بذلك، وهذه لهم شرف إلى الآن. فقال فيه زهير قصيدته[5]:

أمن أمّ أوفى دمنة لم تكلّم

ثم رجع الحارث فدخل بها فولدت له بنين وبنات.

---

(١) أفرغت من شأنك: أي هل جامعتها.
(٢) مه: أي اكفف.
(٣) الجليبة: المجلوبة.
(٤) الأخيذة: المأخوذة.
(٥) وهي قصيدته التي تعد من المعلقات.

تماضر بنت الشريد

هي أم قيس بن زهير العبسي، زوجها زهير بن جذيمة ملك غطفان، شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية.

وتروي كتب الأدب أن النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عدي بن النضر بعث إلى نسوة من العرب من بينهن تماضر بنت الشريد، فلما اجتمعن عنده قال: إني قد أخبرت بكن وأردت أن أنكح إليكن، «يريد أن يخطب بناتهن لنفسه»، فأخبرنني عن بناتكن.

فقامت كل واحدة منهن تصف ابنتها، وكان مما قالت تماضر: عندي منتهى الوصاف، دفية اللحاف، قليلة الخلاف.

وقد قتل ابن تماضر، مالك بن زهير العبسي ببلاد غطفان بأرض يقال لها «الهباءة» فقامت أمه ترثيه بقولها:

كأن العين خالطها قذاها	لحزن واقع أفنى كراها
على ولد وزين الناس طراً	إذا ما النار لم تر من صلاها
لئن حزنت بنو عبس عليه	فقد فقدت به[1] عبس فتاها
فمن للضيف إن هبت شمال	مزعزعة يجاوبها صداها
أسيدكم وحاميكم تركتم	على الغبراء منهدماً رحاها
ترى الشم الجحاجح من بغيض	تبدد جمعها في مصطلاها
فيتركها إذا اضطربت بطعن	وينهبها إذا اشتجرت قناها
حذيفة لا سقيت من الغوادي	ولا وتلك هاطلة نداها

(١) في أعلام النساء «بنو»

كمـــا أفجعتنـــي بفتـــى كـــريـــم إذا وزنـــت بنـــو عبـــس وفـــاهـــا[1]
فـــدمعـــي بعـــده أبـــداً هطـــول وعينـــي دائـــم أبـــداً بكـــاهـــا[2]

* * *

(١) في أعلام النساء «علاها».
(٢) في أعلام النساء:
فـــدمعـــي بعـــده أبـــدا هطـــول ولا يـــرقـــأ مـــن عينـــي بكـــاهـــا

جليلة بنت مرة الشيبانية

هي جليلة بنت مرة أخت جساس وزوج كليب بن ربيعة سيد قومه الذي قيل فيه «أعز من كليب» شاعرة فصيحة من ذوات الشأن في الجاهلية وقد قتل أخوها جساس زوجها كليباً بسبب ناقة[١].

وقد اتفق أن نساء الحي اجتمعن لمأتم كليب وكانت جليلة حاضرة فقلن لأخت كليب: رحلي جليلة عن مأتمك، فإن قيامها فيه شماتة وعار علينا عند العرب فقالت لها: يا هذه اخرجي عن مأتمنا، فأنت أخت واترنا[٢] وشقيقة قاتلنا فخرجت وهي تجر أعطافها فلقيها أبوها مرة فقال لها: ما وراءك يا جليلة؟ قالت: ثكل العدد، وحزن الأبد، وفقد حليل، وقتل أخ عن قليل، وبين ذين غرس الأحقاد وتفتت الأكباد، فقال لها: أو يكف ذلك كرم الصفح وإغلاء الديات؟ فقالت جليلة: أمينة مخدوع ورب الكعبة أبالبدن[٣] تدع لك تغلب دم ربها؟!

ثم بلغ جليلة أن أخت كليب قالت حين رحلت: رحلة المعتدي وفراق الشامت ويل غداً لآل مرة من الكرة بعد الكرة! فقالت: وكيف تشمت الحرة بهتك سترها، وترقب وترها! أسعد الله حظ أختي أفلا قالت: نفرة الحياة، وخوف الاعتداء؟! ثم أنشأت تقول:

يـا بنـة الأقـوام[٤] إن شئـت فـلا   تعجلـي بـاللـوم حتـى تسـألـي

---

(١) أما جساس فقد قتل نحو سنة /٨٥/ ق.هـ.

(٢) الواتر هو الذي قتل رجلاً من عائلة فوتر قبيلته، أي قطع من هذه العائلة المقتولة.

(٣) بالبدن: جمع بدنة تكون من الإبل والبقر.

(٤) في شاعرات العرب يا ابنة الأعمام.

فـــإذا أنـــت تبينـــت الـــذي … يـوجـب اللـوم فلـومي واعـذلـي
إن تكن أخت امرىء ليمت على … شفـــق منهـــا عليـــه فـــافعلـــي
جـلّ عنـدي فعـل جسـاس فيـا … حسـرتـي عمـا انجلـت أو تنجلـي
فعـل جسـاس علـى وجـدي بـه … قـاطـع ظهـري وقـدن أجلـي
لـو بعيـن فقئـت عينـي سـوى … أختهـا فـانفقـأت لـم أحفـل[١]
تحمـل العيـن قـذى العيـن كمـا … تحمـل الأمُّ أذى مـا تعتلـي[٢]
يـا قتيـلاً قـوض الـدهـر بـه[٣] … سقـف بيتـي جمعيـا مـن عـل
هـدم البيـت[٤] الـذي استحـدثتـه … وانثنـى فـي هـدم بيتـي الأول
ورمـانـي قتلـه مـن كثـب … رمية المصمى بـه المستـأصـل[٥]
يـا نسـائـي دونكـن اليـوم قـد … خصنـي الـدهـر بـرزء معضـل
خصنـي قتـل كليـب بلظـى … مـن ورائـي ولظـى مـن أسفـل[٦]
ليـس مـن يبكـي ليـوميـه كمـن … إنمـا يبكـي ليـوم ينجلـي
يشتفـي المـدرك بـالثـأر وفـي … درك ثـاري ثكـل المثكـل
ليتـه كـان دمـاً فـاحتلبـوا … درراً منـه دمـي مـن أكحلـي[٧]
إننـي قـاتلـة مقتـولـة … ولعـل الله أن يـرتـاح لـي

وقالت بعد ذهابها إلى دار أهلها، وهي في الطريق:

يا عين فابكي فإن الشر قد لاحا … وأسبلي دمعك المخزون سفاحا
هذا كليب على الرمضاء منجدل … بين الخزامى علاه اليوم أرماحا
والتغلبيـون قـد قـامـوا بنصـرتـه … وكنتـم وجـلال الله أوقـاحـا

---

(١) لم يذكر هذا البيت في قصص العرب.
(٢) في قصص العرب وكذلك شاعرات العرب جاءت «تفتلي» وتفتلي: تربي.
(٣) في شاعرات العرب: «يا قتيلاً قوضت صرعته».
(٤) في شاعرات العرب: «قوضت بيتي».
(٥) لم يذكر هذا البيت في قصص العرب والكثب: القرب ـ وأصماه: قتله في مكانه.
(٦) في شاعرات العرب: «ولظى مستقبلي» وكذلك في قصص العرب.
(٧) في شاعرات العرب: «بدلاً منه دماً» والأكحل: عرق الحياة ويدعى نهر البدن.

قد كان تاجاً عليهم في محافلهم وكان ليث وغى للقرن طراحا

وقالت عندما وصلت إلى بيت أهلها:

إذا الخيل سارت بعد صلح صدورها وخوف ابنا وائل وعشيرها
تقطعت الأرحام منهم وبدلت ضغائن حقد بعد ود صدورها
تبدد شمل الحي بعد اجتماعه وغادرنا من بعد هتك ستورها
فهاكم حريق النار تبدى شرارها فيقدح في كل البلاد سعيرها
فقوموا وداروا ما استطعتم ودافعوا عس يقشع الإظلام عنكم نورها

* * *

جمعة بنت الخس

هي جمعة بنت الخس بن حابس بن قريط الإيادية، وأختها هند.

كانت فصيحة شاعرة ترد سوق عكاظ فتتناظر مع الشعراء وكبار القوم، وقد وافت جمعة مرة سوق عكاظ بصحبة أختها هند فجاءت القلمس الكناني فقال لهما إني سائلكما لأعلم أيكما أبسط لساناً وأظهر بياناً وأحسن للصفة إتقاناً. ،

قالتا: سلنا عما بدا لك فستجد عندنا عقول ذكية، وألسنة قوية، وصفة جلية.

وسنورد هنا أجوبة جمعة ونؤخر أجوبة هند أختها على أن نذكرها في حينها.

قال القلمس: أي الإبل أحب إليك يا جمعة؟ قالت: أحب كل قراسية دوسر[١]، ملاحك الخلق عشنزر[٢]، ململم مثل ملمومة المرمر، ذي شقشقة مفرفر[٣]، مصعب ألون، مدلي المشفر[٤]. قال القلمس: فأي ذكور الإبل أبغض إليك يا جمعة؟ قالت: أبغض قصير القامة الصغير الهامة، السريع السأمة، الأجب الظهر كالنعامة. قال: فأي النوق أحب إليك؟ قالت: أحب كل ناقة علكوم[٥] علنداة، كتوم مثل الجمل الحجوم[٦]، العظيم العيهوم[٧]،

---

(١) القراسية والدوسر: أي الضخم الشديد من الإبل.
(٢) الملاحك: الجمل الشديد الخلق، والعشنزر: الشديد العظيم من كل شيء.
(٣) المفرفر: من فرفر البعير إذا نفض جسده وأسرع وخف.
(٤) ألون: أسود، والمشفر البعير: كالشفة للإنسان.
(٥) علكوم: الشديدة، العلنداة: الغليظة.
(٦) الكتوم: التي لا تشول بذنبها عند اللقاح. والحجوم: الذي شد عليه لجام.
(٧) العيهوم: السريع.

يخلط بين الشد والرسين[١]، في تيه المهامة والديموم[٢] قال: فأي ذكور الخيل أحب إليك يا جمعة؟ قالت: أحب المنسوب جده الأسيل خده السريع شده الطويل مده الشديد هده الجميل قده[٣]. قال: فأي إناث الخيل أحب إليك يا جمعة؟ قالت: أحب كل جيية الفؤاد سبوح جواد سلسلة القياد شديدة الاعتماد في الدفع والاشتداد ذات هباب وثماد[٤]. قال: فأي ذكور الخيل أبغض إليك يا جمعة؟ قالت: ابغض كل بليد وارم الوريد ذا وكال شديد[٥]، لا ينجيك هارباً ولا تظفر به طالبا ولا يسرك شاهداً ولا غائباً. قال: فأي المعزى أحب إليك؟ قالت: أحب ذات الزنمتين[٦] المنفوخة الجنبين المذكرة القرنين الدقيقة الطبيين[٧] تروي الولدين وتشبع أهل البيتين.

قال: فأي السحاب أحسن في عينك؟ قالت: أحب كل ركام ملتف أسحم رحاف مسف يكاد يمسه من قام بالكف[٨]. قال فأي النساء أحب إليك؟ قالت: أحب الغريرة العذراء، الرعبوبة العيطاء، الممكورة اللفاء، ذات الجمال والبهاء، والستر والحياء، البضة الرخصة، كأنها فضة

---

(١) ضرب من سير الإبل.

(٢) المهامة: المفازة البعيدة، والديموم: الفلاة الواسعة.

(٣) الأسيل: الطويل، شده: أي عدده «بسكون الدال» وهده: صوته.

(٤) جواد أي بينة الجودة وحيية نبيهة وسبوح أي تسبح بيدها في سيرها فيكون سريعاً ليناً سلسلة أي سهلة، والهباب: أي الهبوب نشاط كل سائل والثماد: من ثمد بالفتح والتحريك.

(٥) الوريد: عرق في العنق والوكال: سوء السير أو فتوره.

(٦) زنمتا الأذن: هما هنتان تليان الشحمة وشحمة الأذن: معلق القرط منه، والزنم أيضاً الزلم الذي خلف الظفر.

(٧) هما مثنى طبي أي حلمات «بالتحريك» الضرع.

(٨) الركام: السحاب المتراكم. والاسحم: الاسود. رجاف: مضطرب بالماء ومسف: من أسفت السحابة دنت من الأرض.

بيضاء[١]. قال: فأي النساء أبغض إليك؟ قالت: أبغض كل سلفع بذية جاهلة غبية حريصة دنية غير كريمة ولا سرية ولا ستيرة ولا حيية[٢]. قال: فأي الرجال أحب إليك؟ قالت: أحب الحر النجيب السهل القريب السمح الحسيب الفطن الأريب المصقع[٣] الخطيب الشجاع المهيب.

قال: فأي الرجال أبغض إليك؟ قالت: أبغض السآلة اللئيم البغيض الزنيم الأشوه الدميم الظاهر العصوم الضعيف الحيزوم[٤]. فقال القلمس فهل تقولين من الشعر شيئاً. قالت: نعم. قال: فقولي يا جمعة. فقالت:

أشد وجوه القول عند ذوي الحجي ... مقالة ذي لب يقول فيوجز[٥]
وأفضل غنم يستفاد ويبتغي ... ذخيرة عقل يحتويها ويحرز
وخير خلال المرء صدق لسانه ... وللصدق فضل يستبين ويبرز[٦]
وإنجازك الموعود من سبب الغنى ... فكن موفياً بالوعد تعطي وتنجز
ولا خير في حريريك بشاشة ... ويطعن من خلف عليك ويلمز[٧]
إذا المرء لم يسطع سياسة نفسه ... فإن به عن غيرها هو أعجز[٨]
وكم من وقور يقمع الجهل حلمه ... وآخر من طيش إلى الجهل يحجز[٩]

---

(١) العرير: الطاهرة. الخلق «بالضم» من لاتجربه لها. والرعبوبة البيضاء: الحسنة أو الناعمة. والعيطاء: الطويلة العنق. والممكورة: المستديرة الساقين واللفاء: الضخمة الفخذين. والبضة: الرقيقة الجلد الممتلئة. والرخصة: الناعمة.

(٢) السلفع: السيئة الخلق. والسرية: ذات المروءة في شرف.

(٣) المصقع: الجهوري الصوت في فصاحة وثبات.

(٤) السألة: الكثير السؤال. والزنيم المعروف باللؤم والشر أو الدعى في نسبه والعصوم الأكول والحيزوم الصدر.

(٥) وجوه القول: طرقه المقصود.

(٦) الخلال: الخصال.

(٧) يلمز: يعيب.

(٨) يسطع: يستطيع.

(٩) يحجز: حجز الإنسان يحجز. إذا عدا، وهو عدو دون الحضر الشديد وفوق العنق. ويحجز من الحجز وهو ضرب من ضروب العدد.

وكم من أصيل الرأي طلق لسانه بصير بحسن القول حين يميز
وآخر مأفون يلول لسانه ويعجن بالكوعين نوكا ويخبز(١)
وكم من أخي شر قد أوثق نفسه وآخر ذخر الخير يحوى ويكنز(٢)
يفر الفتى والموت يطلب نفسه سيدركه لا شك يوماً فيجهز

قال القلمس قد أحسنتما فزيديني يا جمعة قالت:

رأيت بني الدنيا كأحلام نائم وكالفيء يدنو ظله ثم يقلص(٣)
وكل مقيم في الحياة وعيشها بلا شك يوماً أنه سوف يشخص(٤)
يفر الفتى من خشية الموت والردى وللموت حتف كل حي سينغص(٥)
أتاه حمام الموت يسعى بحتفه وقد كان مغروراً بدنيا تربص(٦)
كأنك في دار الحياة مخلد وقد بان منها من مضى وتقنصوا(٧)
لقد أفسد الدنيا وعيش يعفها فجائع تترى تعتدي وتنقص(٨)
الإرب مرزوق بغيرِ تكلفٍ وآخر محروم يجد ويحرص

* * *

(١) المأفون: الضعيف العقل والرأي، نوكا: أي حمقا.
(٢) أوثق نفسه: أي عد الشر وأوثقه شده بالموثاق وهو الحبل ونحوه يشد به.
(٣) الفيء: ماكان شمساً فينسخه الظل.
(٤) يشخص: يرتحل والمراد ارتحال الموت.
(٥) سينغص: أي سيأخذه فجأة.
(٦) حمام الموت: قضاؤه وقدره خاص به ـ تربص ينتظر.
(٧) بان منها: فارقها. وتقضوا: بالبناء للمجهول من قنصه صاده.
(٨) تترى: تتوالى.

خالدة بنت هاشم

هي خالدة بنت هاشم بن عبد مناف وقد ذكر نسبها في فتوح البلدان أنها بنت هشام بن عبد مناف.

حكيمة من حكيمات العرب وشاعرة من أبرز شواعر الجاهلية، وقد اتفق أن تجهم أخوها صديقاً له فقالت له: أي أخي لا تطلع من الكلام إلا ما قد روأت قبل ذلك ومزجته بالحلم وداويته بالرفق فإن ذلك أشبه بك. فسمعها أبو هاشم فقام إليها واعتنقها وقبلها وقال: «واهاً لك يا قبة الديباج ولذلك كانوا يلقبونها بهذا الاسم.

توفي أبوها بغزة فقالت ترثيه:

عينـي[1] جـودي بعبـرة وسجـوم ... واسفحي الـدمع للجواد الكـريم

عين واستعبري وسحي وحجي[2] ... لأبيـــك المســـوّد المعلـــوم

هاشم الخير ذي الجلالة والحمد ... وذي البـــاع والنّـــدى الصميـــم

وربيـــع للمجتـــديـــن ومـــزن ... ولـــزار لكـــل أمـــر جسيـــم

شمّـــري نمـــاه للعـــز صقـــر ... شـامـخ البيـت مـن سـراة الأديـم

شيظمـــي[3] مهـــذب ذي فضـــول ... أبطحـــي مثـــل القنـــاة وسيـــم

صادق البأس في المواطن شهم ... مـاجـد الجـد غيـر نكـس ذميـم

غـــالبـــي[4] مشمـــر أخـــوذى ... بـاسـق المجـد مضـرحـي[5] حليـم

---

(١) في شاعرات العرب (عين).
(٢) في شاعرات العرب (وحمي).
(٣) الشيظمي: الطويل الجنسيم الفتي من الناس.
(٤) غالبي: نسبته إلى غالب بن فهر أحد أجداد هاشم المشهورين.
(٥) المضرحي: الرجل السيد السري الكريم.

وقالت أيضاً ترثيه:

بكت عيني وحق لها بكاها ... وعاودها إذا تحس[1] قذاها
أبكي خير من ركب المطايا ... ومن لبس النعال ومن حذاها
أبكي هاشماً وبني أبيه ... فعيل الصبر إذا منعت كراها
وكنت غداة أذكرهم أراها ... شديد أسقمها باد جواها
فلو كانت نفوس القوم تفدى ... فديتهم وحق لها[2] فداها

وحضر هاشم بئراً ثم جاء عبد المطلب فوهبها لعدي بن نوفل حين حفر زمزم وكثر الماء بمكة فقالت خالدة:

نحن وهبنا لعدي سجلة[3] ... في تربة ذات عذاة سهلة
تروي الحجيج زغلة فزغلة

* * *

---

(١) في شاعرات العرب (تحسي).
(٢) في شاعرات العرب (لهم).
(٣) سجلة: بئر حفرها هاشم بن عبد مناف.

الخرنق

هي الخرنق بنت بدر بن هفان بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن معد بن عدنان، من بني ضبيعة، البكرية، العدنانية وهي أخت طرفة بن العبد لأمه، شاعرة من شاعرات العرب ومن الشهيرات في الجاهلية، وقد نبغت بعد حرب البسوس بزمان قليل، أكثر شعرها في رثاء أخيها طرفة بعد مقتله، وأيضاً في رثاء زوجها عمرو بن مرثد (سيد بني أسد) بعد أن قتله بنو أسد يوم قلاب[1]:

فقد ذكر أن زوجها عمرو بن مرثد غزا ومعه عمرو بن عبدالله الأشل أحد بني سعد بن ضبيعة متساندين[2] وكان عبدالله الأشل يدعى ذا الكف.

وكان بنو أسد إلى جنب جبل يقال له: القلاب وكان عمرو سيد بني مرثد. وكان رجلاً ذا عبرة ونخوة فغزا بني عامر بن صعصعة ومعه ناس من بني أسد فظفر وملأ يديه من النعم والسبي وانصرف راجعاً. فلما دنا من قلاب حتى خرج في أرض بني تميم. قال عمرو: أتريد أن تعسف بالناس وتعرضهم لما لا قبل لهم به إن وراء هذا الجبل بني أسد. قال: ما أبالي من لقيت منهم. فناشده الله في العدول عنهم فأبى أن يقبل.

فقال عمرو بن عبدالله: إني مائل بمن معي إلى اليمامة. فمال بمن معه إلى اليمامة. وخرج عمرو في بني قيس بن ثعلبة ومعه ثلاثة بنين له وكانوا فرساناً شجعاناً ومعه ناس من بني مرثد وغيرهم. ثم هجم عمرو على بني

---

(١) قلاب: جبل في ديار بني أسد، وقيل: قلاب من أعظم أودية العلاة باليمامة ساكنوه بنو النمر بن قاسط.

(٢) المساندة: أن يخرج رئيسان برايتين وجيشين في مكان واحد ويغيرون معاً فما أصابوا قسم على الجيشين.

أسد. فانحطوا منهزمين من غير قتال. فقال بشر:

ألا لا تراعوا إنها خيل وائل | عليها رجال يطلبون الغنائما

فقال كاهنهم: خذوا فأله من فيه. ارجعوا إليه فلنقتلنه ولنغنمن ما معه. فرجعوا عليه فقتلوه وهزموا أصحابه وبنيه. فقالت في زوجها عمرو وابنها علقمة بن عمرو وأخويه حسان وشرحبيل:

لا يبعدن قومي الّذين هم | سمّ العداة وآفة الجزر
النّازلون بكلّ معترك | والطّيّبون معاقد الأزر
الضّاربون بحومة نزلت | والطّاعنون وخيلهم تجري
قوم إذا ركبوا سمعت لهم | لغطاً من التّأييه[1] والزّجر
من غير ما فحش يكون بهم | في منتج المهرات والمهر
إن يشربوا يهبوا وإن يزدوا[2] | يتواعظوا عن منطق الهجر
لاقوا غداة قلاب حتفهم | سوق العتير يساق للعتر
هذا ثنائي ما بقيت لهم | وإذا هلكت وجنني قبري[3]
الخالطون نحيتهم بنضارهم | وذوي الغنى منهم بذي الفقر[4]

وقالت تبكي زوجها بشراً بن عمرو وقد قتل يوم قلاب:

أعاذلتي على رزء أفيقي | فقد أشرقتني بالعذل ريقي
فلا وأبيك آس بعد بشر | على حي يموت ولا صديق
وبعد الخير علقمة بن بشر | إذا ما الموت كان لدى الحلوق[5]

---

(١) التأييه: الصوت، يقال: أيهت به تأييهاً: إذا صحت به.
(٢) في أعلام النساء (يذروا) وكذلك في الأمالي.
(٣) في أعلام النساء ورد هكذا:
هذا ثنائي ما بقيت عليهم | فإذا هلكت أجنني قبري
(٤) في أعلام النساء ورد النحيت: المنحوت، والنضار: الذهب.
(٥) ورد في أعلام النساء: وبعد الخير علقمة بن بشر كما مال الجذوع من الحريق
ويروى: إذا نزت النفوس إلى الحلوق.

وبعـد بنـي ضبيعـة حـول بشـر كما مال الجذوع من الحريق
منـي لهـم بـوالبـة المنـايـا بجنب قلاب للحين المسوق[1]
فكم بقلاب من أوصال خرق أخـي ثقـة وجمجمـه فليـق
لـذامـى للملـوك إذا لقـوهـم حبوا وسقوا بكأسهم الرحيق
هم جدعوا الأنوف وأرغموها فما ينساغ لي من بعد ريقي

وقالت ترثي زوجها:

ألا ذهـب الحـلال فـي القفـرات ومن يملأ الجفنات في الحجرات[2]
ومن يرجع الرّمح الأصمّ كعوبه عليـه دمـاء القـوم كـالشّقـرات

وقالت تفخر بزوجها بشر بن عمرو وصحابته:

لقـد علمـت جـديلـة أنّ بشـراً غـداة مـربـح مـرّ التّقـاضـي
غـداة أتـاهـم بـالخيـل شعثـاً يدق نسورها حدّ القضاض[3]
عليهـا كـلّ أصيـد تغلبـيّ كـريـم مـركـب الحـدّين مـاض
بـأيـديهـم صـوارم مـرهفـات جـلاهـا القيـن خـالصـة البيـاض
وكـل مثقّـف بـالكـف لـدن وسـابغـة مـن الحلـق المفـاض
فغـادر متقـلا وأفـاه حصنـاً عفير الوجه ليس بذي انتهاض

وقالت ترثي أخاها طرفة حين قتل بأمر عمرو بن هند:

عددنا له خمساً وعشرين حجّة فلمّا توفّاها استوى سيدا ضخما
فجعنـا بـه لمّـا انتظـرنـا إيـابـه على خير حال لا وليداً ولا قحما

وقالت ترثي زوجها بشر بن عمرو:

وإنّ بني الحصن استحلت دماءهم بنـو أسـد حـاربهـا ثـم والبـه
هم جدعوا الأنف الأشمّ فأوعبوا وجبّـوا السّنـام فـالتحـوه وغـاربـه

---

(١) مني لهم: قدر، ووالبة: هي من بني أسد.
(٢) الحجرة: السنة الشديدة، لأنها تحجر الناس في البيوت.
(٣) نسورها: بواطن حوافرها، والقضاض: الحصى الصغار.

عميلـــه بـــوّاه السّنـــان بكفّـــه عسى أن تلاقيه من الدهر نائبه

وقالت ترثيه:

ألا لا تفخـــرن أســـد علينـــا بيـوم كـان حينـاً فـي الكتـاب
فقـد قطعـت رؤوس بنـي قعيـن وقد نقعت صدور من شراب
وأردينا ابن حسحاس فأضحى تجـول بشلـوه نجـس الكـلاب

وقالت:

سمعت بنو أسد الصياح فزادها عنـد اللقـاء مـع النفـار نفـارا
ورأت فوارس من صليبة وائل صبـروا إذا نقـع السنـابـل ثـارا
بيضـا يحـززن العظـام كـأنمـا يوقدن في حلق المغافر نارا

وقالت تصف خروجه للصيد:

يـا ربّ غيـث قـد قـرى عـازب أجشّ أحوى في جمادى مطير
ســار بـــه أجـــرد ذو ميعـــه عبـلاً شـواه غيـر كـاب عثـور
فـألبـس الـوحـش بحـافـاتـه والتقـط البيـض بجنـب السّـدير
ذاك وقـــدمـــا يعجـــل البـــازل الكوماء بالموت كشبه الحصير
يبغـي عليهـا القـوم إذا أرملـوا وســاء ظـــن الألمعـــي القـــرور
اب وقـــد غنـــم أصحـــابـــه يلـوي علـى أصحـابـه بـالبشيـر

وقالت حين طرد عمرو بن هند بن مرثد:

ألا مـن مبلـغ عمـرو بـن هنـد وقـد لا تعـدم الحسنـاء ذامـا
كما أخرجتنا من أرض صدق تـرى فيهـا لمغتبـط مقـامـا
كمـا قـالـت فتـاة الحـي لمـا أحـس جنـانهـا جيشـاً لهـامـا
لـــوالـــدهـــا وأرأتـــه بليـــل قطـا ولقلّمـا تسـري ظـلامـا
ألســت تــرى القطـا متـواتـرات ولـو تـرك القطـا أغفـى منـامـا

وقالت في عمرو ابن عم طرفة:

أرى عبد عمرو قد أساط ابن عمه وأنضجه في غلي قدر وما يدري

فهلا ابن حسحاس قتلت ومعبدا هما تركاك لا تريش ولا تبري
هما طعنا مولاك في عطف صلبه وأقبلت ما تلوي على محجرٍ تجري

وقالت تهجو عبد عمرو، وهو الذي وشى بطرفة عند عمرو بن هند:

ألا ثكلتك أمك عبد عمرو أبا لحزيات آخيت الملوكا
هم دحّوك للوركين دحّا ولو سألوا لأعطيت البروكا
فيومك عند قومه هلوك كصل الرّجع مزهرها صحوكا

وقالت وبعضهم ينسبها لطرفة:

عفا من آل ليلى السّهب فالأملاح فالعمر
فعرق فرماح فاللـ ـوى من أهله قفر
وأبليّ إلى الغرّا ء فالمأوان فالحجر
فأمواه الدّنا فالنّجـ ـد فالصّحراء فالنّسر
فلاة ترتيها العـ ـين فالظّلمان فالعفر

وقالت ترثي عبد عمرو:

ألا هلك الملوك وعبد عمرو وخلّيت العراق لمن بغاها
فكم من والد لك يا ابن بشر تأزّر بالمكارم وارتداها
بنى لك مرثد وأبوك بشر على الشّمّ البواذخ من ذراها

* * *

دختنوس بنت لقيط

هي دختنوس بنت لقيط بن زراره الدارمية من تميم، شاعرة جاهلية سميت باسم بنت كسرى «دختنوس» أي: بنت الهنيء وهي زوجة عمرو بن عدس وقد حضرت يوم «شعب جبلة»[١] قبل مولد النبي ﷺ بتسع عشرة سنة أو بسبع عشرة سنة وقد ذكر عمر رضا كحالة لها أبياتاً قالتها رثاء في أبيها لما مات وجعل بنو عامر يضربونه وهو ميت فقالت:

ألا يا لها الويلات ويلة من بكى ... لضرب بني عبس لقيطاً وقد قضى

لقد ضربوا[٢] وجهاً عليه مهابة ... وما تحفل الصم الجنادل من ثوى[٣]

فلــو أنكــم كنتــم غــداة لقيتــم ... لقيطـاً ضـربتـم[٤] بـالأسنـة والقنـا

فمــا ثــأره فيكــم ولكــن ثــأره ... شـريـح أأردتـه الأسنـة أم هـوى[٥]

فإن تعقب الأيام من فارس[٦] تكن ... عليكـم حـريقـاً لا يـرام إذا سمـا

لنجـزيكـم بـالقتـل قتـلاً مضعفـا ... وما في دماء الحمس يا مال من بوا[٧]

---

(١) جبلة: هضبة حمراء بنجد بين الشريف والشرف، والشريف: ماء لبني كلاب، ويوم شعب جبلة يوم بين بني تميم، وبين بني عامر بن صعصعة، فانهزمت تميم ومن ضامها، وهو من أعظم أيام العرب وأذكرها وأشدها، وكان قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة.

(٢) في شاعرات العرب «عفّروا».

(٣) تحفلوا: تضحوا، الصم الجنادل: الصخور العظيمة، الثوى: مات. تريد أن الصخور التي تغطي جسمه في قبره لاتكاد وتضمه لعلو شأنه.

(٤) في شاعرات العرب «صبرتم».

(٥) تقول: ليس لكم الفخر يا بني عبس فإنما قاتله والمطلوب بدمه، هو شريح بن الأحوص العامري.

(٦) في شاعرات العرب «من عامر».

(٧) تريد بالحمس: أشراف بني تميم الذين قتلوا، ومال: ترخيم مالك، والبوا: السواء والكفيء.

ولـو قتلتنـا غـالـب كـان قتلهـا علينـا مـن العـار المجـدع للعلـى
لقد صبرت للموت كعب وحافظت كـلاب ومـا أنتـم هنـاك لمـن رأى

وقد ذكر لها في شاعرات العرب أبيات في رثاء أبيها وكان من سعة الجاه وعز العشيرة في الذروة العليا حيث قالت:

بكـــر النعـــي بخيـــر خنـ ـــدف كهلهـا وشبـابهـا[1]
وبخيـــرهـــا نسبـــاً إذا رجعـــت إلـــى أنســـابهـــا
وأضـــرهـــا لعـــدوهـــا وأفكهـــا لـــرقـــابهـــا
وقـــريعهـــا ونجيبهـــا فـــي المطبقـات ونـابهـا[2]
ورئيسهـــا عنـــد الملـــو ك وزيـــن يـــوم خطـــابهـا
فـــــرع عمـــــود للعشـ ـيـرة رافعـاً لنصـابهـا[3]
فيعـــولهـــا ويحـــوطهـــا ويـــذب عـــن أحســـابهـــا
ويطـــأ مـــواطـــىء للعـــدو وكـــان لا يمشـــي بهـــا[4]
فعـــل المـــدل مـــن الأســـود لحينهـــا وتبـــابهـــا[5]
كـــالكـــوكـــب الـــدري فـــي الظلمـــاء لا يخفـــى بهـــا[6]
عبـــث الأغـــر بـــه وكـ ـــل منيـــة لكتـــابهـــا[7]
فـــرت بنـــو أســـد حـــرود الطيـــر عـــن أربـــابهـــا[8]
وهـــوازن أصحـــابهـــم كـــالفـــأر فـــي أذنـــابهـــا[9]

---

(١) وخندف: أم مدركة بن الياس وإليها تنسب قبائل مضر، ومنها تميم قوم الشاعرة.
(٢) القريع: السيد، والمطبقات: الشدائد، وناب القوم: سيدهم.
(٣) الفرع: الابن/ والعمود: السند.
(٤) تريد أنه يتعقب آثار العدو في مسالك لم يتعود أن يجري فيها.
(٥) المدل: الواثق من نفسه، الحين: الهلاك، والتباب: الفساد.
(٦) الدرى: الشبيه بالدرة.
(٧) الأغر: السيد، تكني به عن قاتل لقيط، وهو شريح بن الأحوص، لكتابها: أبانها ووقتها.
(٨) الحرود: التنمي، بنو أسد: من حلفاء تميم يوم شعب جبلة وهي بهذا تهجوهم.
(٩) وهوازن من حلفاء تميم أيضاً شبهتهم بالفأر لجبنهم.

لـم يحفظـوا حسبـاً ولـم ... يـأوو لفـيء عقـابهـا[1]

وقالت في النعمان بن قهوس التيمي من تيم الرباب، وكان حامل لواء قومه يوم جبلة:

فـرّ ابـن قهـوس الشجـا ... ع بكفـه رمـح متـل[2]
يعـدو بـه خـاظـي البضيـ ... ـع كـأنـه سمـع أزل[3]
إنـك مـن تيـم فـدع ... غطفـان إن سـاروا وحلـوا
لا منـك عـدهـم ولا ... آبـاك إن هلكـوا وذلـوا
فخـر البغـي بحـدج ... رتبهـا إذا النـاس استغلـوا
ولقـد رأيـت أبـاك وسـ ... ـط القـوم يربـق أو يجـل[4]
متقلـداً ربـق الغـرا ... ر كـأنـه فـي الجيـد غـل[5]

وقالت ترثي أباها الذي كان بنو عامر يضربونه بعد موته:

ألا يا لها الويلات ويلة من بكى ... بضرب بني عبس لقيطاً وقد قضى
لقـد عفـروا وجهـاً عليـه مهـابـةٌ ... وما تحفل الصم الجنادل من ثوى[6]
فلـو أنكـم كنتـم غـداة لقيتـم ... لقيطـاً صبـرتـم لـلأسنـة والقنـا

---

(1) تريد بالعقاب لقيطاً، والمعنى أنهم بغرارهم فقدوا شرفهم ولم يجتمعوا بلقيط على العدو، بل تركوه يقاتل وحده.

(2) قال ابن دريد: كل شيء ألقيته على الأرض محاله جثة فقد تللته. ومنه سمي التل من التراب، وقال بعض أهل العلم: رمح هتل إنما هو «مفعل» من التل.

(3) الخاظي: الكثير اللحم، والبضيع: اللحم، والسمع الآزل: الذئب الأرسح يتولد بين الذئب والضبع، وهذه الصفة لازمة له كما يقال الضبع العرجاء، والأزل في الأصل الصغير العجز، وهو في صفات الذئب الخفيف.

(4) يجل: يلقط البعر، يربق: يشد البهيمة بالربقة، وهي عروة في حبل تشد بها صغار الغنم لئلا ترضع. تريد أن القوم أسروا أباك، فجعل يرعى غنم كأنه كان راعياً في أهله.

(5) الغرار: صنف من الغنم الصغار.

(6) تحفل: تضم، والصم الجنادل: الصخور العظيمة، وثوى: مات. تريد أن الصخور التي تغطي جسمه في قبره لا تكاد تضمه لعلو شأنه.

عـذرتـم ولكـن كنتـم مثـل ظبيـة   أضاءت لها القناص من جانب الشرى

فمـا ثـأره فيكـم ولكـن ثـأره   شريح أأردته الأسنة أم هوى[1]؟

فإن تعقب الأيام من عامر يكن   عليكـم حـريقـاً لا يـرام إذا سمـا

ليجـزيكـم بـالقتـل قتـلاً مضعفـاً   معاني دماء الحمس يا مال من بوا[2]

ولـو قتلتنـا غـالـب كـان قتلهـا   علينـا مـن العـار المجـدع للعـلا

لقد صبرت للموت كعب وحافظت   كـلاب ومـا أنتـم هنـاك لمـن رأى

* * *

---

(١) تقول: ليس لكم الفخر يا بني عبس، فإنما قاتله والمطلوب بدمه، هو شريح ابن الأحوص العامري.

(٢) تريد بالحمس: أشراف بني تميم الذين قتلوا، ومال: ترخيم مالك، والبوا: السواء والكفء.

ريطة بنت جذل الطعان

خرج دريد بن الصمة في فوارس بني جشم يريد الغارة على بني كنانة، فلما كان بوادٍ لبني كنانة رفع له رجل من ناحية الوادي وهو ربيعة بن مكدم معه ظعينة[١]. فأرسل دريد من الفرسان ثلاثة لقتله، ولما أبطأ الفرسان عليه ارتاب وظن أنهم قد أخذوا الظعينة وقتلوا الرجل، وهو لا يعرفه، فلحق بهم فوجد ربيعة بن مكدم وقد انكسر رمحه بعد أن صرع الفرسان الثلاثة، فقال له دريد: أيها الفارس، إن مثلك لا يقتل وإن الخيل ثائرة بأصحابها ولا أرى معك رمحاً، وأراك حديث السن فدونك هذا الرمح، فإني راجع إلى أصحابي فمثبطهم عنك فأتى دريد أصحابه. فقال: إن فارس الظعينة قد حماها وقتل فوارسكم وانتزع رمحي ولا طمع لكم فيه، فانصرف القوم ونجا ربيعة فقال دريد:

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله ... حامي الظعينة فارساً لم يقتل

أردى فوارس لم يكونوا نهزة[٢] ... ثم استمر كأنه لم يفعل

متهللاً تبدو أسرة وجهه ... مثل الحسام يمناه نحو المنزل[٣]

وترى الفوارس من مخافة رمحه ... مثل البغات[٤] خشين وقع الأجدل[٥]

يا ليت شعري من أبوه وأمّه؟ ... يا صاح من يكُ مثله لا يجهل[٦]

---

(١) الظعينة: المرأة ما دامت في الهودج.
(٢) النهزة: الشيء الذي هو لك معرض كالغنيمة، يقال: فلان نهزة المختلس، أي صيد لكل أحد.
(٣) ورد في الشاعرات: متهللٌ تبدو أسرة وجهه مثل الحسام جلته كفّ الصّقيل، الصقيل: جلاء السيوف وشحاذها.
(٤) البغاث: طائر أغبر.
(٥) الأجدل: الصقر.
(٦) وردت في الشاعرات: (لم يجهل).

ثم لم يلبثِ بعد ذلك إلا أن أغارت بنو كنانة رهط ربيعة على بني جشم رهط دريد فقتلوا وأسروا وغنموا وكان ممن أسروا دريد بن الصمة، فأخض نسبه، فبينما هو عندهم محبوس إذا جاءه نسوة يتهادين إليه وبينهن ريطة بنت جذل الطعان وهي شاعرة من شواعر العرب فصرخت قائلة: هلكتم وأهلكتم، ماذا جرّ علينا قومنا؟ هذا والله الذي أعطى رمحه يوم الظعينة، ثم ألقت عليه ثوبها، وقالت: يا آل فراس، أنا جارة له منكم، هذا صاحبنا يوم الوادي، فسألوه: من هو؟ فقال: أنا دريد بن الصمة، فما فعل ربيعة بن مكدم؟ قالوا: قتله بنو سليم، قال: فمن الظعينة التي كانت معه؟ قالت المرأة: ربطة بنت جذل وأنا هي، فحبسه القوم، وآمروا أنفسهم[1] وقالوا: لا ينبغي لدريد أن نكفر نعمته على صاحبنا. وقال آخرون: والله لا تخرج من أيدينا إلا برضا المخرق الذي أسره.

فانبعثت ربطة في الليل تقول:

سنجزي دريداً عن ربيعة نعمة	وكل امرىء[2] يجزى بما كان قدّما
فإن كان خيراً كان خيراً جزاؤه	وإن كان شراً كان شراً مذمّما
سنجزيه نعمى لم تكن بصغيرة	بإعطائه الرّمح الطويل[3] المقوما
فقد أدركت كفّاه فينا جزاءه	وأهلٌ بأن يجزي الذي كان أنعما
فلا تكفروه حقّ نعماه فيكم	ولا تركبوا تلك التي تملأ الفما
فلو كان حيًّا لم يضق بثوابه	ذراعاً غنياً كان أو كان معدماً
ففكوا دريداً من إسار مخارق	ولا تجعلوا البؤس إلى الشرّ سلّما

فأصبح القوم، فتعاونوا بينهم فأطلقوه، وكسته ريطة وجهّزته، ولحق بقومه، ولم يزل كافاً عن غزو بني فراس حتى هلك.

---

(١) آمروا أنفسهم: تشاوروا.

(٢) وردت في قصص العرب (ج٤): فتى.

(٣) وردت في قصص العرب (ج٤): السديد.

ريطة بنت عاصية

هي ريطة بنت عاصية النهدي شاعرة من شواعر العرب، وقد رثت أخاً لها يدعى عمراً حين قتل يوم الجرف، والجرف هو موضع قرب مكة المكرمة كانت به وقعة بين هذيل وسليم، والذي قتله هم بنو سهم بن معاوية وهم بطن من هذيل، حين خرج عمرو مع جماعة من قومه قاصدين الإغارة على بني هذيل بن مدركة علمت بهذا الأمر امرأة من بني هذيل وكانت متزوجة في (بهنر) فأرسلت تنذر قومها بخروج عمرو بن عاصية عليهم، فاجتمع بنو سهم عند بئر كاف لا بد لبني سليم أن يردوه من أجل الماء وكمنوا لهم، فلما قدم عمرو وصحبه هجموا عليه، فرمى شيخاً منهم ثم أسروه، وهنا طلب عمرو أن يوردوه الماء ثم يفعلوا ما بدا لهم، لكنهم رفضوا ذلك، ولم يسقوه، وتعاوره فتيان منهم بأسيافهم حتى قتلاه.

فقالت ريطة ترثيه:

يا لهف نفسي ولهفٌ ضله جزعاً ... على ابن عاصية المقتول بالوادي[1]

الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها ... مضرج بعد ما جاءت بإزباد

إذ جار بعض على أصحابه طفلا ... مشي السّبنتي خلال الأيكة العادي[2]

هلا سقيتم بني سهم أسيركم ... أهلي[3] فداؤك من مستورد صادي

وقالت وقد أخذت أسيرة في نساء من قومها في حال وضيعة:

---

(١) ورد في أعلام النساء:

يالهف نفسي لهفا دائماً أبداً ... على ابن عاصية المقتول بالوادي

(٢) ورد في أعلام النساء:

إذا جاء ينغص عن أصحابه طفلاً ... مشي السبنتي أمام الأيكة العادي

(٣) وردت في الأعلام (نفسي).

ألا مت سليمٌ في السياق وأفحشت وأفرط في السوق العنيف إسارها
لعلّ فتاة منهم أن يسوقها فوارس منّا وهي باد شوارها
فإن سبقت علياً سليم بذحلها خزاعة أو فاتت فكيف اعتذارها
ألا ليت شعري هل أرى الخيل شزّبا تثير عجاجاً مستطيراً غبارها
فترقا عيونٌ بعد طول بكائها ويغسل ما قد كان بالأمس عارها

وقالت:

إنّ ابن عاصية البهنريّ مصرعه خلّي عليك فجاجاً كان يحميها[1]
الوارد الماء لا يسقى بحجته ريش الحمام جرافٌ في مراكيها[2]
والمانع الأرض ذات العرض خشيته حتّى تمتع من مرعى محانيها[3]
شبّت هذيل وبهنرٌ بينها إرة فما تبوخ ولا ينفك صاليها[4]
وما تبوخ وما يصلى بجاحمها إلا مصاليت مقصود نواحيها
ككبّة الغزل تجري في أمدّتها إذا رمونا بها عدنا ندهديها
دليلة هطل بالماء آخرها حيرى جمادية قد بتّ تسريها
لا ينبح الكلب فيها غير واحدة من العرّيس ولا تسري أفاعيها
كانت هذيل تمنّى قتله سلماً فقد أجيبت فلا تعجب أمانيها
حلوٌ ومرٌ جميع الأمر مجتمع مأوى أرامل لم تعقص عفاريها
يا ليت عمراً وليتٌ ضلةٌ سفة لم يغز سهماً ولم يطلع لواديها

---

(١) ورد في الأعلام:
إن ابن عاصية المقتول بينكما خلى عليَّ فجاجاً كان يحميها

(٢) المراكي: الحياض، واحدها مركو.
(٣) المحنية: ما التوى من الوادي.
(٤) ورد في الأعلام:
شبت هذيل وبهنرٌ بينها ترة فلا تبوخ ولا يرتد صاليها.

وقالت:

ابن عاصية البصير بأنه زهم المشاش أجله الحيزوم[1]
ولو أنّه زهم المشاش لأوشكت أدم معطّفةٌ بها التّوشيم
أن يعترفن سواده وكأنّه بين البيوت وبينهنّ ظليم

* * *

(١) زهم: سمين، وأجله: أعظمه، والحيزوم: الصدر.

زرقاء اليمامة

هي الزرقاء، من بني جديس، من أهل اليمامة، قال الجاحظ: هي من بنات لقمان بن عاد وإن اسمها «عنز»، وقال المكري: إن اسمها اليمامة وبه سمي بلدها ويقال لها «زرقاء اليمامة» و«زرقاء جوّ» لزرقة عينيها. وجو اسم لليمامة، قال المتنبي:

وأبصر من زرقاء جوّ، لأنني إذا نظرت عيناي شاءهما علمي

وقد كان يضرب بها المثل في حدة النظر وجودة البصر، فيقال: «أبصرت من زرقاء اليمامة»، إذ كانت تبصر الراكب على مسيرة ثلاثة أيام فيما يزعمون وكانت تنذر قومها من الجيوش الغازية، فلا يأتيهم جيش إلا وقد استعدوا له.

وذكروا من أخبارها، أن قوماً من العرب غزا اليمامة فلما قربوا من مسافة نظرها قالوا: كيف لكم بالوصول مع الزرقاء! فاجتمع رأيهم على أن يقتلعوا شجراً تستر كل شجرة منها الفارس إذا حملها، وكانت تلك حيلة حسان بن تبّع الحميري، فقطع كل واحد منهم بمقدار طاقته وساروا بها، فأشرقت كما كانت تفعل، فقال لها قومها: ما ترين يا زرقاء؟ وذلك في آخر النهار، قالت: يا قوم قد أتتكم الشجر[1] أو أتتكم حمير.. فقالوا: كذبتك عيناك قد خرفت وذهب عقلك ورق بصرك.

فقالت على مثال رجز:

أقسم بالله لقد دب الشجر أو حمير قد أخذت شيئاً يجر

---

(١) أتتكم الشجر: أي احتال من غزاهم فقطعوا شجرا وأمسكوها أمامهم بأيديهم لتستر كل شجرة منها الفارس إذا حملها.

فلم يصدقوها واستهانوا بقولها. فقالت: أحلف بالله لقد أرى رجلاً ينهس كتفاً أو يخصف النعل. فلم يصدقوها ولم يستعدوا، فقالت تنذر قومها:

خذو حذاركم يا قوم ينفعكم ... فليس ما قد أرى بالأمر يحتقر
إني أرى شجراً من خلفها بشرٌ ... وكيف تجتمع الأشجار والبشر؟
ثوروا بأجمعكم في وجه أوّلهم ... فإنّ ذلك منكم فاعلموا ظفر
حنموا طوائفكم من قبل داهية ... من الأمور التي تخش وتنتظر
فقد زجرت سنيح القوم باكرة ... لو كان يعلم ذاك القوم إذ بكروا
إني أرى رجلاً في كفّه كتفٌ ... أو يخصف النّعل خصفاً ليس يعتسر
فُوروا كلّ ماء قبل ثالثة ... فليس من بعده ورد ولا صدر
وعاجلوا القوم عند الليل إن رقدوا ... ولا تخافوا لهم حرباً وإن كثروا
وغوروا كلّ ماء دون منزلهم ... فليس من دونه نحس ولا ضرر

فكذبوها، ولما أصبحوا صبحهم القوم، فاكتسحوا أموالهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأخذوا الزرقاء فقلعوا عينها فوجدوا فيها عروقاً سوداء، فسئلت عنها فقالت: إني أديم الاكتحال بالإثمد فلعل هذا منه، وماتت بعد ذلك بأيام.

وقالوا في خبرها: إن هنداً بنت النعمان بن المنذر كانت تهوى زرقاء اليمامة، وأنها أول امرأة أحبت امرأة في العرب، وعندما بلغها خبر الزرقاء ترهبت ولبست المسوح وبنت ديراً يعرف بدير هند إلى الآن، فأقامت فيه حتى ماتت.

* * *

العجماء بنت علقمة السعدية

من ربات الفصاحة والبلاغة وضرب الأمثال، خرجت العجماء بنت علقمة السعدية وثلاث نسوة من قومها من بني سعد في ليلة طلقة فتواعدن روضة يتحدثن فيها، فوافين بها ليلاً في قمر زاهر، وليلة طلقة ساكنة، وروضة معشبة خصبة. فلما اطمأن بهن المجلس أخذن في الحديث فقلن: ما رأينا كالليلة ليلة، ولا كهذه الروضة روضة أطيب ريحاً ولا أنضر! ثم أفضن في الحديث فسألن: أيّ النساء أفضل؟ قالت إحداهن: الخرود[1] الودود الولود. قالت الأخرى: خيرهن ذا الغناء، وطيب الثناء، وشدة الحياء. قالت الثالثة: خيرهن السموع[2]، النفوع، غير المنوع. قالت الرابعة: خيرهن الجامعة لأهلها، الوادعة، الرافعة لا الواضعة.

ثم قلن: فأي الرجال أفضل؟ قالت إحداهن: إن أبي يكرم الجار، ويعظم النار، وينحر العشار[3] بعد الحوار[4]، ويحمل الأمور الكبار، ويأنف من الصغار.

فقالت الثانية: إن أبي عظيم الخطر، منيع الوزر[5]، عزيز النفر، يحمد منه الورد والصدر[6]. فقالت الثالثة: إن أبي صدوق اللسان، حديد

---

(١) الخرود: الحيية الطويلة السكوت.
(٢) السموع: التي تسمع القول.
(٣) العشار: جمع عشراء وهي الناقة التي مضى لحملها عشرة أشهر.
(٤) الحوار: ولد الناقة ساعة تضعه، أو إلى أن يفصل عن أمه.
(٥) الوزر: الملجأ.
(٦) الورد: الورود على الماء، والصدر: العودة من الاستقاء.

الجنان[١]، كثير الأعوان، يروي السنان عند الطعان. فقالت الرابعة: إن أبي كريم النزال، منيف[٢] المقال، كثير النوال، قليل السؤال، كريم الفعال.

وقد وردت الأقوال في رواية أخرى على النحو التالي: ثم قلن: فأي الرجال خير؟ قالت إحداهن: الحظي الرخي القنوع غير الحظال ولا التنبال. وقالت الأخرى: بل خير الرجال الوفي السني الذي يكرم الحرة ولا يجمع الضرة. وقالت الأخرى: بل خير الرجال الغني المقيم الراخي لا يلوم. وقالت الأخرى: وأبيكن إن في أبي لنعتكن.

ثم تنافرت[٣] إلى كاهنة معهنّ في الحي، فقلن لها: اسمعي ما قلنا، واحكمي بيننا واعدلي، ثم أعدن عليها قولهن، فقالت لهن: كل واحدة منكن ماردة[٤]، بأبيها واجدة[٥]، على الإحسان جاهدة لصواحباتها حاسدة، ولكن اسمعن قولي: خير النساء المبقية على بعلها، الصابرة على الضراء مخافة أن ترجع إلى أهلها، فهي توثر حظ زوجها على حظ نفسها، فتلك الكريمة الكاملة. وخير الرجال، الجواد البطل، القليل الفشل، إذا سأله الرجل ألفاه قليل العلل، كثير النفل[٦].

ثم قالت: «كل فتاة بأبيها معجبة»[٧].

* * *

---

(١) الجنان: القلب.
(٢) منيف المقال: مرتفع.
(٣) تنافرت: ذهبن وتحاكمن.
(٤) ماردة: عاتية قد بلغت الغاية.
(٥) وجد به: أحبه.
(٦) النفل: العطية.
(٧) ذهبت مثلاً.

عفيرة بنت عباد الجدسية

هي امرأة من جديس تدعى الشموس، شاعرة من شاعرات العرب في الجاهلية.

كان «عمليق» وهو ملك جديس وطسم «وهو من طسم» ظالماً متحدياً في غوايته، حتى قيل إنه جاءه بعضهم فاحتكموا إليه في أمر، فحكم حكماً غير عادل، فقالت امرأة من جديس:

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا فأنقذ حكما في هزيلة ظالما
لعمري لقد حكمت لا متورعا ولا كنت فيما يبرم الحكم عالما
ندمت ولم أندم وأنّى لعثرتي وأصبح بعلي في الحكومة نادما

فلما سمع عمليق قولها أمر أن لا تزوج بكر من جديس وتهدى إلى زوجها حتى يفترعها هو قبل زوجها، فلقوا من ذلك بلاء وجهداً وذلاً. فلم يزل يفعل هذا حتى زوجت الشموس، وهي عفيرة بنت عباد، أخت الأسود، الذي وقع إلى جبل طيء، فقتله طيء وسكنوا الجبل من بعده. فلما أرادوا حملها إلى زوجها انطلقوا بها إلى عمليق لينالها قبله، ومعها القيان يتغنين:

إبدى بعمليق وقومي فاركبي وبادري الصّبح لأمر معجب
فسوف تلقين الذي لم تطلبي وما لبكر عنده من مهرب

فلما أن دخلت عليه افترعها وخلا سبيلها فخرجت إلى قومها في دمائها شاقة درعها من قبل ومن دبر وهي في أقبح منظر قائلة:

لا أحد أذل من جديس أهكذا يفعل بالعروس؟
يرضى بهذا يا لقومي حر؟ أهدى وقد أعطى وسيق المهر

لأخـــذة المـــوت كـــذا لنفســـه   خيـرٌ مـن أن يفعـل ذا بعـرسـه

وقالت تحرض قومها فيما أتى إليها:

أيجمـل مـا يـؤتـى إلـى فتيـاتكـم   وأنتـم رجـالٌ فيكـم عـدد النمـل
وتصبح تمشي في الدماء عفيرة   جهاراً وزفت في النساء إلى بعل[1]
ولـــو أننـــا كنـــا رجـــالاً وكنتـــم   نســـاء لكنـــا لا نقـــر بـــذا الفعـــل
فموتوا كراماً أو أميتوا عدوكم   ودبوا لنار الحرب بالحطب الجزل
وإلا فخلّـــوا بطنهـــا وتحملـــوا   إلى بلد قفر وموتوا من الهزل
فللبيـن خيـرٌ مـن تمـاد علـى أذى   وللموت[2] خيرٌ من مقام على الذل
وإن أنتـم لـم تغضبـوا بعـد هـذه   فكونوا نساء لا تعاب من الكحل
ودونكـم طيـب العـروس فـإنمـا   خلقتـم لأثـواب العـروس والنسـل
فبعـداً وسحقـاً للـذي ليـس دافعـا   ويختال يمشي بيننا مشية الفحل

فلما سمع الأسود أخوها ذلك وكان سيداً مطاعاً قال لقومه: يا معشر جديس إن هؤلاء القوم ليسوا بأعز منكم في داركم إلا بما كان من ملك صاحبهم علينا وعليهم، ولولا عجزنا وادهاننا ما كان له فضل علينا ولو امتنعنا لكان لنا منه النصف فأطيعوني فيما آمركم به فإنه عز الدهر وذهاب ذل العمر واقبلوا رأيي. وقد أحمى جديساً ما سمعوا من قولها فقالوا: نطيعك ولكن القوم أكثر وأحمى وأقوى.

قال: فإني أصنع للملك طعاماً ثم أدعوهم له جميعاً فإذا جاؤوا يرفلون من الحلل ثرنا إلى سيوفنا وهم غارون فأهمدناهم بها. قالوا: نفعل ونصنع طعاماً كثيراً وخرج به إلى ظهر بلدهم ودعا عمليقاً وسأله أن يتغذى عنده هو وأهل بيته. فأجابهم إلى ذلك وخرج إليه مع أهله يرفلون في الحلي والحلل حتى إذا أخذوا مجالسهم ومدوا أيديهم إلى الطعام أخذوا سيوفهم

---

(١) وردت في أعلام النساء:
وتصبح تمشي في الرعاء عفيرة   عفيرة زفت في النساء إلى بعل
(٢) وردت في أعلام النساء: «ولا الموت».

من تحت أقدامهم. فشد الأسود على عمليق فقتله وكل رجل منهم على جليسه حتى أماتوهم فلما فرغوا من الأشراف شدوا على السفلة فلم يدعوا منهم واحداً. وقال الأسود في ذلك:

ذوقـي ببغيـك يـا طسـم مجللـة   فقد أتيت لعمري أعجب العجب
إنـا أتينـا فلـم ننفـك نقتلهـم   والبغيي هيج منها سورة الغضب
ولـن يعـودوا علينـا بغيهـم أبـداً   ولن يكونوا كذي أنف ولا ذنب
وإن وعيتـم لنـا قـربـى مـؤكـدة   كنا الأقارب في الأرحام والنسب

* * *

عصام الكندية

من ربات الرأي والعقل والفصاحة والبلاغة والفضل والأدب. دعاها الحارث بن عمرو ملك كندة عندما بلغه جمال ابنة عوف بن محلم الشيباني وكمال وقوة عقلها وفصاحة لسانها وأدبها، وقال لها: اذهبي حتى تعلمي لي علم ابنة عوف. فمضت عصام حتى انتهت إلى بنت عوف أمامة بنت الحارث فأعلمتها ما قدمت له، فابعثت إلى ابنتها أن تحضر وقالت لها: أي بنية هذه خالتك أتتك لتنظر إليك فلا تستري عنها شيئاً أرادت النظر إليه من وجه وخلق، وناطقيها إذا استنطقتك.

فدخلت إليها فنظرت إلى مالم تر قط مثله فخرجت من عندها وهي تقول: ترك الخداع من كشف القناع فأرسلتها مثلاً.

ثم انطلقت إلى الحارث فلما رآها مقبلة قال لها: ما وراءك يا عصام؟ قالت: صرح المخض عن الزند[١]. قال: أخبريني. قالت: أخبرك صدقاً وحقاً. رأيت جبهة كالمرآة الصقيلة، يزينها شعر حالكٌ كأذناب الخيل المضفورة، إن أرسلته خلته السلاسل، وإن مشطته قلت عناقيد كرم جلاها الوابل[٢]، وحاجبين كأنما خطا بقلم أو سودا بحمم[٣]، وقد تقوسا على عين الظبية العبهرة[٤]، التي لم يرعها قانص ولم يزعرها قسورة[٥]، بينهما

---

(١) مخض اللبن: أخذ زبده، والتصريح التبين وهو مثل يضرب للأمر إذا انكشف.

(٢) الوابل: المطر الشديد.

(٣) الحمم: الضمم.

(٤) العبهرة: الرقيقة البشرة الناصعة البياض.

(٥) القسورة: الرماة من الصيادين.

أنفٌ كحد السيف المصقول، ولم يخنس[1] به قصر، ولم يمض به طول، حفت به وجنتان كالأرجوان[2] في بياض محض كالجمان[3]، شق فيه فمٌ كالخاتم، لذيذ المبتسم فيه ثنايا غر ذوات أشر[4]، وأسنان تبدو كالدرر، يتقلب فيه لسان ذو فصاحة وبيان، يحركه عقل وافر، وجوابٌ حاضر، تلتقي فيه شفتان حمراوات تحلبان ريقاً كالشهد، إذ دلك في رقبة بيضاء كالفضة، ركبت في صدر كصدر تمثال دمية. وعضدان مدمجان، يتصل بهما ذراعان ليس فيهما عظم يمس ولا عرق يجس، وركبت فيهما كفان دقيق قصبهما لين عصبهما، تعقد إن شئت منهما الأنامل نتأ في ذلك الصدر ثديان كالرمانتين يخرقان عليها ثيابها تحت ذلك بطن طوى طي القباطي المدمجة كرعكنا كالقراطيس المدرجة تخيط بتلك العكن سرة كالمدهن المجلو خلف ذلك ظهر فيه كالجدول ينتهي إلى خصر لولا رحمة الله لانبتر لها كفل يقعدها إذا نهضت وينهضها إذا قعدت كأنه دعص الرمل لبده سقوط الطل يحمله فخذان لفا كأنما قلبا على نضد جمان تحتهما ساقان خدلتان كالبردتين وشيتا بشعر أسود كأنه حلق الزرد يحمل ذلك قدمان كحذو اللسان فتبارك الله مع صغرهما كيف تطيقان حمل ما فوقهما. فأرسل الملك إلى أبيها فخطبها فزوجها إياه وبعث بصداقها فجهزت.

***

(١) خنس: تأخر، والخس: تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة.

(٢) الأرجوان: صبغ أحمر.

(٣) الجمان: اللؤلؤ.

(٤) أشر الأسنان: التخريز الذي فيها.

أم عقبة

هي أم عقبة بنت عمرو بن الأبجر من بني يشكر، شاعرة من شواعر العرب، تزوجها ابن عم لها يقال له غسان بن جهضم بن العذافر، وكان لها محباً، وكانت هي كذلك، ولما حضره الموت وظهر أنه مفارق الدنيا، قال ثلاثة أبيات، ثم قال: اسمعي يا أم عقبة ثم أجيبي، فقد تاقت نفسي إلى مسألتك عن نفسك، فقالت: والله لا أجيبك بكذب ولا أجعله آخر حظي فيك، فقال:

أخبريني بالذي تريدين بعدي والذي تضمرين يا أم عقبة
تحفظيني من بعد موتي كما قد كان مني من حسن خلق وصحبه
أم تريدين ذا جمال ومال وأنا في التراب في سحق غربه

فأجابته تقول:

قد سمعنا الذي تقول وما قد خفته يا خليل من أم عقبة[1]
أنا من أحفظ النساء وأرعا ها لما قد أوليت من حسن صحبه
سوف أبكيك ما حييت بشجو[2] ومراث أقولها وبندبه

فلما سمع ذلك أنشأ يقول:

أنا والله واثقٌ فيك لكن ربّما خفت منك غدر النساء[3]

---

(١) ورد البيت في أعلام النساء:
قد سمعت الذي تقول وماقد يابن عمي تخاف من أم عقبه
(٢) ورد في أعلام النساء: «بنوح».
(٣) ورد البيت في أعلام النساء:
أنا والله واثق بك لكن احتياطاً أخاف غدر النساء

بعد موت الأزواج يا خير من عو شر وارعي حقي بحسن الوفاء
إنني قد رجوت أن تحفظي العهـ ـد فكوني إن متّ عند الرجاء

ثم اعتقل لسانه، بعد أن أخذ عليها العهود، ولم ينطق حتى مات، فلم تلبث بعده حتى خطبت من كل جانب، ورغب فيها الأزواج لاجتماع الخصال الفاضلة فيها من العقل والجمال والعطاف، فقالت مجيبة لهم:

سأحفظ غساناً على بعد داره وأرعاه حتى نلتقي يوم نحشر
وإني لفي شغل عن الناس كلهم فكفوا فما مثلي بمن مات يغدر
سأبكي عليه ما حييت بعبرة[1] تجول على الخدين مني فتهمر

ولما تطاولت الأيام والليالي تناست عهده، ثم قالت: من مات فقد فات، فأجابت بعض خطابها فتزوجها فلما كانت الليلة التي أراد الدخول بها فيها أتاها غسان في منامها وقال:

غدرت ولم ترعي لبعلك حرمة ولم تعرفي حقاً ولم تحفظي عهدا
ولم تصبري حولاً حفاظاً لصاحب حلفت له يوماً[2] ولم تنجزي وعدا
غدرت به لما ثوى في ضريحه كذلك ينسى كلّ من سكن اللحدا

فلما سمعت هذه الأبيات انتبهت مرتاعة كأن غسان معها في جانب البيت، وأنكر ذلك من حضر من نسائها، فأنشدتهن الأبيات، فأخذن بها في حديث ينسينها ما هي فيه، فقالت لهن: والله ما بقي لي في الحياة من أرب حياء من غسان، فتغفلتهن فأخذت مدية، فلم يدركنها حتى ذبحت نفسها.

فقالت امرأة منهن هذه الأبيات:

لله درّك مـــاذا لقيـــت فـــي غســـان
قتلـــت نفســـك حـــزنـــا يـــا خيـــرة النســـوان
وفيت من بعد ما قد هممـــت بـــالعصيـــان

---

(١) وردت في أعلام النساء: «بدمعة».
(٢) وردت في أعلام النساء: «بتا».

وذو المعـــالـــي غفـــورٌ   لسقطـــــــة الإنســــــان
إن الـــوفـــاء مـــن اللـ   ـــه لـــم يـــزل بمكـــان

فلما بلغ ذلك المتزوج بها قال: ما كان فيها مستمتع بعد غسان.

* * *

فاطمة بنت مرّ

هي فاطمة بنت مرّ الخثعمية شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية، وكاهنة من كاهناتهم، وكانت تملك جمالاً يفوق أجمل نساء عصرها، وأعفهن، وقد قرأت الكتب الكثير ودرست علائم النبي المبشر، ولما رأت عبدالله بن عبد المطلب والد الرسول ﷺ قالت له: يا فتى هل لك أن تقع عليّ الآن وأعطيك مائة من الإبل، فقال:

أمـا الحـرام فـالممـات دونـه   والحـــل لا حـــلّ فـــأستبينـــه
فكيـف بـالأمـر الـذي تبغينـه

ثم قال: أنا مع أبي ولا أقد أن أفارقه، فمضى به والده، فزوجه من آمنة بنت وهب[1] أم الحبيب المصطفى ﷺ، فأقام عندها ثلاثاً، ثم انصرف فمر بفاطمة الخثعمية، فلم تعرض عليه طلبها وهذا ما أثار عجبه وفضوله إلى معرفة سر هذا التحول من التعرض له بالأمس.. إلى الإعراض عنه اليوم فقال لها سائلاً: «مالك لا تعرضين علي اليوم، ما كنت عرضت علي بالأمس»؟ سؤال يستكشف به غامض سر تقلب النفوس في إقبالها وإعراضها.. وليس لاستشرافه لما أعرض عنه ورفضه بالأمس.. فكان جوابها العجيب أن قالت: يا فتى إني والله ما أنا بصاحبة ريبة، ولكن فارقك النور الذي كان معك بالأمس، وأردت أن تكون فيّ وأبى الله إلا أن يحمله حيث أراد، فليس لي بك اليوم حاجة[2]، فما صنعت بعدي؟ قال: زوجني أبي آمنة بنت وهب، فأقمت عندها ثلاثاً، فأنشأت فاطمة تقول:

---

(١) آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة.
(٢) هذا الحوار بنصه عند ابن هشام في كتابه (السيرة النبوية) (ج١/ ١٥٦، ١٥٧).

إنـــي رأيـــت مَخيلـــة لمعـــت   فتـــلألأت بخـــاتـــم القطـــر[1]
فلمـــأتهـــا نـــوراً يضـــي لـــه   مـــا حـــولـــه كـــإضـــاءة البـــدر[2]
ورأيـــت سقيـــاهـــا حيـــا بلـــد   وقعـــت بـــه وعمـــارة القفـــر
فـــرجـــوتهـــا فخـــراً أبـــوء بـــه   مـــا كـــلّ قـــادح زنـــده يـــوري[3]
لله مـــا زهـــريـــة سلبـــت   ثوبيك ما استلبت وما تدري[4]

وقالت فاطمة[5] أيضاً:

بني هاشم قد غادرت من أخيكم   أمينـــة إذ للبـــاه تعتـــركـــان[6]
كما غادر المصباح عند خموده[7]   فتـــائـــل قـــد ميتـــت لـــه بـــدهـــان
وما كلّ ما يحوي الفتى من تلاده   لعـــزم ولا مـــا فـــاتـــه لتـــوان
فـأجمـل إذا طـالبـت أمـراً فـإنّـه   سيكفيكـــه جـــدّان يعتلجـــان[8]
سيكفيكـــه إمّـــا يـــدٌ مقفعلّـــةٌ   وإمّـــا يـــدٌ مبســـوطـــةٌ ببنـــان[9]

---

(١) الأبيات في «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٤٥)، و«الروض الأنف»: (١/ ١٠٥). والخاتم جمع ختم: السحاب الأبيض. وردت (لمعت) في بلاغات النساء «نشأت».

(٢) لمأتها: أبصرتها. والبيت في «اللسان»: لمأ. وفي «السهيلي» : يضيء به. وردت فلمأتها في بلاغات النساء: «فلما بها».

(٣) وردت «فرجوتها فخراً» في بلاغات النساء «ورأيتها شرفاً».

(٤) رواية السهيلي:

لله مـــا زهـــريـــة سلبـــت   منك الذي استسلبت وما تدري

(٥) وقيل: اسمها قتيلة. رقيقة. وقيل: ليلى العدوية. وقيل: امرأة من تبالة. ويقال: من خثعم ويقال: كانت يهودية. وقال السهيلي في روض الأنف وفي غريب ابن قتيبة أن التي عرضت نفسها عليه هي ليلى العدوية. وعند الجمهور هي فاطمة بنت مرّ الخثعمية. وجاء في شرح الزرقاني على المواهب. ويقال رقيقة بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل وتكنى أم قتال كانت تسمع من أخيها أنه كائن في هذه الأمة نبي فقالت لعبد الله حين نظرت إلى وجهه ما قالت.

(٦) في بلاغات النساء وردت: «يهتلجان».

(٧) وكذا وردت في البلاغات «خبوة».

(٨) وردت في البلاغات «يصطرعان».

(٩) اقفعلت به اقفعلالاً: تشنجت وتقبضت.

ولما حوت منه أمينة ما حوت حـوت منه فخـراً مـا لـذلـك ثـان
ولما قضت منه أمينة ما قضت نبـا بصـري عنـه وكـلّ لسـانـي[1]

* * *

(١) تاريخ الطبري وفي الروض الأنف أنها قالت:

إنـــي رأيـــت مخيلـــة نشـــأة فتـــلألأت بحنـــاتـــم القطـــر
فلمـــأتهـــا نـــوراً يضـــيء بـــه مـــا حـــولـــه كـــإضـــاءة الفجـــر
ورأيتـــه شـــرفـــاً أبـــوء بـــه مـــا كـــل قـــادح زنـــده يـــروى
لله مـــا زهـــريـــة سلبـــت منك الذي استيلت وما تدري

تاريخ الطبري وفي المفاخر أنها قالت:

بني هاشم قد غادرت من اخيكم أمنيـــة إذ اللبـــاه يعتلجـــان
كما غادر المصباح بعد خبوه فتـائـل قـد مثيـت لـه بـدهـان
وما كل ما يحوي الفتى من نصيبه بحـــزم ولا مـــافـــاتـــه بتـــوان
فأجمل إذا طالبت أمراً فإنه سيكفيـــه جـــدّان يصطـــرعـــان

هند بنت النعمان بن المنذر

هي هند بنت النعمان بن المنذر بن امرىء القيس بن النعمان النحمية[١]. من ربات النبل والشرف والشعر والأدب والحسن والجمال، عشقها عدي بن زيد[٢]، فخرجت في خميس الفصح وهو بعد السعانين بثلاثة أيام تتقرب في البيعة، ولها حينئذ إحدى عشرة سنة وذلك في ملك المنذر.

وقد قدم عدي حينئذ بهدية من كسرى إلى المنذر والنعمان يومئذ فتى شاب فاتفق دخولها البيعة وقد دخلها عدي يتقرب وكانت مديدة القامة، عبلة الجسم، فرآها عدي وهي غافلة فلم تنتبه له، حتى تأملها، وقد كان جواريها رأين عدياً وهو مقبل، فلم يقلن لها ذلك. كي يراها عدي، وإنما فعلن هذا من أجل أمة لهند يقال لها: مارية قد كانت أحبت عدياً فلم تدر كيف تأتي له، فلما رأت هند عدياً ينظر إليها شق ذلك عليها وسبت جواريها، ونالت بعضها بالضرب، فوقعت هند في نفس عدي فلبث حولاً لا يخبر بذلك أحداً فلما كان بعد حول، ظنت مارية أن هنداً قد أضربت عما جرى وصفت لها بيعة توما ووصفت لها من فيها من الرواهب ومن يأتيها من جواري الحيرة وحسن بنائها وشرحها وقالت لها: سلي أمك الإذن لك في إتيانها. فسألتها ذلك. فأذنت لها. وبادرت مارية إلى عدي فأخبرته الخبر. فبادر فلبس يلمقا كان «فرخانشاه مرد» قد كساه إياه وكان

---

(١) في الأغاني أنها تلقب بالحزقة. وفي معجم البلدان: الخرقة.

(٢) شاعر فصيح من شعراء الجاهلية كان نصرانياً وكذلك أبوه وأمه وأهله وليس ممن يعد بالفحول وهو قروي.

مذهباً لم ير مثله حسناً وكان عدي حسن الوجه، مديد القامة، حلو العينين، حسن المبسم، نقي الثغر، وأخذ معه جماعة من فتيان الحيرة فدخل البيعة، فلما رأته مارية قالت لهند: انظري إلى هذا الفتى فهو والله أحسن من كل ما ترين من السرج وغيرها. قالت: ومن هو؟ قالت: أتخافين أن يعرفني إن دنوت منه لأرى من قريب. قالت: ومن أين يعرفك وما رآك قط من حيث يعرفك. فدنت منه وهو يمازح الفتيان الذين معه وقد برع عليهم بجماله. وحسن كلامه وفصاحته وما عليه من الثياب فذهلت لما رأته وبهتت تنظر إليه. وعرفت مارية ما بها وتبينته في وجهها فقالت لها: كلميه فكلمته وانصرفت وقد تبعته نفسها وهويته وانصرف بمثل حالها ثم أتى عدي النعمان بعد الفصح بثلاثة أيام وذلك يوم الأثنين فسألة أن يتغدى عنده هو وأصحابه ففعل فلما أخذ منه الشراب خطبها إلى النعمان فأجابه وزوجه وضمها إليه بعد ثلاثة أيام فكانت معه حتى قتله النعمان[١] فترهبت وحبست نفسها في الدير المعروف بدير هند في ظاهر الحيرة[٢].

وقالت هند تنذر بكر بن وائل في وقعة ذي قار وذلك لما غضب كسرى «أبرويز هرمز» على النعمان بن المنذر:

ألا أبلغ بني بكر رسولا ... فقد جد النفير بعنقفير
فليت الجيش كلهم فداكم ... ونفسي والسرير وذا السرير

(١) وفي رواية عن بعض علماء أهل الحيرة: أن عدياً كان زوج أخت النعمان. وقالت رواة العرب: أنه كان زوج ابنته هند.

(٢) في رواية خالد بن كلثوم وفي رواية ابن الكلبي: أنها ترهبت بعد ثلاث سنين ومنعته نفسها واحتبست في الدير حتى ماتت وفي رواية: أن كسرى حبس أباها النعمان بن المنذر فأعطت هند عهد الله إن رده الله إلى ملكه أن تبني ديراً تسكنه حتى تموت فخلى كسرى عن أبيها النعمان فبنت الدير وأقامت به إلى أن ماتت وروى ابن حبيب عن ابن الأعرابي أن النعمان لما حبس عدياً أكرهه في أمر هند بنت النعمان على طلاقها ولم يزل به حتى طلقها وقد روى عن ابن الكلبي أن هنداً كانت تهوى زرقاء اليمامة وأنها أول امرأة أحبت امرأة في العرب.

كأني حين جد بهم إليكم معلقة الذوائب بالعبور
فلو أني أطقت لذاك دفعاً إذاً لدفعته بدمي وزيري

ودخل عليها خالد بن الوليد لما فتح الحيرة فسلمت عليه فقال لها لما عرفها أسلمي حتى أزوجك رجلاً شريفاً مسلماً. فقالت له: أما الدين فلا رغبة لي فيه غير دين آبائي وأما التزويج فلو كانت في بقي لما رغبت فيه فكيف وأنا عجوز هرمة أترقب المنية بين اليوم وغد. فقال: سليني حاجة فقالت: هؤلاء النصارى الذين في ذمتكم تحفظونهم قال: هذا فرض علينا وأوصانا به نبينا محمد ﷺ قالت: مالي حاجة غير هذا فإني ساكنة في هذا الدير الذي بنيته ملاصق لهذه الأعظم البالية من أهلي حتى ألحق بهم.

فأمر لها خالد بمعونة ومال وكسوة. فقالت: أنا في غنى عنه لي عبدان يزرعان مزرعة لي أتقوت بما يخرج منها ويمسك الرمق وقد اعتددت بقولك فعلا ويعرضك نقداً.

فقال لها أخبريني بشيء أدركت. قالت: ما طلعت الشمس بين الخورنق(١) والسدير(٢) إلا على ما هو تحت حكمنا فما أمسى المساء حتى صرنا خولاً لغيرنا ثم أنشأت تقول:

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتنصف
فتبا لدنيا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف

ثم قالت: اسمع مني دعاء كنا ندعو به لأملاكنا شكرتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر وأصاب الله بمعروفك مواضعه ولا أزال عن كريم نعمة إلا جعلك سبباً لردها إليه ولا جعل لك إلى لئيم حاجة. فتركها خالد وخرج. فجاءها النصارى وقالوا: ما صنع بك الأمير فقالت:

---

(١) الخورنق: موضع بالكوفة.
(٢) السدير: قصر قريب من الخورنق.

صان لي ذمتي وأكرم وجهي　　　إنما يكرم الكريم الكريم[1]

وسار المغيرة[2] بن شعبة إلى دير هند بنت النعمان وهي فيه عمياء مترهبة متنصرة ابنة تسعين سنة فاستأذن عليها فقيل لها: أمير هذه الخدرة[3] فقالت: قولوا له: أمن ولد جبلة بن الأيهم أنت؟ قال: لا. قالت: أمِنْ ولد المنذر بن ماء السماء؟ قال: لا. قالت: ممن أنت؟ قال: المغيرة بن شعبة الثقفي! قالت: فما حاجتك؟ قال: جئتك خاطباً. قالت: لو كنت جئت تبغي جمالاً أو ديناً لزوجناك. ولكنك أردت أن تتشرف بي في محافل العرب فتقول: نكحت ابنة النعمان بن المنذر، وأي خير في اجتماع أعور وعمياء وهذا الصليب مالا يكون أبداً وما يكفيك فخراً أن تكون في ملك

---

(١) معجم البلدان لياقوت. وفي شرح ديوان الحماسة لأبي تمام: أنه لما قدم سعد بن وقاص أميراً على القادسية أتته خرقة بنت النعمان في جوار كلهن مثل زيها يطلبن صلته فلما وقفن بين يديه قال: أيتكن خرقة بنت النعمان؟ قلن: هذه وأشرن إليها. فقال لها: أنت خرقة. قالت: نعم. فما تكرارك الاستفهام إن الدنيا دار زوال وإنها لاتدوم على حال إنا كنا ملوك هذا المصر من قبلك يجبى إلينا خراجه ويعطينا أهله زمان الدولة فلما أدبر الأمر وانقضى صاح بنا صائح الدهر فصدع عصانا وشتت جمعنا وكذلك الدهر يا سعد انه ليس من قوم بسرور وحبرة إلا والدهر معقبهم حسرة ثم أنشدت تنشد هذين البيتين:

بينا نسوس الناس والأمر أمرنا　　　إذا نحن فيهم سوقة نتنصّف

فأف لدنيا لا يدوم نعيمها　　　تقلب تارات بنا وتصرف

فأكرمها سعد وأحسن جائزتها فلما أرادت فراقه قالت له: لا أنصرف عنك حتى أحييك تحية أملاكنا بعضهم لبعض: لا جعل الله لك إلى لئيم حاجة ولا زال الكريم عندك حاجة ولا نزع من عبد صالح نعمة إلا جعلك سبباً لردها عليه فلما خرجت من عنده تلقاها نساء المصر فقلن لها: ما صنع الأمير؟ قالت: صان ذمتي وأكرم وجهي إنما يكرم الكريم الكريم.

(٢) المغيرة بن شعبة: من ثقيف، أسلم على عهد النبي ﷺ، وشهد بيعة الرضوان وفتوح الشام واليرموك والقادسية، ولاه عمر البصرة، ومات بالكوفة وهو أميرها سنة ٥٠ هـ.

(٣) الخدرة: أي الكوفة.

النعمان وبلاده فتديرها كما تريد وبكت. فقال: أي العرب كانت أحب إلى أبيك؟ قالت: ربيعة. قال: فأين كان يجعل قيساً؟ قالت: كان يستعفيهم من طاعته. قال: فأين كان يجعل ثقيفاً! قالت: رويدك لا تجعل بيننا أنا ذات يوم جالسة إلى خدر لي إلى جنب أبي إذ دخل عليه رجلان أحدهما من هوازن والآخر من بني مازن كل واحد منهما يقول: إن ثقيفاً منا وأنشأ يقول:

إن ثقيفاً لم يكن هوازنا ولم يناسب عامرا ومازنا
إلا قريباً فانشروا المحاسنا

فخرج المغيرة وهو يقول:

أدركت ما منيت نفسي خاليا لله درك يا ابنة النعمان
فلقد رددت على المغيرة ذهنه إن الملوك ذكية الأذهان
إني لحلفك بالصليب مصدق والصدق أصدق حلفة الرهبان[1]

---

(١) الأغاني. وفي الكامل للمبرد أن المغيرة قال لهند: فما كان أبوك يقول في ثقيف؟ قالت اختصم إليه رجلان منهم أحدهما ينميها إلى إياد والآخر إلى بكر بن هوازن فقضى بها للايادي وقال:

إن ثقيفاً لم تكن هوازناً ولم تناسب عامراً ومازنا

يريد عامر بن صعصعة ومازن بن منصور. فقال المغيرة: أما نحن فمن بكر بن هوازن فليقل أبوك ما شاء. وفي مروج الذهب: أن المغيرة قال لهند: أخبريني ماكان أبوك يقول في هذا الحي من ثقيف؟ قالت: كان ينسبهم من إياد وقد افتخر عنده رجلان من ثقيف أحدهما إلى هوازن والآخر إلى إياد فقال أبي: مالحي على إياد فضل فخرجا وأبي يقول:

إن ثقيفاً لم تكن هوازناً ولم تناسب عامراً ومازناً
إلا حديثاً واثبتوا المحاسنا

فقال المغيرة: أما نحن فمن هوازن وأبوك أعلم. قال: أخبريني أي العرب كان أحب إلى أبيك؟ قالت: أطوعهم له قال: ومن أولئك؟ قالت: بكر بن وائل. قال: فأين بنو تميم؟ قالت: ما استعنتهم في طاعة. قال: فقيس؟ قالت: =

وقيل إن عبيد الله بن زياد أتى هنداً فسألها عما أدركت ورأت؟ فأخبرته ثم قالت: كنا مغبوطين فأصبحنا مرحومين. فأمر لها بوسق من طعام ومائة دينار. فقالت: أطعمتك يدٌ شبعن فجاعت لا يدٌ جوعى فشبعت[1]. وقال لها هانىء بن قبيصة ورآها تبكي: مالك تبكين؟ قالت: رأيت لأهلك غضارة. ولم تمتلىء دار قط فرحاً إلا امتلأت حزناً. وينسب إليها دير هند الصغرى بالحيرة. وقال: «المدائني» قيل لابنة النعمان بن المنذر في أي شيء كانت لذة أبيك؟ قالت: في الشراب ومحادثة ذوي الألباب قيل: فصفي لنا ما كنتم فيه. قالت: أطيل أم أوجز. قيل: أوجزي. قالت: أصبحنا والناس يغبطوننا فلم نمسي حتى رحمنا عدونا.

* * *

= ما اقتربوا إليه بما يحب إلا استعقبوه بما يكره. قال: فكيف أطاع فارس؟ قالت: كانت طاعتهم إياه فيما يهوى فانصرف المغيرة. ثم بعث إليها يقول: كيف كان أمركم؟ قالت: سأختصر لك الجواب أمسينا مساء وليس في الأرض عربي إلا وهو يرغب إلينا ويرهبنا ثم أصبحنا وليس في الأرض عربي إلا ونحن نرغب إليه ونرهبه.

(١) فرائد اللآل للأحدب.

فاطمة بنت الخرشب الأنمارية

هي فاطمة بنت الخرشب الأنمارية، من بني أنمار بن بغيض من غطفان، منجبة جاهلية ومن ربات الفصاحة والبلاغة وضرب الأمثال، وتدعى بأم الربيع بن زياد (المتوفى نحو سنة ٣٠ ق. هـ).

وهي إحدى المنجبات، كان يقال لبنيها الكملة وهم: الربيع، وعمارة، وأنس.

ولما سأل معاوية علماء العرب عن البيوتات والمنجبات، وحظر عليهم أن يتجاوزوا في البيوتات ثلاثة، وفي المنجبات ثلاثاً، عدّوا فاطمة بنت الخرشب فيمن عدّوا، وقبلها حينيّة بنت رياح الغنوية أم الأحوص وخالد ومالك وربيعة بني جعفر بن كلاب، وماوية بنت عبد مناة بن مالك بن زيد بن عبدالله بن دارم بن عمرو بن تميم، وهي أم ليقط وحاجب علقمة بني زرارة بن عدس بن زيد بن عبدالله بن دارم.

وولدت فاطمة بنت الخرشب من زياد بن عبدالله العبسي سبعة، فعدت العرب المنجبين منهم ثلاثة، وهم خيارهم، وقد كان يقال لبنيها الكملة وهم: الربيع، وعمارة، وأنس.

فأما الربيع ويقال له الكامل، وعمارة وهو الوهاب وأنس وهو أنس الفوارس وهو الواقعة. وقيس وهو البرد، والحارث وهو الحرون، ومالك وهو لاحق، وعمرو وهو الدرّاك. وقيل: إن عبدالله بن جدعان لقي فاطمة بنت الخرشب وهي تطوف بالكعبة فقال لها: نشدتك برب هذه البنية، أي بنيك أفضل؟ قالت: الربيع، لا بل عمارة، لا بل أنس، ثكلتهم إن كنت أدري أيهم أفضل.

قال ابن النطاح، وحدثني أبو اليقظان سحيم بن حفص العجيفي، قال: حدثني أبو الخنساء قال: سئلت فاطمة عن بنيها أيهم أفضل؟ فقالت: الربيع، لا بل عمارة، لا بل أنس، لا بل قيس، وعيشي ماأدري، أما والله ما حملت واحداً منهم تضعا، ولا ولدته يتنا، ولا أرضعته غيلا، ولا منعته قيلا، ولا أبتّه على ماقة.

قال أبو اليقظان:

أما قولها: ما حملت واحداً منهم تضعا، فتقول: لم أحمله في دبر الطهر وقبل الحيض. وقولها: ولا ولدته يتنا، وهو أن تخرج رجلاه قبل رأسه، ولاأرضعته غيلا، أي ما أرضعته قبل أن أحلب ثديي. ولا منعته قيلا، أي لم أمنعه اللبن عند القائلة. ولا أبته على ماقة، أي وهو يبكي. قال ابن النطاح: وحدثني أبو اليقظان، قال: حدثني أبو صالح الأسديّ قال: سئلت فاطمة بنت الخرشب عن بنيها، فوصفتهم، وقالت في عمارة: لا ينام ليلة يخاف. ولا يشبع ليلة يضاف.

وقالت في الربيع: لا تعد مآثره ولا تخشى في الجهل بوادره، وقالت في أنس: إذا عزم أمضى، وإذا سئل أرضى، وإذا قدر أغضى، وقالت في الآخرين أشياء لم يحفظها أبو اليقظان.

وعن علي بن الصباح قال أخبرنا هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال: بعث النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عدي بن نضر إلى نسوة من العرب منهن فاطمة بنت الخرشب فلما اجتمعن عنده قال: إني قد أخبرت بكن وأردت أن أنكح البكن[1] فأخبرنني عن بناتكن فقالت فاطمة: عندي الفتخاء العجزاء[2]، أصفى من الماء. وأرق من الهواء. وأحسن من

---

(١) البكن: أي أخطب اليكن بمعنى اخطب بناتكن لنفسي.

(٢) الفختاء: من ارتفعت اخلافها قبل بطنها. العجراء: الكبيرة العجز، وهو مؤخر المرأة.

السماء، وقالت كل واحدة من أوصاف ابنتها ما جعل النعمان أن يتزوج إليهن جميعاً وكن أربع بنات، فلما أهدين إليه دخل على ابنة فاطمة الأنمارية فقال ما أوصتك به أمك. قالت: قالت لي: عطري جلدك، وأطيعي زوجك، واجعلي الماء آخر طيبك. وكذا دخل على البقية وكان كل واحدة منهن جواب أجمل من الثانية ووصية رائعة قد حملتها أمها لها من أجل زوجها.

وفي ذات مرة ضاف فاطمة ضيف فطرحت عليه شملة من خز وهي مسك كما هي. فلما وجد رائحتها واعتم، دنا منها فصاحت به، فكف عنها، ثم إنه تحرك أيضاً فأرادها عن نفسها. فصاحت فكف. ثم إنه لم يصبر فواثبها فبطشت به فإذا هي من أشد الناس فقبضت عليه ثم صاحت يا قيس فأتاها. فقالت: إن هذا أرادني عن نفسي فما ترى فيه: فقال: أخي أكبر مني فسليه. فنادت عمارة، فأتاها، فذكرت ذلك له. فقال لها: السيف وأراد قتله. فقالت: يا بني لو دعونا أخاك فهو أكبر منك، فدعت الربيع فذكرت ذلك له. فقال أفتطيعونني يا بني زياد؟ قالوا: نعم. فقال: فلا تزنوا أمكم ولا تقتلوا ضيفكم وخلوه يذهب. فقال بعض الشعراء يمدح بني زياد من فاطمة يقال: إنه قيس بن زهير ويقال حاتم طيء.

بنـــو جنيـــة ولـــت سيـــوفـــا قـــواطـــع كلهـــم ذكـــر صنيـــع
وجـــارتهـــم حصـــان لـــم تـــزنـــي وطـــاعمـــة الشتـــاء فمـــا تجـــوع
ســـرى ودى ومكـــرمتـــي جميعـــا طـــوال زمـــانـــه منـــي الـــربيـــع

وفي رواية أن قيس بن زهير عرض لفاطمة بنت الخرشب الأنمارية وهي تسير في ظعائن من عبس فاقتاد جملها يريد أن يرتهنها بالدرع حتى يرد عليه وقد كان بين ابنها الربيع وقيس بن زهير شحناء وذلك أن الربيع ساوم قيس بن زهير في درع كانت عنده فلما نظر إليها وهو راكب وضعها بين يديه ثم ركض بها فلم يردها على قيس.

فقالت فاطمة: ما رأيت كاليوم نعل رجل أي قيس ضل حلمك أترجو

أن تصطلح أنت وبنو زياد وقد أخذت أمهم فذهبت به يميناً وشمالاً. فقال الناس في ذلك ما شاؤوا وحسبك من شر سماعه فأرسلتها مثلاً. فعرف قيس بن زهير ما قالت له فخلى سبيلها وأطرد إبلاً لبني زياد فقدم بها مكة فباعها من عبدالله بن جدعان.

وأغار مرة جمل بن بدر أخو حذيفة بن بدر الفزاري على بني عبس فظفر بفاطمة بنت الخرشب أم ربيع بن زياد وإخوته، راكبة على جمل لها فقادها بجملها، فقالت له: أي رجل ضل حلمك والله ولئن أخذتني فصارت هذه الأكمة بي وبك التي أمامنا وراءنا لا يكون بينك وبين بني زياد صلح أبداً لأن الناس يقولون في هذه الحال ما شاؤوه وحسبك من شر سماعه قال: إني أذهب بك حتى ترعي على إبلي. فلما أيقنت أنه ذاهب بها رمت بنفسها على رأسها من البعير فماتت خوفاً من أن يلحق بنيها عار فيها.

* * *

ليلى بنت لكيز

هي ليلى العفيفة بنت لكيز بن مرة بن أسد، من ربيعة بن نزار، شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية، اشتهرت ليلى بشعرها كما اشتهرت بجمالها فقد كانت من أجمل وأبهى نساء زمانها، بقوامها الجميل وحسنها البديع، وفي ذات مرة نزل أبوها في ناحية من بلاد الفرس، وهي معه، فعلم بخبرهم حاشية ملك الفرس، ورأوا من جمالها ما يستحق أن تكون عند ملكهم، فأوصلوا خبرها إليه، فقال الملك: ما عسى أن نبلغ منها والبدوية تفضل الموت على أن يغشاها عجمي؟ فقال أحد حاشية الملك: نرغبها بالمال ومحاسن الطعام والشراب وأثمن الملبس، وعمل الملك جهده فاغتصبها من أبيها، ثم عرض عليها جميع المشهيات والمرغبات التي تتمناها أي فتاة، لكنها كما توقع أبت كل ذلك وفضلت الموت أو العودة إلى أبيها عن الرضوخ له، وحاول تخويفها بجميع العقوبات وعاملها بالتعذيب ليرى وجهها، ولكنه ما نال إلا الرفض وعدم الخنوع لرغباته ودون تنازل عن الموت أو الرجوع لوالدها، ولما يئس الملك منها أسكنها في موضع، وأجرى عليها الرزق وأما هو فقد اكتفى برؤية قوامها من حين لآخر، علم بهذا الأمر براق بن روحان، وهو ابن عم ليلى، وكان خاطباً لها، فاحتال بكل الطرق حتى أنقذها، ثم تزوجها، ومن شعرها في تلك الفترة وأثناء ما حصل لها قولها:

ليت للبراق عيناً فترى ... ما أقاسي من بلاء وعنا
يا كليباً وعقيلاً إخوتي ... يا جنيداً أسعدوني بالبكا
عذبت أختكم يا ويلكم ... بعذاب النكر صبحاً ومسا
غللوني قيدوني ضربوا ... ملمس العفة مني بالعصا
يكذب الأعجم ما يقربني ... ومعي بعض حشاشات الحيا

فـــأنـــا كـــارهـــةٌ بغيكـــم ويقيـن المـوت شـيءٌ يـرتجـى
فـاصطبـارٌ أو غـراءٌ حسـنٌ كـلّ نصر بعـد ضـر يـرتجـى
أصبحـت ليلـى نعـل كفّهـا مثـل تغليـل الملـوك العظمـا
وتقيّـــد وتكبّـــل جهـــرة وتطـالـب بقبيحـات الخنـا
قـل لعـدنـان هـديتـم شمـروا لبنـي مبغـوض تشميـر الـوفـا
يـا بنـي تغلـب سيـروا وانصـروا وذروا الغفلـة عنكـم والكـرى
واحـذروا العـار علـى أعقـابكـم وعليكـم مـا بقيتـم فـي الـدّنـا

وقالت ترثي أخاها غرثان[1]، وتلوم بني ربيعة على إهمالهم له في ساحة الحرب التي وقعت بين بني ربيعة وبني إياد ولخم:

لما ذكرت غريثاً زاد بي كمدي حتى هممت من البلوى بإعلان
تربع الحزن في قلبي فكذبتكما ذاب الرصـاص إذا أصلـي بنيـران
فلـو تـرانـي والأشجـان تقلقنـي عجبت براق من صبري وكتماني
لا درّ درّ كليـــب يـــوم راح ولا أبـي لكيـز ولا خيلـي وفـرسـانـي
عن ابن روحان راحت وائلٌ كبثا عــن حـامـل كـلّ أثقـال وأوزان
وأسلموا المال والأهلين واغتنموا أرواحَهـم فكبـا زنـد ابـن روحـان
فتـى ربيعـة طـواف أمـاكنهـا وفـارس الخيـل فـي روع وميـدان
يا عين فأبكي وجودي بالدموع ولا تمـلّ يـا قلـب أن تبكـي بـأشجـان
فذكر غرثان مولى الحي من أسدٍ أنس حياتي بلا شك وأنساني[2]

ومن قولها في وداع البراق:

تــرود بنــا زاد أفليـس بـراجـع إلينـا وصـال بعـد هـذا التقـاطـع
وكفكـف بـأطـراف الـوداع تمتعـاً جفونك من فيض الدموع الهوامع
ألا فاجزني صاعاً بصاع كما ترى تصـوف عينـي حسـرة بـالمـدامـع

---

(١) وفي رواية: غرسان.
(٢) ولهذا الشعر روايات كثيرة مصحفة.

ومن قولها أيضاً:

بــراق سيــدنــا وفــارس خيلنــا وهو المطاعن في مضيق الجفل
وعمـاد هـذا الحـي فـي مكـروهـه ومـؤمّـلٌ يـرجـوه كـلّ مـؤمـل

* * *

فاطمة بنت ربيعة

هي فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزارية، وتدعى «أم قرفة»، شاعرة من بني فزارة، من سكان وادي القرى شمالي المدينة.

كانت من ربات الفصاحة صاحبة نفوذ وسلطان في قومها، عزيزة الجانب، وكان لها اثنا عشر ولداً من زوجها مالك بن حذيفة بن بدر الفزاري.

وما يدل على قوتها وعظمة جاهها بين أهلها، كان قد علق في بيتها خمسون سيفاً لخمسين رجلاً، كل واحد من تلك الرجال محرم لها. فبلغت من عز الجانب والرئاسة حتى ضرب بها المثل في الجاهلية فقالت العرب: «لا أعز من أم قرفة» و«أمنع من أم قرفة» ويقال لها: «أم قرفة الكبرى» للتمييز بينها وبين ابنتها سلمى بنت مالك الفزارية، وكانت كنيتها «أم قرفة» أيضاً. وفي ذات مرة قتل قيس بن زهير ابنها، فذهب قيس إلى زوجها حاملاً دية ولدها فرضيها، فلما علمت بذلك قالت ترثيه وتعير زوجها لقبوله الديّة:

حذيفة لا سلمت من الأعادي ... ولا وقيت شر النائبات

أيقتل قرفة قيسٌ فترضى ... بأنعام ونوق سارحات

أما تخشى إذا قال الأعادي ... حذيفة قلبه قلب البنات

فخذ ثأراً بأطراف العوالي ... وبالبيض الحداد المرهفات

وإلا خلني أبكي نهاري ... وليلي بالدموع الجاريات

لعل منيتي تأتي سريعاً ... وترميني سهام الحادثات

فذاك أحبّ من بعل جبان ... تكون حياته أردا الحياة

فيا أسفي على المقتول ظلماً ... وقد أمسى قتيلاً في الفلاة

ترى طير الأراك ينوح مثلي ... على أعلى الغصون المائلات

وهل تجد الحمائم مثل وجدي ... إذا رميت بسهم من شتات

فيـا يـوم الـرهـان فجعـت فيـه	بشخص جاز عن حد الصفات
ولا زال الصبـاح عليـك ليـلاً	ووجـه البـدر مسـود الجهـات
ويـا خيـل السباق سقيت سمـاً	مـذابـاً فـي الميـاه الجـاريـات
ولا زالـت ظهـورك مثقـلات	بصمّـان[1] الجبـال الـراسيـات
لأنّ سبـاقكـم ألقـى علينـا	همـومـاً لا تـزال إلـى الممـات

ورغم هذه السلطة والنفوذ، إلا أن أم قرفة لقيت مصرعاً، فظيعاً من المسلمين.

وذلك لأنها كانت تؤلب الناس على رسول الله ﷺ، وكانت تحرض الناس على قتله. حيث أنها جهزت ثلاثين راكباً من ولدها وولد ولدها، وقالت لهم: اغزوا المدينة واقتلوا محمداً. فبعث رسول الله ﷺ سرية بقيادة زيد بن حارثة إلى وادي القرى فلقي به بني فزارة فأصيب به أناس من أصحابه، وارتثّ زيد من بين القتلى وأصيب فيها ورد بن عمر أحد بني سعد بن هذيم أصابه أحد بني بدر فلما قدم زيد نذر أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو فزارة فلما استبل جراحه، بعثه رسول الله ﷺ في جيش إلى بني فزارة فلقيهم بوادي القرى، فأصاب فيهم وقتل قيس بن المسحر اليعمري مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر وأسر أم قرفة «فاطمة بنت ربيعة بدر» وكانت عند حذيفة بن بدر عجوزاً كبيرة فأمر زيد بن حارثة أن يقتل أم قرفة فقتلها قتلاً عنيفاً، حيث ربط برجليها حبلين ثم ربطهما إلى بعيرين حتى شقاها[2]. ثم قدموا على رسول الله ﷺ بابنة أم قرفة فسألها رسول الله ﷺ سلمة. فوهبها له فأهداها لخاله حزن بن أبي وهب[3] وذلك في سنة ٦هـ.

---

(١) وردت في أعلام النساء: «بأحمال».
(٢) نقله الزرقاني عن الدولابي أن زيد بن حارثة قتلها لسبها رسول الله ﷺ ولأنها جهزت ثلاثين راكباً من ولدها وولد ولدها وقالت: أغزوا المدينة واقتلوا محمداً.
(٣) تاريخ الطبري. وفي معجم البلدان: أن أم قرفة كانت يوم بزاخة تؤلب الناس واجتمع إليها طليحة فقتلها وبعث خالد رأسها إلى أبي بكر فعلقه فهو أول رأس علق في الإسلام فيما زعموا.

هند بنت الخس

هي هند بنت الخس بن حابس بن قريط الإيادية، تلقب بالزرقاء، شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية، خطيبة ذا فصاحة وبلاغة وحكمة، وجواب عجيب، قال الجاحظ في وصفها «بالبيان والتبيين» بقوله: «من أهل الدهاء والنكراء[1]، ومن أهل اللسن واللقن[2]، والجواب العجيب، والكلام الفصيح، والأمثال السائرة والمخارج العجيبة».

قال البغدادي في «خزانة الأدب»: هي جاهلية قديمة، أدركت القلمس، أحد حكام العرب في الجاهلية، وتحاكمت هي وأختها إليه من كلام لهما، ومدحته بأبيات طويلة. قال محمد بن زياد الأعرابي أبو عبدالله وافت جمعة وهند بنت الخس عكاظ في الجاهلية فاجتمعا عند القلمس الكناني فقال لهما إني سائلكما لأعلم أيكما أبسط لساناً وأظهر بياناً، وأحسن للصفة إتقاناً. قالت: سلنا عما بدا لك، فستجد عندنا عقولاً زكية، وألسنة قوية، وصفة جليلة. ودار بينهما حوار طويل من خلال أسئلة كثيرة طرحها القلمس عليهما من تلك الأسئلة قال القلمس سائلاً هند أي الرجال أحب إليك؟ قالت: السهل النجيب[3]، السمع الحسيب[4]، الندب[5]

(١) النكراء: الدهاء والفطنة.
(٢) اللسن: الفصاحة، واللقن: سرعة الفهم.
(٣) النجيب: الفاضل الكريم السخي، أو هو الكريم ذو الحسب إذا خرج خروج أبيه في الكرم «لسان العرب» (١/ ٧٤٨).
(٤) الحسيب: الحسب هو الشرف الثابت في الآباء «لسان العرب» (١/ ٣١٠).
(٥) الندب: الخفيف في الحاجة السريع الظريف. «لسان العرب» (١/ ٧٥٤).

الأريب[1]، السيد المهيب. فقال لها: فهل بقي أحد من الرجال أفضل من هذا؟ قالت: نعم! الأهيف[2] الهفاف[3]، الأنف[4] العياف[5]، المفيد المتلاف[6]، الذي لا يخيف ولا يخاف. قال: فأي الرجال أبغض إليك؟ قالت: الأورة[7] النؤوم، الوكل[8] السؤوم[9]، الضعيف الحيزوم[10]، اللئيم الملوم[11]. قال فهل بقي أحد شر من هذا؟ قالت نعم: الأحمق النزاع[12]، الضائع المضياع[13]، الذي لا يهاب ولا يطاع.

وقال: فأي النساء أحب إليك؟ قالت: البيضاء العطرة، كأنها ليلة قمرة. قال: فأي النساء أبغض إليك؟ قالت: العنقيض[14] القصيرة، التي إن استنطقتها سكتت، وإن سكت عنها نطقت.

---

(١) الأريب: العاقل «معجم مقاييس اللغة» (١/ ٨٩).
(٢) الأهيف: الضامر البطن. «لسان العرب» (٩/ ٣٥٢).
(٣) الهفاف: الخفيف، هفهف الرجل إذا مشق بدنه فصار كأنه غصن يميد ملاحة. «لسان العرب» (٩/ ٩٤٩).
(٤) الأنف: السيد«لسان العرب» (٩/ ١٦).
(٥) العياف: اعتاف الرجل إذا تزود زاداً للسفر «تاج العروس» (٢٤/ ١٩٨).
(٦) المتلاف: يتلف ماله «لسان العرب» (٩/ ١٨).
(٧) الأورة: شديد الغضب «تاج العروس» (١٠/ ٨٨).
(٨) الوكل: بتحريك الواو والكاف بالفتحتين ـ هو: العاجز الذي يكل أمره إلى غيره ويتكل عليه «لسان العرب» (١١/ ٧٣٤).
(٩) السؤوم: من السآمة وهي الملل «لسان العرب» (١٢/ ٢٨٠).
(١٠) الحيزوم: الصدر «لسان العرب» (١٢/ ١٣٢).
(١١) الملوم: المستحق للوم «لسان العرب» (١٢/ ٥٥٧).
(١٢) النزاع هو الذي نزع عن قبيلة، أي: بعد وغاب «لسان العرب» (٨/ ٣٥٠).
(١٣) المضياع: من ضاع وهو يدل على فوات الشيء وذهابه «معجم مقاييس اللغة» (٣/ ٣٨٠).
(١٤) العنقيض: ذكرت في الأمالي بلفظ «العنفص» وهي: المرأة البذيئة، القليلة الحياء والقليلة الجسم، الكثيرة الحركة، والداعرة الخبيثة «القاموس المحيط» (٢/ ٣٠٩).

وقيل لها: ألا تتزوجين؟ قالت: بلى، لا أريده أخا فلان ولا ابن فلان، ولا الظريف المتظرف ولا السمين الألحم[1]، ولكن أريده كسوباً إذا غدا، ضحوكاً إذا أتى. وقال لها أبوها مرة: أريد شراء فحل لإبلي، فقالت: إن اشتريته فاشتره أسجح الخدين[2]، غائر العينين، أرقب أحزم أعكى أكوم[3]، إن عصي غشم وإن أطيع تجرثم[4]. وكان أبوها أعمى قد كف بصره فقال: ما بال ناقتك؟ قالت: عينها هاج، وملؤها راج، تمشي وتفاج فقال: يا بنية اعقليها. فعقلتها. فقال: ما صنعت حتى اضطرمت.

وأتاها رجل يستشيرها في امرأة يتزوجها فقالت: انظر رمكاء جسيمة أو بيضاء وسيمة في بيت حد أوعز. قال: ما تركت من النساء شيئاً. قالت: بلى شر النساء تركت السويداء الممراض والحميراء المحياض الكثيرة المظاظ. وقيل لابنة الخس: أي النساء أسوأ؟ قالت: التي تقعد بالفناء وتملأ الإناء وتمذق ما في السقاء. قيل: فأي النساء أفضل؟ قالت: التي إذا مشت أغبرت. وإذا نطقت صرصرت متوركة جارية، في بطنها جارية، يتبعها جارية، أي هي مئناث.

وأتاها رجل يمتحن عقلها ويمتحن جوابها فقال لها: إني أريد أن أسالك؟ قالت: هات. قال: كاد. فقالت: السرار يكون سحراً. ثم قالت للرجل: أسألك؟ قال: هاتي. قالت: عجبت. قال: للسباخ لا ينبت كلؤها ولا يجف ثراها. قالت: عجبت. قال: للحجارة لا يكبر صغيرها ولا يهرم كبيرها. قالت: عجبت. قال: لشفرك لا يدرك قعره ولا يملأ حفره[5].

---

(١) كثير لحم الجسم.

(٢) خد أسجح: لين قليل اللحم واسع.

(٣) أرقب: غليظ الرقبة، أحزم: غليظ الجسم، أعكى: غليظ الجنبين، أكوم: عظيم السنام.

(٤) تجرثم: اجتمع.

(٥) عيون الأخبار. وفي تحفة المجالس أن رجلاً مر بها فسألته المحاجة؟ فقال لها: كاد. فقالت: كاد العروس يكون أميراً. فقال كاد. فقالت: كاد المستعمل يكون=

وقالت لما قيل لها: ما حملك على أن زنيت بعبدك؟ قالت: طول السواد وقرب الوساد. وقال لها أبوها يوماً: أي شيء في بطنك؟ أخبريني به وإلا ضربت رأسك. فقالت: أرأيتك إن أخبرتك بما في بطني أتكف عني عذابك اليوم؟ قال: نعم. قالت: أسفله طعام، وأعلاه غلام، فاسأل عما شئت. قال: أي المال خير؟ قالت: النخيل الراسخات في الوحل المطعمات في المحل. قال: وأي شيء؟ قالت: الضأن قرية لا وباء بها ننتجها رخالاً ونحلبها علالاً ونجزلها جفالاً. ولا أرى مثلها مالاً. قال: فالإبل مالك تؤخرينها؟ قالت: هي أذكار الرجال وأرقاء الدماء ومهور النساء. قال: فأي الرجال خير؟ قالت:

خيـر الـرجـال المـرهقـون كمـا خيــر تـلاع الأرض أوطــؤهــا

قال: أيهم؟ قالت: الذي يُسأل ولا يسأل ويضيف ولا يضاف ويصلح ولا يصلح. قال: فأي الرجال شر؟ قالت: الثطيط الذي معه سويط الذي يقول: أدركوني من عبد بني فلان فإني قاتله أو قاتلي. قال: فأي النساء خير؟ قالت: التي في بطنها غلام، تحمل على وركها غلام، يمشي وراءها غلام. قال: فأي الجمال خير؟ قالت: السبحل الربحل الراحلة الفحل. قال: أرأيتك الجذع؟ قالت: لا يضرب ولا يدع. قال: أرأيتك الثني؟ قالت: يضرب وضرابه وفي. ولهند وأختها كلام طويل مع القس الكناني في سوق عكاظ في الجاهلية وقد أورده صاحب بلاغات النساء ونختصر هنا على ذكر بعض شعرها حيث قالت:

لقد أيقنت نفس الفتى غير باطل وإن عاش حيناً أنّه سوف يهلك
ويشرب بالكأس الذّعاف شرابها ويركب حدّ الموت كرهاً ويسلك[1]

= كلباً. فقال: كاد. فقالت كاد الفقر يكون كفراً. فقال: كاد. فقالت: كاد البخيل يكون كلباً. ثم حاجاها. فقالت له: عجبت. قال: عجبت للحجارة لا يكبر صغيرها ولا يهرم كبيرها. فقالت: عجبت. فقال: عجبت لنقرة بين فخذيك لا يمل حفرها ولا يدرك قعرها. فخجلت وانقطعت.

(١) الذعاف والذعف: السم الذي يقتل من ساعته.

وكم من أخي دنيا يثمر ماله ... سيورث ذاك المال رغماً ويترك
عليك بأفعال الكرام ولينهم ... ولا تك مشكاساً تلج وتمحك[1]
ولا تك مزّاحاً لدى القوم لعبة ... تظلّ أخا هزء بنفسك يضحك
تخوض بجهل سادراً في فكاهة ... وتدخل في غيّ الغواة وتشرك
ألا ربّ ذي حظ يبصّر فعله ... وآخر مصروفٌ به الحظ يؤفك

وقالت:

وجدت وخير القول في الحكم نافعٌ ... ذوي الطول مما قد يغمّ ويلبس
وليس الفتى عندي بشيء أعدّه ... إذا كان ذا مال من العقل مفلس
وذو الجبن مما يسعر الحرب نفخه ... يهيج منها نارها ثمّ يخنس
وكم من كثير المال يقبض كفّه ... وكم من قليل المال يعطي ويسلس
وكم من صفر تزدريه لعلّه ... يهيج كبيراً شرّه قبجس
وكم من مراء ذي صلاح وعفّة ... يخايل بالتقوى هو الذئب الأملس
وآخر ذي طمرين صاحب نية ... يجود بأعمال التّقى ثمّ ينقس[2]
وكم من سفيه للجماعة مفسد ... يدبّ لشرّ بينهم ويوسوس
وذو الظلم مذمومٌ النّثا ظاهر الخنا ... غنيّ عن الحسنى وبالشرّ يعرس[3]

وقالت في مدح القلمس من حكماء العرب:

إذا الله جازى منعماً بوفائه ... فجازاك عني يا قلمّس بالكرم

ومن شعرها:

أشمّ كنصل السّيف جعدٌ مرجّلٌ ... شغفت به لو كان شيءٌ مدانيا
وأقسم لو خيرت بين لقائه ... وبين أبي لاخترت أن لا أباليا

---

(١) الشكس: السيء الخلق، وتمحك تلح وتنازع.
(٢) النقس: العيب.
(٣) النثا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء الخنا: الفحش في الكلام.
أعرس الرجل: وضع الرص على الأخرى للطحن.

أروى بنت عبد المطلب

هي أروى بنت عبد المطلب بن هاشم القرشية[1] الهاشمية، عمة رسول الله ﷺ، فصيحة بليغة، ذات رأي راجح، وشعر جيد، وإحدى فضليات النساء في الجاهلية والإسلام، فقد كانت قبل اسلامها «تعضد النبي ﷺ وتحض ابنها على نصرته والقيام بأمره[2]».

أدركت الإسلام بمكة، فأسلمت هي وأختها صفية[3] ثم هاجرت إلى المدينة[4].

وكانت ممن بايع رسول الله ﷺ[5] عمَّرت إلى خلافة عمر بن الخطاب نحو عام ١٥هـ.

قال الحافظ الذهبي: لم يسمع لها بذكر بعد ـ أي: بعد أخبارها في مكة ـ ولا وجدنا لها رواية[6]، وكان لها مواقف رائعة في الدفاع عن ابن أخيها (النبي ﷺ) رضي الله عنها وأرضاها.

أسلم ولدها طليب قبلها في دار الأرقم، وكان طليب أول من أدمى مشركاً في الإسلام بسبب النبي ﷺ... وذلك أنه سمع عوف بن صبرة

---

(١) السيرة النبوية: لابن هشام(ج١/١٠٨).
(٢) طبقات ابن سعد.
(٣) ذكرها أبو جعفر: في الصحابة. فأما أبو اسحاق ومن وافقه فقالوا: لم يسلم من عمات النبي ﷺ غير صفية وقال غير هؤلاء: أسلم من عمات النبي ﷺ صفية وأروى وهو الصواب.
(٤) الطبقات: لابن سعد (ج٨/ ٤٢)، والاصابة لابن حجر (ج١٢ـ١٠٩).
(٥) المحبر: لابن حبيب البغدادي (٤٠٦).
(٦) سير أعلام النبلاء: للذهبي (ج٢/ ٢٧٢).

السهمي يشتم النبي ﷺ فأخذ له لحى جمل فضربه بها، فشجّه!!.... **فقيل** لأمه أروى: ألا ترين ما فعل ابنك؟ فقالت:

إن طليبـاً نصـر ابـن خـالـه   واسـاه فـي ذي دمـه ومـالـه[1]

وقد روى ابن سعد بإسناده[2] «ان طليباً[3] أسلم في دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، ثم خرج فدخل على أمه (أروى بنت عبد المطلب) فقال: تبعت محمداً ﷺ!! وأسلمت لله!!.. فقالت له أمه: إن أحق من وزرت وعضدت ابن خالك!! ووالله لو كنا نقدر على ما يقدر عليه الرجال لتبعناه وذببنا عنه!!.. فقال طليب: فما يمنعك يا أمي من أن تسلمي وتتبعيه؟!.. فقد أسلم أخوك حمزة!! ثم قالت: أنظر ما يصنع أخواتي ثم أكون إحداهن!! فقال طليب: فإني أسألك بالله تعالى الا أتيته فسلمت عليه وصدقته وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله...

وروى ابن سعد بإسناده[4] «عن أم دره عن برة بنت أبي تجراة، قالت: عرض أبو جهل وعدة من كفار قريش للنبي ﷺ، فآذوه، فعمد طليب إلى أبي جهل فضربه ضربة شجة!! فأخذوه وأوثقوه فقام دونه أبو لهب (أخو أروى لأمه) حتى خلّاه!.... فقيل لأروى: ألا ترين ابنك طليباً قد صيّر نفسه غرضاً دون محمد؟! فقالت: خير أيامه يوم يذبّ عن ابن خاله!! وقد جاء بالحق من عند الله!! فقالوا: ولقد تبعت محمداً؟ قالت: نعم!! فخرج بعضهم إلى أبي لهب فأخبره، فأقبل حتى دخل عليها.. فقال: عجباً لك ولاتباعك محمداً وتركك دين عبد المطلب؟ فقالت: قد كان ذلك!! فقم دون ابن أخيك واعضده وامنعه... فإن يظهر امره فأنت بالخيار أن تدخل معه أو تكون على دينك؟!. وإن يصب كنت قد اعذرت في ابن اخيك فقال

---

(١) الاصابة لابن حجر (ج٥/ ٢٤٢) الطبقات: لابن سعد (ج٨/ ٤٣).
(٢) الطبقات لابن سعد (ج٨/ ٤٢).
(٣) ورد اسمه في أعلام النساء لكحالة (ج١/ ٢٣) أنه كليب بن عمير.
(٤) الطبقات: لابن سعد (ج٨/ ٤٢-٤٣).

ابو لهب: ولنا طاقة بالعرب قاطبة؟ جاء بدين محدث.. فأبى ان يسلم..
فكانت أروى رضي الله عنها أعقل من أخيها أبي لهب الذي أبى أن يشهد لابن أخيه (محمد) ﷺ شهادة الحق والصدق.. وقد شهدت هذه العمة الكريمة (أروى) شهادة الحق والصدق لابن أخيها محمد بن عبد الله ﷺ، ولم تقتصر على هذا الحد.. بل قامت تدافع عنه وتذب عنه بلسانها.. وتشيع بين النساء من قريش صدقه وأمانته.. وأنه نبي الله.. جاد بالحق من عنده.. وتدعوهن إلى الإسلام والدخول فيه.. رضي الله تعالى عنها وأرضاها. ومن شعرها ما ذكره ابن هشام في (السيرة النبوية) من قصيدة لها رثت فيها أباها وذلك أن عبد المطلب حين حضرته الوفاة وعرف أنه ميت جمع بناته، وكن ست نسوة منهن أروى فقال لهن: ابكين عليَّ حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت ـ فقالت أروى[1]:

بكت عيني وحق لها البكاء	على سمح سجيته الحياء[2]
على سهل الخليقة أبطحي	كريم الخيم نيته العلاء[3]
على الفياض شيبة ذي المعاني	أبيك الخيرُ ليس له كفاء[4]
طويل الباع أملس شيظمي	أغر كأن غرته ضياء[5]
أقب الكشح أروع ذي فضول	له المجد المقدَّم والسناء[6]
أبي الضيم أبلج هبرزي	قديم المجد ليس له[7] خفاء
ومعقل مالك وربيع فهر	وفاصلها[8] إذا التمس القضاء

(١) السيرة النبوية: لابن هشام (ج/ ١ـ١٧٣).
(٢) السجية: الطبيعة.
(٣) أي: من قريش البطاح، وهم الذين ينزلون بين أخشبي مكة.
(٤) الكفاءة: المثل.
(٥) الشيظمي: المقول الفصيح.
(٦) الأقب: الضامر البطن. والكشح: الخصر. والاروع: الذي يعجبك بحسنه ومنظره، وشجاعته.
(٧) كذا في: أعلام النساء وفي سائر الأصول: «به».
(٨) كذا في أعلام النساء والفاصل: الذي يفصل في الخصومات. وفي سائر الأصول: =

وكان هو الفتى كرما وجوداً ... وبأساً حين تنكسب الدماء
إذا هاب الكماة الموت حتى ... كأن قلوب أكثرهم هواء[1]
مضى قدما بذي ربد خشيب[2] ... عليه حين تبصره البهاء[3]

وقالت ترثي النبي ﷺ:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا ... وكنت بنا برا ولم تك جافيا[4]
كأن على قلبي لذكر محمد ... وما جمعت بعد النبي المجاويا
وكنت رحيماً هادياً ومعلما ... ليبك عليك اليوم من كان باكياً
فدى لرسول الله أمي وخالتي ... وعمي وخالي ثم نفسي وماليا
فلو أن رب الناس أبقى نبينا ... سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية ... وأدخلت جنات من العدن راضيا

* * *

= (وفاضلها) بالضاد المعجمة، وما اثبتناه أولى للسياق.

(١) الكماة: الشجعان، واحدهم: كميٌّ.

(٢) الربد: (كصرد) الفرند، والخشيب: الصقيل.

(٣) ويروى: «الهباءة». يريد به ما يظهر على السيف المجوهر تشبيهاً بالغبار.

(٤) الأبيات في «الدر المنثور» (ص٢٦٢).

خديجة بنت خويلد

هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، القرشية الأسدية، ولدت السيدة خديجة سنة (٦٨) قبل الهجرة النبوية الشريفة، أي قبل عام الفيل بخمس عشرة سنة تقريباً[١]، يدعى والدها خويلد بن أسد بن عبد العزى، من أشراف قريش، الذي مات يوم الفجار، أما أمها، فهي فاطمة بنت زائدة بن الأصم قرشية من بني عامر بن لؤي، تزوجت خديجة من أبي هالة بن زرارة التميمي[٢] فمات عنها، ثم خلف عليها عتيق بن عابد المخزومي[٣].

عاشت السيدة خديجة في بيت مجد وسؤدد ورياسة فتحلت من نشأتها بالأخلاق والصفات الكريمة، وصفها قومها بالسيدة الطاهرة وأنها لتستحق مثل هذا اللقب لما كانت عليه من الشرف والعفاف والحزم والعقل، وإضافة على ذلك فقد كانت تاجرة ذات مال كثير وتجارة واسعة تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم[٤] اياه، بشيء تجعله لهم، فقد كانت قريش قوماً تجاراً، في تلك الأثناء لمع بريق حبيبنا محمد ﷺ، ومهارته وتجارته الرابحة دائماً فبلغ الأمر للطاهرة خديجة وعرفت عنه الصدق والأمانة وكرم الأخلاق وأن نسبه يلتقي مع نسبها في قصي بن كلاب[٥]، ولا ننسى نظرتها

---

(١) هذه السنة توافق عام (٥٥٦) من الميلاد.

(٢) الاشتقاق (١٤٢و٢٠٨).

(٣) ترجمة أسد الغابة رقم (٦٨٦٧).

(٤) المضاربة: نوع من أنواع الشركة، يكون المال فيها من أحد الشريكين والعمل من الآخر، على قدر معين من الربح، وهي جائزة شرعاً، وتسمى: قراضاً.

(٥) قال الحافظ بن حجر عن الطاهرة خديجة: وهي أقرب نسائه ﷺ إليه في النسب.

الثاقبة وأنها صاحبة فراسة صحيحة» فما كان عليها منذ أن رأته الا أن تعرض عليه أن يخرج في مالها إلى الشام تاجراً، وأنها ستعطيه أفضل ما تعطي غيره من التجار، فوافق رسول الله ﷺ على ذلك، وفعلاً لمس محمد ﷺ وصحبه من السيدة الطاهرة الخير الكثير والكرم.

لقد ذكر أبو جعفر الطبري وابن كثير وابن سيد الناس عن معمر، عن الإمام ابن شهاب الزهري أنه قال: لما استوى رسول الله ﷺ، وبلغ أشده، وليس له كثير المال، استأجرته خديجة بنت خويلد إلى سوق حباشة[1] واستأجرت معه رجلاً آخر من قريش، فقال رسول الله ﷺ، وهو يحدث عنها: «ما رأيت من صاحبة أجير خيراً من خديجة ماكنا نرجع أنا وصاحبي إلا وجدنا عندها تحفة من طعام تخبئه لنا».

لقد كانت تجارة السيدة خديجة مع رسول الله ﷺ رابحة موفقة، وأما غلامها ميسرة فقد كان دائماً يحمل إليها الأخبار السارة ويحدثها عن حسن خلق سيدنا محمد ﷺ وصدقه وأمانته وما يحدث له من دلائل النبوة، فسرت السيدة خديجة بذلك كثيراً وازداد إعجابها به، ولِتزداد شرفاً وبركة، اختارها المولى عز وجل بأن تكون الزوجة الأولى لحبيبه المصطفى ﷺ رغم أنه لم يبلغ من العمر الخامسة والعشرين وهي قد تجاوزت الأربعين لكن الله تعالى أراد بها الخير فألقى في نفسها هذه الأمنية، فعرضت عليه الزواج بعد أن كانت سادات قريش في مكة يسعون ملحين إلى الزواج بها، لكنها هي اختارت ونعم الاختيار، فقد تزوج النبي الكريم ﷺ الطاهرة خديجة فكيف له ألا يوافق عليها وهي أفضل نساء مكة، وأوسطهن نسباً، وأعظمهن شرفاً، وأكثرهن مالاً، وقد وافق أهله وأهلها على ذلك، وقد قام عمه أبو طالب خطيباً فقال: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم، وزرع اسماعيل، وضئضىء[2] معد، وعنصر مضر، وجعلنا حَضنة بيته، وسوّاس

---

(١) سوق كان بتهامة.

(٢) أي من أصل معد.

حرمه وجعل لنا بيتاً محجوجاً، وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس.

ثم إن ابن أخي هذا، محمد بن عبد الله لا يوزن برجل إلا رجح به، وإن كان في المال قِلاً فإن المال ظلٌّ زائل، وأمرٌ حائل، ومحمد من قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد وقد بذل لها من الصداق ما آجله وعاجله اثنتا عشرة أوقية ذهباً ونشّاً[1].

وفي رواية أن المهر كان عشرين بكرة، وقد أجمع العلماء بين الخبرين في مهر خديجة: أن الأول من أبي طالب، والثاني منه ﷺ[2].

وعاش الزوجان الكريمان عيشة هنية رضية لم تعرف الخلاف أو النزاع في إطار المعاملة الحسنة والتفاهم التام وكيف لايكون ذلك والزوج من أكرم الرجال أخلاقاً واحساناً؟ والزوجة من أطهر النساء معاملة وطاعة. فهي عندما شعرت أن زوجها يحب زيد بن الحارثة مولاها وهبته له، وهذا ما جعل منزلتها من نفسه تزداد أكثر عليه الصلاة والسلام، ولما كفل زوجها محمد ﷺ ابن عمه علي بن أبي طالب، كانت له الأم الحنون، والقلب العطوف والمعاملة الحسنة.

هكذا كانت حياتهما تغمرها السعادة والسرور وكملت سعادتها إذ رزقها الله تعالى بالأولاد فأنجبت منه القاسم ـ وزينب ورقيةَ وفاطمة وأم كلثوم، وكان ذلك قبل النبوة، وفي الإسلام ولدت له عبد الله فسمي الطيب والطاهر، ولم يكن الفارق بين الولد والآخر إلا سنة، فما كان عليها إلا أن تسترضع لهم وتهيىء ذلك قبل أن تلد، ومن بنيه أيضاً ابراهيم لكنه من مارية القبطية ـ رضي الله عنها ـ لم يشأ الله عز وجل أن يعيش لنبيه الكريم بنوه فقد ماتوا كلهم وهم صغار، ولحكمة في ذلك، أما بناته فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن، وقد أدركتهن الوفاة في حياة النبي ﷺ إلا ابنته

---

(١) أي ونصف الأوقية.

(٢) خاتم النبيين: لمحمد ابي زهرة (ج١/ ٢٠٧).

فاطمة، فقد توفيت بعده بستة أشهر.

ولما بلغ نبي الله ﷺ الأربعين حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بنفسه في غار حراء، ويمكث فيه ليال عديدة، فإذا ما افتقدت الزوجة والأم الطاهرة زوجها فلا تجده، فتعرف أنه في خلوته لترى من أحواله مالا يراه غيرها، وكما أنها لاحظت منه صدق رؤيته فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح، وقد أثار في ذلك الخوف في نفس محمد ﷺ، ودون أدنى شك كان يفضي لزوجته الطاهرة الحبيبة والأم الزكية بمخاوفه فيقول لها: «إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء، وقد خشيت والله أن يكون لهذا أمر..».

فتقوم الزوجة الوفية لتطمئنه وتقول له: «معاذ الله! ما كان الله ليفعل ذلك بك، إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم، وتصدق الحديث». تلك الكلمات العاطرة الصادقة كانت تبعث في قلب النبي الكريم ﷺ السلامة والطمأنينة، تلك هي خديجة الزوجة العاقلة التي تتمتع بفراسة الإلهام، وفصاحة اللسان.

وظل رسول الله ﷺ على هذه الحال إلى أن جاءه جبريل عليه السلام بقول الله تعالى: «اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان مالم يعلم[1] *».

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ تروي لنا موقف خديجة ـ رضي الله عنها ـ، وكيف تمت بشارة رسول الله ﷺ، بالنبوة وتثبيتها له:

«فرجع بها، ـ أي بسورة العلق ـ رسول الله ﷺ، يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها، فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق

---

(١) سورة العلق: ١ـ٥.

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ـ ابن عم خديجة، وكان امرءاً تنصر في الجاهلية، يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وهو شيخ كبير قد عمي.

فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني أكون حيّاً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أومخرجيّ هم؟ قال: نعم، لم يأت رجلٌ قط بمثل ما جئت به إلا عُودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي[1]».

لقد كانت السيدة خديجة هي الصديقة الأولى والتي حازت على الدرجة العليا رضي الله عنها وأرضاها فهي أول من آمن وصدق رسول الله ﷺ وأول من سمع ما تنزل عليه من الذكر الحكيم من فمه الشريف عليه الصلاة والتسليم.

حُقَّ لك أيتها السيدة الطاهرة أن تفتخري بهذا الشرف العظيم، الذي زادك شرفاً على شرف وجاهاً على جاه، في الدنيا وفي الآخرة.

وقد بادرت إلى وضع مالها في سبيل نشر دعوة النبي ﷺ، وتأمين الراحة له ووقفت إلى جانبه تنصره وتشد من أزره، متحملة الأذى والعذاب

---

(١) الحديث صحيح في البخاري (ج١/ ٥و٦). (الكل): هو من لا يستقل بأمره. (الجذع): الصغير من البهائم، كأنه تمنى أن يكون عند ظهور الدعاء إلى الإسلام شاباً ليكون أمكن لنصره. وقد روي أن ورقة قال يخاطب الطاهرة خديجة في ذلك:

فإن يكُ حقاً يا خديجة فاعلمي ... حديثك ايانا فأحمد مرسلُ
وجبريل يأتيه وميكال معهما ... من الله روح يشرح الصدر منزلُ

البداية والنهاية (ج٣/ ١١)، كتاب المدح (ص٣٢٨).

وفي سنن الترمذي: كتاب الرؤيا عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ رأيته في المنام وعليه ثياب بياض، ولو كان من أهل النار لكان لباس غير ذلك أي أنه من أهل الجنة.

والاضطهاد ممن وقفوا في وجه النبي الكريم ﷺ.

وقد ورد حديث لخديجة رضي الله عنها مع النبي الكريم ﷺ والذي أرادت من ورائه البرهان الأكيد لنزول الوحي، حيث قال ابن اسحاق: وحدثني اسماعيل بن ابي حكيم[1] مولى آل الزبير: أنه حدث عن خديجة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ أي ابن عم، أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال: نعم، قالت: فإذا جاءك فأخبرني به، فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يصنع، فقال رسول الله ﷺ لخديجة: يا خديجة، هذا جبريل قد جاءني، قالت: قم يابن عم فاجلس على فخذي اليسرى، قال فقام رسول الله ﷺ فجلس عليها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحوّل فاجلس على فخذي اليمنى، قالت: فتحول رسول الله ﷺ فجلس على فخذها اليمنى، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحوّل فاجلس على حجري، قال: فتحول رسول الله ﷺ فجلس في حجرها. قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قال: فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله ﷺ جالس في حجرها ثم قالت له: هل تراه؟ قال: لا، قالت: ياابن عمّ اثبت وأبشر فوالله انه لملكٌ وما هذا بشيطان.

آمنت السيدة خديجة رضوان الله تعالى عنها بالنبي الكريم ﷺ، وخففت عنه آلامه فكان لا يسمع شيئاً يكرهه من رد عليه وتكذيب له إلا فرّج الله عنه بها إذا رجع إليها فتثبته وتهوّن عليه أمر الناس، رضي الله عنك أيتها السيدة الكريمة الطاهرة وإنك لتستحقين البيت الذي وعدكِ الله به. قال ابن اسحاق: وحدثني هشام بن عروة، عن أبيه عروة بن الزبير، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: أمرت أن

---

(١) هو اسماعيل بن أبي حكيم القرشي، روى عن سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وعبيدة بن شعبان الحضرمي وغيرهم، وعنه مالك وابن اسحاق واسماعيل بن جعفر وأبو الاسود وغيرهم. وكان عاملاً لعمر بن عبد العزيز وتوفي سنة ١٣٠ (راجع تهذيب التهذيب).

أبشر خديجة ببيت من قصب[١].

وقال ابن هشام: وحدثني من أثق به، أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ فقال: أقرىء خديجة السلام من ربها، فقال رسول الله ﷺ: يا خديجة، جبريل يقرئك السلام من ربك، فقالت خديجة: الله السلام، ومنه السلام، وعلى جبريل السلام.

إن هذا كله من نعم الله عزّ وجل على السيدة الطاهرة خديجة ـ رضي الله عنها ـ فقد منّ الله تعالى عنها بفضائل انفردت فيها، فكانت أول من تزوج رسول الله ﷺ بها، وأول من آمن به على الصحيح[٢]، وأول من صلى مع رسول الله ﷺ، وأول من رزق منها الأولاد، وأول صديقة من المؤمنات، وأول من أقرأها ربُّها السلام، وأول من بشرها بالجنة من أزواجه، وأول زوجات النبي ﷺ وفاة، وأول قبر نزل فيه النبي الكريم ﷺ قبرها بمكة المكرمة.

وقد جعل الله لبيتها المكانة الكبيرة، والأفضلية المباركة، فقد ذكر المحب الطبري أن دار خديجة ـ رضي الله عنها ـ أفضل الاماكن بمكة بعد المسجد الحرام والله أعلم[٣]، ولعل ذلك يرجع لنزول الوحي فيه ولطول سكنى النبي الكريم ﷺ له ولأنه كان فيه أول الناس اسلاماً زوجته خديجة ـ رضي الله عنها ـ وبناتها، وسيدنا علي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة ـ رضي الله عنهما ـ وهما ضمن أسرة رسول الله ﷺ في بيت الطاهرة

---

(١) هذا حديث مرسل، وقد رواه مسلم متصلاً عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، «قالت: ما غرت على أحد، ما غرت على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني رسول الله ﷺ بثلاث سنين، ولقد أمر أن يبشرها ببيت من قصب في الجنة» راجع الروض الانف ـ القصب (ههنا: اللؤلؤ المجوف).

(٢) في كتاب (الفصول) ذكر ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ أوليات الطاهرة خديجة ـ رضي الله عنها ـ (ص٢٤٣).

(٣) عن كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (ج١/٤٣٨).

المباركة، وقد جعل البيت مسجداً يصلى فيه بعد وفاتها بزمن خلافة معاوية بن أبي سفيان[1]، وفي دار الطاهرة المباركة خديجة يذكر الإمام الفاسي أيضاً أن الدعاء يستجاب فيها ليلة الجمعة. قضت السيدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ حوالي الربع قرن مع النبي ﷺ تبره وترجو سعادته، لا تبخل عنه لا مادياً ولا حتى معنوياً، ولكل من أحبه ويحبه إلى أن وصل كرمُها حليمةَ السعديةَ مرضعة رسول الله ﷺ التي جاءت قاصدة الزيارة إلى السيدة خديجة في سنة جدب، فأكرمتها وأحسنت عطيتها، وعادت حليمة من عندها ببعير يحمل الماء وأربعين رأساً من الغنم، وكذلك ثويبة أول مرضعة للنبي ﷺ كانت تكرمها وفاءً لزوجها وحباً له. لقد شاركت السيدة خديجة زوجها الكريم أفراحه وأحزانه وكانت معه جنباً إلى جنب في كل ما أمر به الله عز وجل تسمع وتطيع، وحين فرض الله تعالى الصلاة على نبيه ﷺ، وقد علّمه جبريل عليه السلام الوضوء والصلاة، جاء إلى خديجة ـ رضي الله عنها ، فتوضأ لها رسول الله ﷺ ليريها كيف الوضوء والطهور للصلاة كما علمه جبريل عليه السلام، فتوضأت كما توضأ لها رسول الله ﷺ ثم صلى بها فصلت بصلاته، ومكث رسول الله ﷺ وخديجة يصليان سراً ما شاء الله. فقد روى عفيف الكندي فقال: جئت في الجاهلية إلى مكة وأنا أريد أن أبتاع لأهلي من ثيابها وعطرها فنزلت على العباس بن عبد المطلب. قال: كنت عنده وأنا أنظر إلى الكعبة وقد حلقت الشمس فارتفعت إذ أقبل شاب حتى دنا من الكعبة فرفع رأسه إلى السماء فنظر ثم استقبل الكعبة قائماً فجاء غلام وقام على يمينه، ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما ثم ركع الشاب فركع الغلام وركعت المرأة، ثم رفع الشاب رأسه ورفع الغلام ورفعت المرأة رأسها، ثم خر الشاب ساجداً وخر الغلام ساجداً وخرت المرأة ساجدة، قال: فقلت يا عباس إني أرى أمراً عظيماً. فقال العباس: أمر عظيم هل تدري من هذا الشاب؟. قلت:

---

(١) عن كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (ج١/ ٤٣٦).

لا. ما أدري. قال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي. وهل تدري من هذا الغلام؟ قلت: ما أدري. قال هذا علي بن أبي طالب ابن أخي. وهل تدري من هذه المرأة؟ قلت: لا. ما أدري. قال هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي هذا، لقد حدثنا ابن أخي أن ربه هو رب السموات والأرض وقد أمره بهذا الدين الذي هو عليه. والله ما علمت على ظهر الأرض كلها يتبع هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة. قال عفيف: فتمنيت بعد الإسلام أن كنت رابعهم[١].

هكذا كانت السيدة خديجة - رضي الله عنها - تطيع زوجها في أقواله وتصرفاته رغم ما قاسته من العذاب والاذى وخاصة عندما قُضي على بني هاشم وبني عبد المطلب عام المقاطعة[٢] أن يخرجوا من مكة إلى شعابها، بعد ما أعلنت قريش عليهم حرباً نفسية واقتصادية لا ترحم صغيراً ولا ضعيفاً ولا شيخاً ولا امرأة.

وعلى الرغم من ذلك لم تتردد السيدة خديجة - رضي الله عنها - لحظة واحدة عن الخروج مع زوجها رسول الله ﷺ، مبرهنة على صدقها ووفائها له ولرسالته الإلهية رغم كبر سنها، فصبرت على الصعاب مدة ثلاث سنين محتسبة الأجر عند اللهتعالى، وينتهي الحصار، وبعد ذلك بستة أشهر مات عمه (أبو طالب) الذي كان بمثابة الأب العطوف، وبموته وجدت قريش أن الفرصة آنت لزيادة الاضطهاد والعذاب في سبيل أن يردوه عن دينه. فقال ﷺ: «ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب»؟!. في أثناء ذلك كانت خديجة الطاهرة - رضي الله عنها - على فراش المرض تعاني آلامها فقام النبي ﷺ يتعهدها ويلتزمها وهي على فراش الاحتضار ليؤنسها

---

(١) انظر عيون الأثر (ج١/ ١١٦)، ومجمع الزوائد(ج٩/ ٢٢٢و٢٢٣)، والسيرة الحلبية (ج١/ ٤٣٦و٤٣٧)، انظر كذلك طبقات ابن سعد (ج٨/ ١٧و١٨) بلفظ قريب.

(٢) انظر خبر الصحيفة التي تحالفت قريش فيها على المقاطعة، في السيرة النبوية: لابن هشام (ج١/ ٣٥٠).

ويبشرها بالجنة وبمنزلتها العظيمة، وقد أخبر عنها عليه الصلاة والسلام بعد وفاتها فقال: «أبصرتها على نهر من أنهار الجنة في بيت من قصب لا لغو فيه ولا نصب[١]».

ولما حضرتها الوفاة دخل عليها نبي الله ﷺ، فقال: «تكرهين ما أرى منك وقد جعل الله في الكره خيراً». وعند دفنها نزل رسول الله ﷺ في حفرتها[٢] وأدخلها القبر بيده الشريفة في الحجون[٣]، وقد أطلق رسول الله ﷺ على ذلك العام اسم (عام الحزن) لوفاة عمه وزوجته ولشدة ما كان فيه من الشدائد في سبيل الدعوة أيضاً، فأحس رسول الله ﷺ بالحزن وغلب عليه الوجد حتى خشي عليه ولما قالت له خولة بنت حكيم: يا رسول الله كأني آراك وقد دخلتك خِلة[٤] لفقد خديجة، قال: «أجل كانت أم العيال وربة البيت».

يقول الامام الذهبي ـ رحمة الله عليه ـ عن السيدة خديجة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ: «ومناقبها جمة وهي ممن كمل بالصفات من النساء، كانت عاقلة جليلة دينة مصونة كريمة، من أهل الجنة، وكان النبي ﷺ يثني عليها ويفضلها على بقية أمهات المؤمنين فيبالغ في تعظيمها، بحيث أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ كانت تقول: «ما غرت من امرأة ما غرت من خديجة، لكثرة ذكر النبي ﷺ لها[٥] لقد كان النبي ﷺ يحبها ويكرمها ويثني عليها، وفي حقها يقول: (كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا ثلاث: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة. يقول: (أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة)، قالت عائشة فأغضبته

---

(١) مجمع الزوائد: للهيثمي (ج٩/ ٢٢٣) واسناده صحيح.
(٢) المجتبى: (ص٩١).
(٣) جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها.
(٤) أي حزن وحاجة.
(٥) سير أعلام النبلاء (ج١/ ١١٠)، والحديث أخرجه البخاري ومسلم والترمذي.

يوماً فقلت: خديجة؟! فقال: (إني قد رزقت حبها[1]). إن رسول الله ﷺ لم ينس خديجة رضي الله عنها بعد وفاتها بل كان يكثر من ذكرها على الرغم من حلول زوجات كريمات صالحات وفيات بعدها إلا أنه بقيت في أعماق قلبه آثارها الطيبة وحبها الصادق له ومن كرامتها عليه ﷺ أنه لم يتزوج امرأة قبلها ولم يتزوج عليها قط إلى أن قضت نحبها ـ رضي الله عنها ـ لقد كان كثرة ذكرها من قبل النبي ﷺ ما يثير من غيرة الضرائر منها وهذه عائشة أم المؤمنين نراها تشتعل بالغيرة وذلك حين دخلت هالة أخت خديجة رضي الله عنها وكان صوتها يشبه صوت أختها إلى بيت عائشة والرسول ﷺ في فنائه فسلمت عليه وحين سمع صوتها هتف قلبه وقال: (اللهم هالة)!!. فقالت عائشة غاضبة: (ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين[2]، هلكت في الدهر، أبدلك الله خيراً منها)؟!. فغضب رسول الله ﷺ وقال: (والله ما أبدلني الله خيراً منها قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله أولادها وحرمني أولاد الناس[3]) هكذا كانت خديجة رضي الله عنها ملأت حياة النبي ﷺ في حياتها ومماتها. قالت عائشة رضي الله عنها: (كأن لم يكن في الدنيا امرأة سواها). قال رسول الله ﷺ: (لقد فضلت خديجة على نساء أمتي، كما فضلت مريم على نساء العالمين)[4]. وقال رسول الله ﷺ: (أفضل نساء الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة ابنة محمد ﷺ، ومريم ابنة عمران، وآسية ابنة مزاحم، امرأة فرعون[5])!!. لقد

---

(١) صحيح مسلم: الفضائل (ص١٢).
(٢) كناية عن كبر سنها.
(٣) رواه أحمد: واسنادحسن. مجمع الزوائد: للهيثمي (ج٩/ ٢٢٤).
(٤) مجمع الزوائد: للهيثمي (ج٩/ ٢٢٣). رواه الطبراني والبزار، ورجاله وثقوا إلا أبا يزيد الحميري لم يعرف.
(٥) مجمع الزوائد: للهيثمي (ج١/ ٢٢٣)، رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجاله رجال الصحيح.

كان رسول الله ﷺ وفياً فقد وفّى للسيدة الطاهرة في حياتها وبعد وفاتها أشد الوفاء ويظهر ذلك عندما أسر في غزوة بدر أبو العاص بن الربيع صهر الرسول ﷺ زوج ابنته زينب ابنة الحبيبة خديجة ـ رضي الله عنها ـ فأرسلت زينب فداء لزوجها، ومن ضمن الفداء قلادة قلدتها بها والدتها المعطاءة خديجة ـ رضي الله عنها ـ ليلة زفافها فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة وقال لأصحابه: (إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها قلادتها فافعلوا). فأسرع أصحابه الكرام للإستجابة لأن لتلك الأم الطاهرة دين كبير في عنق كل مسلم ومسلمة ـ رضي الله عنها ـ وأرضاها وفي بيت عائشة وفاء آخر للطاهرة خديجة عندما جاءت النبي ﷺ امرأة عجوز من صويحبات السيدة خديجة فأحسن لقاءها، وأكرم مثواها، وبسط لها رداءه فأجلسها عليه، وصار يسأل عن أحوالها وما صارت اليه، فقالت عائشة لما خرجت: تقبل على هذه العجوز هذا الاقبال! فقال: (إنها كانت تأتينا زمان خديجة، وإنَّ حُسنَ العهدِ مِنَ الإيمان)[1].

توفيت السيدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ قبل الهجرة بثلاث سنوات في مكة المكرمة ولها من العمر خمس وستون سنة.

ذكر أن السيدة خديجة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ روت عن النبي ﷺ حديثاً واحداً، ولم يذكر في الصحاح[2].

رحمك الله أيتها السيدة الطاهرة الفاضلة وبشراك بالجنة التي وعدك الله بها لقد احتليت مكانة في قلب النبي الكريم ﷺ وفي قلوب أمته فرضي الله عنك يا سيدة نساء العالمين وأرضاك.

ـ إنه سميع مجيب ـ

---

(١) رواه الحاكم والبيهقي في الشعب.
(٢) المجتبى: لابن الجوزي (ص٩١).

الخنساء بنت عمرو

هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الرباحية السليمية من قيس عيلان من مضر، أشهر شواعر العرب على الإطلاق، عاشت معظم عمرها في الجاهلية، وعندما أدركت الإسلام، قدمت على رسول ﷺ مع قومها من بني سليم وأسلمت معهم وكان النبي ﷺ يعجبه شعرها ويستنشدها ويقول: (هيه يا خناس[١])!! ويومي بيده!!...

وقد أجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها!!..

ولعل أجمل شعرها وأجوده رثاؤها لأخويها، صخر ومعاوية وكانا قد قتلا في الجاهلية. يقول المبرد: (ومن أحسن المراثي ما خلط فيه مدح بتفجيع على المرثي، فإذا أوقع ذلك بكلام صحيح، ولهجة معربة، ونظم غير متفاوت فهو الغاية من كلام المخلوقين[٢]).

وكذلك رثاء الخنساء. وكيف لا تكون كذلك وهي الشاعرة المشهورة والصحابية الجليلة.

وهذا حديث دار بين رسول الله ﷺ وعدي بن حاتم، حيث قال عدي: يا رسول الله إن فينا أشعر الناس وأسخى الناس وأفرس الناس. قال: سمّهم. قال: أما أشعر الناس فامرؤ القيس بن حجر، وأما أسخى الناس فحاتم بن سعد (يعني أباه) وأما أفرس الناس فعمر بن معد يكرب، فقال

---

(١) أسد الغابة: لابن الأثير (ج٥/ ٤٤١). والإصابة: لابن حجر (ج١٢/ ٢٢٥ـ٢٢٦). وكلمة (هية) لاستزادة الحديث.

(٢) بلاغات النساء (ص١٦٧).

رسول الله ﷺ: ليس كما قلت يا عدي. أما أشعر الناس فالخنساء بنت عمرو وأما أسخى الناس فمحمد(يعني نفسه ﷺ) وأما أفرس الناس فعلي بن أبي طالب.

دخلت الخنساء ذات مرة على عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وعليها صدار[1] من شعر، قد استشعرته إلى جلدها، فقالت لها: ما هذا يا خنساء؟ فوالله لقد توفي رسول الله - ﷺ - فما لبسته، قالت: إن له معنى دعاني إلى لباسه، وذلك أن أبي زوجّني سيد قومه، وكان رجلاً متلافاً، فأسرف في ماله، حتى أنفذه، ثم رجع إلى مالي، فأنفذه أيضاً.

ثم التفت إليّ فقال: إلى أين يا خنساء؟ قلت: إلى أخي صخر، فأتيناه، فقسم ماله شطرين[2] ثم خيرنا في أحسن الشطرين، فرجعنا من عنده على حال حسنة، فلم يزل زوجي حتى أذهب جميعه. ثم التفت إليّ، فقال إلى أين ياخنساء قلت: إلى أخي صخر، فرحلنا إليه فقسم ماله شطرين، وخيرنا في أفضل الشطرين.

فقالت له زوجته: أما ترضى أن تشاطرهم مالك حتى تخيرهم بين الشطرين! فقال:

والله لا أمنحها شرارها   فلو هلكت قدّدت[3] خمارها

* واتخذت من شعر صدارها * فآليت ألا يفارق الصدار جسدي ما بقيت!..

لقد كانت الخنساء أشعر النساء في الجاهلية والإسلام لها أشعار مشهورة وأخبار مذكورة.

وقد قيل لجرير: من أشعر الناس؟ قال: أنا لولا الخنساء. قيل: لم

---

(١) الصدار: ثوب رأسه كالمقنعة، وأسفله يغشى الصدر والمنكبين، وكانت المرأة إذا فقدت حميمها فأحدّت عليه لبست صداراً من صوف. العقد الفريد ١-٢٢، سرح العيون: ٢٩٩.

(٢) شطر الشيء: نصفه.

(٣) قددت: قدت وقطعت.

فضلتها؟ قال: لقولها:

إن الزمان وما يفنى له عجب ... أبقى لنا ذنباً واستأصل الرأس
إن الجديد في طول اختلافهما ... لا يفسدان ولكن يفسد الناس

وحدث عبد الملك بن قريب فقال: كان يضرب للنابغة قبة من أدم بسوق عكاظ[1] فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها فكان أول من أنشده الأعشى ثم حسان بن ثابت ثم أنشدته الشعراء ثم أنشدته الخنساء:

وإن صخراً لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

فقال: والله لولا أن أبا بصير أنشدني آنفاً لقلت إنك أشعر الجن والإنس.

فقام حسان فقال: والله لأنا أشعر منكَ ومن أبيك. فقال له النابغة: يا ابن أخي أنت لا تحسن أن تقول:

فإنك كالليل الذي هو مدركي ... وإن خلت أن المنتأى عنك واسع
خطاطيف حجن في حبال متينة ... تمد بها أيد إليك نوازع

قال: فخنس حسان لقول.

وقال حسان بن ثابت: جئت نابغة بني ذبيان فوجدت الخنساء بنت عمرو حين قامت من عنده فأنشدته فقال: إنك لشاعر وإن أخت بني سليم لبكاءة.

وكان بشار يقول: لم تقل امرأة شعراً قط إلا تبين الضعف فيه. فقيل له: أوكذلك الخنساء؟ فقال: تلك كان لها أربع خصي. وقالوا أجود أشعار النساء أشعار الموتورات أي التي قتل لها قتيل فلم يدرك بدمه، الحاضات على الطلب والدخول والمعيرات في ذلك بالتقصير والثاكلات المؤنبات وأشعر النساء في الجاهلية والإسلام الخنساء.

---

(١) عكاظ: قال الأصمعي: عكاظ نخل في واد بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث ليال وبه كانت تقام سوق العرب بموضع منه يقال له: الأثيداء وبه أيام الفجار وكان هناك صخور يطوفون بها ويحجون إليها. وقال الواقدي: عكاظ بين نخلة والطائف ذو المجاز خلف عرفة ومجنة بمر الظهران.

كما أن المبرد قد قال: كانت الخنساء وليلى بائنتين في أشعارهما متقدمتين لأكثر الفحول ورب امرأة تتقدم في صناعة وقل مايكون ذلك.

وقال محمد بن سلام: لقد جعلنا المراثي طبقة بعد العشر طبقات أولهم المتمم بن نويرة رثى أخاه مالكاً، والخنساء بنت عمرو رثت أخويها صخراً ومعاوية، فأما صخراً فقتله بنو أسد وأما معاوية فقتله بنو غطفان، فقالت في صخر كلمتها التي تقول فيها:

وإن صخراً لتأتم الهداة به. . .

سأل عبد الملك بن مروان ذات مرة: أي نساء الجاهلية أشعر؟ فقال الشعبي: الخنساء. فقال له عبد الملك: ولم فضلتها على غيرها؟ قال لقولها:

وقائلة والناس قد فات خطوها لتدركه يا لهف نفسي على صخر
ألا ثكلت أم الذين غدوا به إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر

فقال عبد الملك: أشعر منها والله التي تقول:

مهفهف الكشح والسربال منخرق عنه القميص لسير الليل محتقر
لا يأمن الناس ممساه ومصبحه في كل فج وإن لم يغز ينتظر

ثم قال: يا شعبي مالك شق عليك ما سمعت؟ قال الشعبي: إني والله يا أمير المؤمنين أشد المشقة.

وقد قال أبو زيد: ليلى أكثر تصرفاً وأغزر بحراً وأقوى لفظاً والخنساء أذهب عموداً في الرثاء (قال أبو الفرج):

. . . وحدثنا ثعلب[١] عن ابن الأعرابي أن دريد[٢] ابن الصمة مر بالخنساء بنت عمرو بن الشريد، وهي تهنأ[٣] بعيراً لها وقد

---

(١) ثعلب: راوية مشهور توفي سنة ٢٩١هـ.
(٢) دريد بن الصمة: شجاع من الشعراء المعمرين في الجاهلية. أدرك الإسلام ولم يسلم وقتل على دين الجاهلية يوم حنين توفي سنة ٨هـ.
(٣) تهنأ بعيراً: تطليه بالقطران.

تبذلت[1] حتى فرغت منه، ثم نضت عنها ثيابها فاغتسلت ودريد بن الصمة يراها وهي لا تشعر به فأعجبته، فانصرف إلى رحله وأنشأ يقول (من قصيدة مطلعها):

حيوا تماضر واربعوا صحيحي	وقفوا فإن وقوفكم حسبي
أخناس قد هام الفؤاد بكم	وأصابه تبل من الحب
ما إن رأيت ولا سمعت به	كاليوم طالي أينقٍ جرب
متبذلاً تبدو محاسنه	يضع الهناء مواضع النّقب
متحسراً نضح الهناء به	نضح البعير بريطه العصب
فسليهم عني خناس إذا	عضّ الجميع الخطب ما خطبي؟

فلما أصبح دريد توجه إلى أبيها فخطبها إليه. فقال له أبوها: مرحباً بك أبا قرّة! إنك للكريم لا يطعن في حسبه، والسيد لا يردّ عن حاجته، والفحل لا يقرع أنفه ولكن لهذه المرأة في نفسها ماليس لغيرها، وأنا ذاكرك لها وهي فاعلة. ثم دخل إليها وقال لها: يا خنساء، أتاك فارس هوزان وسيد جشم دريد بن الصمة يخطبك وهو من تعلمين، ودريد يسمع قولهما. فقالت: يا أبت، أتراني تاركة بني عمي مثل عوالي الرماح وناكحة شيخ بني جشم هامة[2] اليوم أو غدا!. فخرج إليه أبوها فقال: يا أبا قرة قد امتنعت، ولعلها أن تجيب فيما بعد. فقال قد سمعت قولكما وانصرف.

وفي رواية ابن الكلبي: قالت لأبيها: أنظرني حتى أشاور نفسي، ثم بعثت خلف دريد وليدة فقالت لها: انظري دريداً إذا بال، فإن وجدت بوله قد خرق الأرض ففيه بقية، وإن وجدته قد ساح على وجهها فلا فضل فيه. فاتبعته وليدتها ثم عادت إليها فقالت: وجدت بوله قد ساح على وجه الأرض، فأمسكت. وعاود دريد أباها فعاودها فقالت له هذه المقالة المذكورة، ثم أنشأت تقول:

---

(١) تبذلت: لبست ثياب الشغل.

(٢) أي يموت اليوم أو غدا.

أتخطبني هبلت[1]، على دريد ... وقد أطردت[2] سيد آل بدر!
معاذ الله ينكحني حبركي[3] ... يقال أبوه من جشم بن بكر
ولو أمسيت في جشم هدياً[4] ... لقد أمسيت في دنس وفقر

فغضب دريد من قولها وقال يهجوها (بقصيدة مطلعها):

وقاك الله يا ابنة آل عمرو ... من الفتيان أمثالي ونفسي
فلا تلدي ولا ينكحك مثلي ... إذا ما ليلة طرقت بنحس

وفي رواية أن دريد بن الصمة خطب الخنساء فأراد أخوها معاوية أن يزوجها منه وكان أخوها صخر غائباً في غزاة له فأبت وقالت: لا حاجة لي به، فأراد معاوية أن يكرهها فقالت:

تباكرني حميده كل يوم ... بما يولي معاوية بن عمرو
فالا أعط نفسي نصيباً ... فقد أودى الزمان إذا صخر
أتكرهني هبلت على دريد ... وقد أحرمت سيد آل بدر
معاذ الله يرضعني حبركي ... قصير الشبر من جشم بن بكر
يرى مجداً ومكرمه أتاها ... إذا عش الصديق حريم تمر

لقد كانت الخنساء في أول امرها تقول البيتين والثلاثة حتى قتل أخوها لأبيها وأمها معاوية بن عمرو وقد قتل هاشم وزيد المريان ثم قتل صخر وهو أخوها لأبيها وكان أحبهما إليها. فقد كان حليماً جواداً محبوباً في العشيرة ولما غزا بني أسد طعنه أبو نور الاسدي.

فمرض منها قريباً من حول ثم مات. فكان قتل أخويها نافذة للخنساء لأن تصب ما عندها من ملكة شعر في رثائهما فأكثرت من الشعر وأجادت فمن شعرها في رثاء أخيها صخر.

---

(١) يقال: هبلته أمه: دعاء عليه، وهبلت: ثكلت.
(٢) أطردت: أمرت بطرده.
(٣) الحبركي: الغليظ.
(٤) الهدى: العروس.

اذهب فلا يبعدنك الله من رجل ... مناع ضيم وطلاب لأوتار
قد كنت فينا مريحاً غير مؤتنب ... مركباً في نصاب غير خوار
فسوف أبكيك ما ناحت مطوقة ... وكما أضاءت نجوم الليل للساري
أبكي الفتى الحي نالته منيته ... وكل نفس إلى وقت بمقدار

ومن شعرها ترثي صخراً:

أعينيّ جودا ولا تجمدا ... ألا تبكيان لصخر الندى[1]
ألا تبكيان الجرىء الجميع ... ألا تبكيان الفتى السيدا[2]
رفيع العماد طويل النجا ... د ساد عشيرته أمردا[3]
إذا بسط القوم عند الفصال ... أكفهم تبتغي المحمدا
وكان ابتدارهم للعلى ... سار فمد إليها يدا
فنال التي فوق أيديهم ... من المجد ثم انتحى مصعدا[4]
ويحمل القوم ما عالهم ... وإن كان أصغرهم مولدا
جموع الضيوف إلى بيته ... يرى أفضل الكسب أن يحمدا[5]
وإن ذكر المجد ألفيته ... تأزر بالمجد ثمّ ارتدى
غياث العشيرة إن امحلوا ... يهين التلاد ويحيى الجدا[6]

---

(١) ديوانها: ١٤.
(٢) الجميع: المجتمع القلب لا يذهب قلبه شعاعاً من الغرق، ويروى (الجرىء الجميل).
(٣) النجاد: حمائل السيف، وتريد بطول النجاده: طول قامته، وهذا من يمدح به الشريف وقولها: (رفيع العماد) أي مرتفع العمد: والعرب تمدح بطول العنق وتذم قصرها.
(٤) قولها: (التي فوق أيديهم) أي: سبق إلى الخير والمكرمة واليد التي فوق طلاب المكارم، أي: نال التي لم ينالوها، وانتمي مصعدا، أي عالياً للأمور.
(٥) ورد في أعلام النساء: ترى المجد يهوى إلى بيته يرى أفضل المجد أن يحمدا.
(٦) أمحلوا: أجدبوا، والمحل الجدب، والجدا: العطية، والتالد: القديم وهو هاهنا المال الموروث.

وقالت أيضاً في صخر:

ما هاج حزنك أم بالعين عوّار ... أم ذرّفت أم خلت من أهلها الدار[١]

كـأنّ عينـي لـذكـراه إذا خطـرت ... فيضٌ يسيل على الخدين مدرار

تبكي لصخر هي العبرى وقد ولهت ... ودونه من جديد التّرب أستار[٢]

تبكي خناس على صخر وحق لها ... إذ رابها الدهر أنّ الدّهر ضرار

تبكي خناس فما تنفك ما عمرت ... لهـا عليـه رنيـن وهـي مفتـار[٣]

لا بد من ميتة في صرفها غيرٌ ... والدهر في صرفه حول وأطوار[٤]

قد كان فيكم أبو عمرو يسودكم ... نعـم المعمـم للـداعيـن نصـار[٥]

صلـب النحيـزة وهـاب إذا منعـوا ... وفي الحروب جريء الصدر مهصار[٦]

يـا صخـر وراد مـاء قـد تنـاذره ... أهل الموارد ما في ورده عار[٧]

مشى السبنتي إلى هيجاء مضلعه ... لـه سـلاحـان أنيـاب وأظفـار[٨]

فمـا عجـول على بـو تطيـف بـه ... لــه حنينــان أصغــارٌ وأكبــار[٩]

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت ... فــإنمــا هــي إقبــالٌ وإدبــار[١٠]

---

(١) الديوان: ب‍ـ٧٣ـ ويروى: قذى بعينيك... والعوار وجع في العين كالقذى.

(٢) العبري: التي لا تجف عينها من الدموع، الوله: ما يصيب المرأة والرجل من شدة الجزع، ويروى (وقد ثكلت)، ويروى (ودونه من تراب الأرض أشبار).

(٣) ماعمرت، أي: طالما عاشت، والرنين هنا: البكاء، والمفتار: التي أصابها فترة، أي: ضعف وانكسار.

(٤) حول: تحول، تريد أن يتقلب بأهله، وأطوار: حالات.

(٥) معمم: مسود، عمم الأمر: قلده، فيصدر عن رأيه.

(٦) النحيزة: الطبيعة، مهصار: يهصر الاعناق. أي يدقها.

(٧) تقول: شربت كأس المنية في وقت يأباها غيرك، وليس في شربها عار.

(٨) السبنتي: الجريء الصدر وأصله في النمر. والمضلعة: الشديدة، وفي الاغاني والكامل (إلى هيجاء معضلة).

(٩) العجول: التي يموت ولدها وهو صغير، والبو: جلد ولد الناقة إذا مات حين تلده أمه، ويحشَى تبناً وهي لا تراه، ويدنى منها فتشمه وترامه فتدر عليه اللبن.

(١٠) اخبرت أنها قلقة تقبل وتدبر من شدة ما بها من القلق والاضطراب تقول: كأنني=

لا تسمن الدهر في أرضٍ وإن ربعت فـإنمـا هـي تحنـان وتسجـار[1]

يـومـا وجـد منـي يـوم فـارقنـي صخـر وللـدهـر إحـلاء وإمـرار[2]

وإن صخـرا لكـافينـا وسيـدنـا وإن صخـراً إذا نشتـو لنحـار

وإن صخـراً المقـدم إذا ركبـو وإن صخـراً إذا جـاعـوا لعقـار

أغـر أبلـج تـأتـم الهـداة بـه كـأنـه علـم فـي رأسـه نـار[3]

جلـد جميـل المحيـا كـامـل ورع وللحـروب غـداة الـروع مسعـار

حمـال الـويـه هبـاط أوديـة شهـاد أنـديـة للجيـش جـرار

فقلت لما رأيت الدهر ليس له معـاتـب وحـده يسـدي ونيـار[4]

لقد نعى ابن نهيك لي أخا ثقة كـانـت تـرجـم عنه قبـل أخبـار[5]

فبـت سـاهـرة للنجـم أرقبـه حتى أتى دون غور النجم أستار[6]

لـم تـره جـارة يمشـي بسـاحتهـا لـريبـة حيـن يخلـي بيتـه الجـار

ومـا تـراه ومـا فـي البيـت يـأكلـه لكنـه بـارز بـالصحـن مهمـار[7]

ومطعم القوم شحماً عند مسغبهم وفي الجدوب كريم الجد ميسار

قد كان خالصتي من كل ذي نسب فقد أصيب فما للعيش أوطار[8]

= وحشية إذا غفلت رعت، وإذا ذكرت فقد ولدها لم يقرها قرار.

(١) ربعت: أصابها مطر الربيع، ومثال: حنت الناقة: إذا طربت في اثر ولدها إذا امدت الحنين وطربت قيل: سجرت بالجيم.

(٢) قولها «وللدهر احلاء وامرار» أي سرور وحزن.

(٣) الاعز: ابيض الوجه، الواسع الجبهة، والابلج: البعد بين الحاجبين الذي ليس باقرن وهذا مما يمدح به الرجل، والعلم: الجبل.

(٤) أسدى الثوب: اقام سداه، أي: ما مد من خيوطه، وهو خلاف نير الثوب: إذا جعل له نيراً، أي لحمه، استعارت ذلك لنقض الامور وابرامها.

(٥) ابن نهيك، احد بني سليم نعى إلى الخنساء موت صخر، اخو ثقة: أي: صاحب ثقة يعتمد عليه، ارادت اخاها. ترجم اخبار، أي: كانت قبلاً تذكر على سبيل الظن.

(٦) ارقبة، أي: ترقب متى يصبح لعل لها في ذلك فرحاً، وغور النجم سقوطه.

(٧) مهمار: مكثار يكثر لاضيافه من القرى.

(٨) خالصتي: الذي اخترته بنفسي وخلص لي وده.

مثل الرديني لم تنفد شبيبته　　كأنه تحت طي البرد أسوار[1]
جهم المحيا تضيء الليل صورته　　آباؤه من طوال السمك أحرار
مورث الجد ميمون نقيبته　　ضخم الدسيمة في العزاء مغوار[2]
فرع لفرع كريم غير مؤتشب　　جلد المريرة عند الجمع فخار[3]
في جوف رمس مقيم قد تضمنه　　في رمه مقمطرات وأحجار
طلق اليدين بفعل الخير ذو فجر　　ضخم الدسيعة بالخيرات أمار
ليبكه مقتر أفنى حريبته　　دهر وحالفه بؤس وإقتار
ورفقه حار هاديهم بمهلكة　　كان ظلمتها في الطخية القمار
عبل الذراعين قد تخشى بديهته　　له سلاحان أنياب وأظفار
لا يمنع القوم إن سألوه خلعته　　ولا يجاوزه بالليل مرّار

ولما مات صخر قالت تعارض دريداً في كلمته:

يؤرقني تذكر حين أمسي　　فيردعني مع الأحزان نكسي[4]
على صخر وأي فتى كصخر　　ليوم كريهة وطعان خلس[5]
وللخصم الألد إذا تعدى　　ليأخذ حق مظلوم بقنس[6]
فلم أسمع به رزاء لجن　　ولم أسمع به رزاء لانس[7]

---

(١) الرديني: الرمح منسوب إلى ردينه امرأة كانت تقوم الرماح، وقولها: (كأنه تحت طيء البرد اسوار).
(٢) الدسيعة: العطية، والعزاء: الشدة.
(٣) فرع لفرع أي: رأس لرأس، والمؤتشب: المخلوط الحسب، والمريرة: ابرام الرأي.
(٤) الديوان: ١٥٠، ويروى الشطر الأخير: (فأصبح قد بليت بفرط نكسي).
(٥) خلس: مخالسة، وللطعن خلس كله انما هو فرض.
(٦) الالد: الشديد اللداذي: الخصام، والقنس: الرأس.
(٧) المعنى: لم اسمع للجن مصيبة ولا للانس اعظم من مصيبتي هذه.
وقد ورد في أعلام النساء على النحو التالي:
ولم أر مثله رزءاً لجن　　ولم ار مثله رزءاً لأنس

أشد على صروف الدهر آدا ... وأفضل في الخطوب لبس[1]

وأكرم عند ضر الناس جهداً ... لجاد أو لجار أو لعرسي[2]

وضيف طارق أو مستجير ... يروع قلبه من كل جرسي

فأكرمه وآمنه فأمسى ... خلياً باله من كل بؤس

ألا يا صخر لا أنساك حتى ... أفارق مهجتي ويشقّ رمسي

يذكرني طلوع الشمس صخراً ... وأذكره لكل غروب شمس[3]

فلولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي

ولكن لا أزال أرى عجولاً ... ونائحه تنوح ليوم نحس[4]

هما كلتاهما تبكي أخاها ... عشية رزئة أو غب أمس[5]

وما يبكين مثل أخي ولكن ... أسلي النفس عنه بالتأسي[6]

فقد ودعت يوم فراق صخر ... أبي حسان لذاتي وأنسي[7]

---

(١) آدا: أي شده. بغير لبس: بغير اختلاف ولا طيش. وقد روي (افصل بالصاد المهملة) تريد كأنه أوتي فصل الخطاب.
وقد ورد في اعلام النساء على النحو التالي:
اشد على صروف الدهر منه ... وافضل في الخطوب لكل لبس

(٢) الجادي: الطالب، والعرس: امرأة الرجل. تقول: إذا ضنَّ الناس وجهدوا كان صخراً أكرم ما يكون. أي يطعم ويسقي.

(٣) جاء في كتب الادب أن الاصمعي خرج على اصحابه، فقال لهم: ما معنى قول الخنساء: (يذكرني طلوع الشمس) لم خصت هذين الوقتين؟ فلم يعرفوا، فقال: أرادت بطلوع الشمس الغارة، وبمغيبها القرى، يغير على أعدائه عند طلوع الشمس ويجلس إلى الضيفان عند الغروب، تصفه بالشجاعة والكرم.

(٤) العجول: الثكلى، والجمع عجل، ويروى الشطر الأخير (ونائحة تفجع يوم نحس). وقد ورد البيت في اعلام النساء على النحو التالي:
ولكن لا أزال أرى عجولا ... يساعد نائحاً في يوم نحس

(٥) ويروى: أراها والها تبكي أخاها عشية رزئة أو غب أمس.

(٦) : ويروى: (وما يبكون... أعزى) وأعزى: أصبر، وأسلي: مثله. وقولها: (وما يبكون) تعني النساء والرجال.

(٧) أبو حسان: احدى كنى صخر أخي الخنساء.

فيا لهفي عليه ولهف أمي　　أيصبح في الضريح وفيه يمسي

وما قالت في التحريض وعيرت فيه بالتقصير في قولها لما قتلت بنو مرة بن أسعد بن ذبيان أخاها معاوية بن عمرو فتحرض أخاها صخراً على الطلب بدمه.

لا تقتلن بني فزارة إنما　　قتلنا فزارة والكلاب سواء
ودع الثعالب عنها وسنيها　　ما في الثعالب من أخيك وفاء
وعليك مرة إن قتلت وإنما　　قتلاك مرة إن قتلت شفاء

ويقول أبو زيد إنه يقال: إن معاوية بن عمر بن الشريد بن الصمة تقاولا أشعاراً تهادياها بينهما ثم أنهما التقيا بعكاظ فقال معاوية لدريد أبا قرة إني آليت لأُنَادِمَنَّ اليوم خير من ورد عكاظ فانطلق بنا فانطلق معه فسارا حتى عمل الشراب فيهما فتعاقدا لئن قتل أحدهما دون صاحبه ليطلبن بدمه فقتلت بنو مرة معاوية وقد قتله هاشم بن حرملة فطلبه دريد حتى قتله فقالت الخنساء:

فدى للفارس الجشمي نفسي　　وأفديه بمن لي من حميم
أفديه بجل بني سليم　　بظاعنهم وبالدنس المقيم
كما من هاشم أقررت عيني　　وكانت لا تنام لدى المنيم

وأنشد أبو زيد مع المنيم وقال: هذه الأبيات مقولة والأصح عندنا في الخبر أن صخراً قتل قاتل أخيه وأدرك بثأره في بني مرة قال: وقال أبو عبيدة: إنما عنت بقولها للفارس الجشمي قيس بن عيلان الجشمي وكان رأى هاشم ابن حرملة قد تبرز لحاجته فاعثره فرماه بسهم فقتله «وكانت» الخنساء تحت مرداس بن أبي عامر فقالت له لما هلك ترثيه:

لما رأيت البدر أظلم كاسفاً　　أرنِ سراً بطنه وسوائله
رنيناً وما يغني الرنين وما قد أتى　　بموتك من نحو القرية حامله
قد اختار مرداساً على العين قائلة　　ولو عاده كنانه وحلائله[1]

---

(١) كنانة: جمع كنه وهي امرأة الابن والأخ.

وفضل مرداساً على الناس حلمه ... وإن كل هم همه فهو فاعله
وواد مخوف يكره الناس هبطه ... هبطت وماء منهمل أنت ناهله
وسبي كأمثال الظباء تركته ... خلال البيوت مستكيناً عواطله
فعدت عليهم بعد بؤسي بأنعم ... فكلهم يجزي به وتواصله
متى ما يوازي ماجداً يعتدل به ... كما عدل الميزان بالكف حامله

ولها ترثي أخاها معاوية:

أبعد ابن عمرو ومن آل الشريد حلت به ... الأرض أثقالها[1]
سأحمل نفسي على آلة ... فأما عليها وآمالها[2]
وخيل تكدس بالدار عين ... نازلت بالسيف أبطالها[3]
يهين النفوس وهون النفوس ... يوم الكريهة أبقى لها
فإن تك مرة أودت به ... فقد كان يكثر تقتالها
فزال الكوكب من فقده ... وجللت الشمس إجلالها[4]
وداهية جرها جارم ... ثقيل الحواضن أحبالها
كفاها ابن عمرو ولم يستعن ... ولو كان غيرك أدناها

وقالت ترثي أخاها معاوية حين قتله بنو مرة:

ألا لا أرى في الناس مثل معاوية ... إذا طرقت إحدى الليالي بداهية
بداهية يصغي الكلاب حسيسها ... وتخرج من سر النجي علانية
وكان لزاز الحرب عند شبوبها ... إذا شمرت عن ساقها وهي ذاكية
وقواد خيل نحو أخرى كأنها ... سعال وعقبان عليها زبانية
بلينا وما تبلى تعار وما ترى ... على حدث الأيام إلا كما هيه
فأقسمت لا ينفك دمعي وعولتي ... عليك بحزن ما دعا الله داعيه

---

(١) حلت من الحلى، تقول: زينت به الأرض الموتى.
(٢) قولها: على آلة «أي على حالة فاصلة» فإما ظفرت وإما هلكت.
(٣) تكدس: يكب بعضها على بعض.
(٤) (ويروى) فخر الشوامخ من فقده زلزلت الارض زلزالها ـ والشوامخ: الجبال.

فلما أنشدت الخنساء النابغة الذبياني قال لها: لولا أن أبا بصير يعني الأعشى وحسان بن ثابت أنشدني آنفاً لقلت إني لم أسمع مثل شعرك ولكن والله ما رأيت ذا مثانة قط أشعر منك فقالت له لا والله ولا ذا خصيتين.

وقيل للخنساء: صفي لنا أخويك صخراً ومعاوية، فقالت: كان صخر والله جنة الزمان الأغبر وذعاف الخميس الأحمر، وكان والله معاوية القائل الفاعل. قيل لها: فأيهما كان أسنى وأفخر؟ قالت: أما صخر فحر الشتاء، وأما معاوية فبرد الهواء. قيل لها: فأيهما أوجع وأفجع؟ قالت: أما صخر فجمر الكبد وأما معاوية فسقام الجسد، وأنشأت تقول:

أسـدان محمـر المخـالـب نجـدة ... بحران في الزمن الغضوب الأنمر
قمـران فـي النـادي رفيعـا محتـد ... فـي المجـد فـرعـاً سـؤدد متخيـر

وأقبلت الخنساء من الموسم فوجدت الناس مجتمعين على هند بنت عتبة بن ربيعة فقالت الخنساء: على من تبكين؟ قالت هند: على عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، قالت الخنساء: ومن أنت يا أخيَّة؟ قالت: أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة وقد بلغني أنك تعاظمين العرب بمصيبتك، فبم تعاظمينهم؟ فقالت الخنساء: بعمرو بن الشريد أبي وأخوتي صخر ومعاويه. ثم قالت: أنشديني بعض ما قلت، فقالت هند:

أبكـي عميـد الأبطحيـن عليهمـا ... وحاميها من كل باغ يريدها[1]
أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمي ... وشيبة والحامي الذمار وليدها[2]
أولئـك آل المجـد مـن آل غـالـب ... وفي العز منها حين ينمي عديدها[3]

---

(١) الابطحان: تريد بطحاء مكة وسهل تهامة، وردت في أعلام النساء «عميد (عمود)، وحاميها (مانعها)».

(٢) وردت في أعلام النساء: الخيرات(الفياض).

(٣) عديدها: جموعها، وقد وردت بأعلام النساء آل المجد (العز) والشطر الثاني وللمجد يوم حين عديدها.

قالت الخنساء: مرعى ولا كالسعدان[1]، فذهبت مثلاً ثم أنشأت تقول:

أبكي أبي عمرا بعين غزيرة   قليل إذا نام الخليّ هجودها[2]
وصنويّ، لا أنس معاوية الذي   له من سراة الحرتين[3] وفودها
وصخرا، ومن ذا مثل صخر إذا غدا   بساهمة الأطلال قبا يقودها[4]
فذلك يا هند الرزية فاعلمي   ونيران حرب حين شبّ وقودها

وقال عمر بن الخطاب للخنساء: أخبريني بأفضل بيت قلته في أخيك، فقالت:

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى   فأنت على من مات بعدك شاغله

قيل لها: مدحت أخاك متى هجوت أباك فقالت:

جاري أباه فأقبلا وهما   يتعاوران ملاءة الخصر
حتى إذا نزت القلوب وقد   لُزت هناك العذر بالعذر
وعلا هتاف الناس أيهما   قال المجيب هناك لا أدري
برزت صحيفه وجه والده   ومضى على غلوائه يجري
أولى فأولى أن يساويه   لولا جلال السن والكبر
وهما وقد برزا كأنهما   صقران قد حطا إلى وكر

وقال عمر بن الخطاب للخنساء ما أقرح مآقي عينيك؟ قالت: بكائي

---

(١) يضرب هذا المثل للشيء يفضل عن أقرانه واشكاله.

(٢) قد ورد في أعلام النساء:
أبكي أبا عمرو بعين غزيرة   قليل إذا تغفى العيون رقودها

(٣) الحرة: الارض ذات الحجارة السود، والمراد حرة بني سليم، وحرة بني هلال بالحجاز أي: هو مقصد الاشراف تأتيه وفودها فيما يلم بها.

(٤) الساهمة: الدقيقة، والاطلال: جمع أطل وهو الخاصرة، والقب: جمع اقب وهي الفرس الدقيقة الخصر، الضامر البطن، وقد ورد البيت في اعلام النساء:
وصخراً ومن ذا مثل صخر إذا بدا   بساحته الأبطال قبا يقودها.

على السادات من مضر. قال: يا خنساء إنهم في النار. قالت: ذاك أطول لعويلي عليهم.

وقالت: كنت أبكي الصخر على الحياة فأنا اليوم أبكي له من النار.

لقد كان للخنساء أربعة أبناء وقد شهدوا حروب القادسية[1] سنة ١٦(هـ) وأوصتهم من أول الليل قائلة: يا بني أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ووالله الذي لا إله إلا هو إنكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية. يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾. فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين. فإذا رأيتم الحرب وقد شمرت عن ساقها، واضطرمت لظى على سياقها، وحللت ناراً على أوراقها، فتيمموا وطيسها، وجلدوا رئسها عند احتدام خميسها، تظفروا بالغنم والكرامة في الخلد والممامة. وخرج بنوها قابلين لنصحها عازمين على قولها فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزها وأنشأ أولهم يقول:

يا إخوتي إن العجوز الناصحة ... قد نصحتنا إذ دعتنا البارحة
مقالة ذات بيان واضحة ... فباكروا الحروب الضروس الكالحة
وإنما تلقون عند الصائحة ... من آل ساسان الكلاب النابحة[2]
وقد أيقنوا منكم بوقع الجائحة ... وأنتم بين حياة صالحة
أو ميتة تورث غنماً رابحة[3]

وتقدم فقاتل حتى استشهد رحمه الله تعالى! . . ثم حمل الثاني وهو يقول:

---

(١) القادسية: بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً.
(٢) الإصابة: لابن حجر (ج٢١/ ٢٢٥ـ٢٢٧)، وآل ساسان: الفرس.
(٣) الاستيعاب: لابن عبد البر (ج٢١/ ٢٩٥ـ٢٩٧) على هامش الاصابة.

إن العجــوز ذات حــزم وجلــد | والنظـر الأوفـق والـرأي السـدد
وقـد أمـرتنـا بـالسـداد والـرشـد | نصيحــة منهــا وبــراً بــالــولــد
فباكروا الحرب حماة في العدد | إمــا لفــوز بــارد علــى الكبــد
أو ميتــة تــورثكــم عــز الأبــد | في جنة الفردوس والعيش الرغد

وتقدم فقاتل حتى استشهد رحمه الله تعالى!.. ثم حمل الثالث وهو يقول:

والله لا نعصــي العجــوز حــرفــا | قــد أمــرتنــا حــدبــاً وعطفــا
نصحــاً وبــراً صــادقــاً ولطفــا | فبـادروا الحـرب الضـروس زحفـا
حتــى تلفــوا آل كســرى لفــا | أو تكشفوهم عن حماكم كشفا
إنـا نـرى التقصيـر منكـم ضعفـا | والقتــل فيكــم نجــدة وزلفــى

فقاتل حتى استشهد رحمه الله تعالى!.. ثم حمل الرابع وهو يقول:

لســت لخنســاء ولا لــلأحــزم | ولا لعمـرٍ وذي السعـاء[1] الأقـدم
إن لـم أرد فـي الجيـش الأعجـم | ماضٍ على الهول[2] خضمٌ خضرم
إمــا لفــوز عــاجــل ومغنــم | أو لــوفــاة فــي سبيــل الأكــرم

فقاتل حتى استشهد رحمه الله تعالى!... ورضي الله عنه وعن إخوته!.. فلما بلغها الخبر، قالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته[3]!... وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعطي الخنساء أرزاق أولادها الأربعة لكل واحد مائتي درهم، حتى قبض رضي الله عنه!.. وقالت لما شهدت حرب القادسية:

دل علــى معــروفــه وجهــه | بــورك هــذا هــاديــا مــن دليــل
تحسبــه غضبــان مــن عــزه | ذلــك منــه خلــق مــا يحــول

---

(١) وردت في اعلام النساء: (النساء).
(٢) وردت في اعلام النساء: (الحول).
(٣) راجع ديوان الخنساء» دار الكتب العلمية ص،١ـ والاعلام ج٢ ص،٨٦، ولسنا ندري لماذا أغفل أبو الفرج الاصفهاني اخبار إسلام الخنساء! مع أنه مشهور..!!

ويلمــــه مسعـــــر حـــرب إذا ألقـــي فيهـــا وعليـــه الشلّيــل

وقالت:

يهيـن النفـوس وهـو النفـوس غـداة الكـريهـة أبقـى لهـا

وقالت:

ترتع ما غفلت حتى إذا ذكرت فـإنمـا هـي إقبـال وإدبـار

وقالت:

خطـاب معضلـة فـراج مظلمـة إن جاء مفظعـة هيـأ لها بـابا

ومن كلامها:

مـا زاد شـيء إلا نقـص ولا قـام إلا شخـص

وأما قولها الذي عبرت من خلاله عن كبير رضاها باستشهادهم في سبيل الله! فلم ينسه لها التاريخ أبدَ الدهر!!. وسيبقى دائماً عزاء لكل أم شهيد قضى نحبه في سبيل الله تعالى!. فرضي الله عنها.. وعن أبنائها الشهداء. وأرضاهم جميعاً!!..

توفيت الخنساء بالبادية في أول خلافة عثمان سنة ٢٤هـ.

درة بنت أبي لهب

هي درة بنت أبي لهب عبد العزى بن عبد المطلب الهاشمية القرشية[1]، ابنة عمّ رسول الله ﷺ، أبوها أبو لهب أحد أعمام رسول الله ﷺ، واسمه عبد العزى بن عبد المطلب ابن هاشم القرشي، الذي كان كثير الأذية لرسول الله ﷺ، والبغض له، والحقد عليه، والتنقيص منه ومن دينه، وكان يقول: إن كان ما يقول ابن أخي حقاً فإني أفتدي نفسي يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي. ونسي قوله تعالى: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم[2]﴾ أما زوجته فهي أروى بنت حرب بن أمية، أخت أبي سفيان، ولم تكن أقل من زوجها إيذاءً للنبي ﷺ، بل كانت له عوناً على كفره وجحوده وعناده. وقد أنزل الله تعالى قوله فيها وفيه بسورة المسد، حيث سماها الله تعالى: ﴿حمالة الحطب﴾ وأما زوجها فأخذه الله عز وجل أخذ عزيز مقتدر، فقد بلاه بأمراض خبيثة منفرة، حتى فر منه الولد والصاحب والأهل، إلى أن مات. لقد نشأت درة[3] بنت أبي لهب وسط هذا الجو المؤلم، ولكن قلبها كان يلهف إلى معرفة الدين الجديد، ورغم كل الضغوط المحيطة بها، إلا أن الإسلام دخل قلبها، فأخرجها من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان واليقين. وحظيت درة بالسعادة والتوفيق حين هاجرت إلى المدينة، ونالت أجر المهاجرات وثوابهن.

---

(١) الاستيعاب (ج٤/ ٢٩٠)، وسير اعلام النبلاء (ج٢/ ٢٧٥)، واسد الغابة (ج٥/ ٤٤٩).

(٢) (الشعر والشعراء: ٨٨و٨٩).

(٣) (الدرة): اللؤلؤة العظيمة، قال ابن دريد: هو ما عظم من اللؤلؤ والجمع در ودرات ودرر، وقال أبو زيد:

كـــأنهـــا درة منعمـــة ... فـي نسـوة كـن قبلهـا دررا

تزوجت درة قبل الإسلام من الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، فولدت له عقبة والوليد وأبا مسلم، وقد قتل زوجها يوم بدر وهو مشرك، وبعد إسلامها تزوجها دحية الكلبي[1] ـ رضي الله عنه ـ وفي المدينة المنورة، أخذت درة ـ رضي الله عنها ـ مكانتها بين نساء الصحابة، ونزلت في دار رافع بن المعلى إلا أنها لم تخلص من نظرات النسوة من بني زريق على أنها ابنة أبي لهب. عدو الله. فقد قلن لها: أنت ابنة أبي لهب الذي أنزل الله عز وجل فيه: ﴿تبت يدا أبي لهب وتب، ما أغنى عنه ماله وما كسب،﴾ فما يغني عنك مهاجرك؟!. فحضرت إلى رسول الله تشتكينهن على مقالتهن وهي حزينة جداً، فسكنها رسول الله ﷺ، وقال: (اجلسي) ثم صلى بالناس الظهر، وجلس على المنبر ساعة ثم قال: (يا أيها الناس، مالي أوذى في أهلي؟ فوالله إن شفاعتي لتنال قرابتي، حتى أن صدا وحكما وسلهبا لتنالها يوم القيامة)[2].

وفي رواية أخرى تشير إلى مكانة درة عند رسول الله ﷺ، أنه قال لها: (أغضب الله من أغضبك)[3].

لقد نالت درة من المكرمات الشيء الكثير، لقربها من الحبيب المصطفى ﷺ فأخذت تتردد على عائشة ـ أم المؤمنين رضي الله عنها ـ وها هي درة تروي لنا ما حدث لها مع عائشة ـ رضي الله عنها ـ عندما دخل رسول الله ﷺ، فقال لنا: (ايتوني بوضوء)، فركضت عائشة وسبقتها فأخذت منها الكوز، وتوضأ عليه الصلاة والسلام، ثم رفع عينيه وقال لي:

---

(١) دحية بن خليفة بن فضالة الكلبي، صحابي جليل، اسلم قديماً وشهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها بعد بدر. وكان جبريل عليه السلام يأتي رسول الله في صورته ـ فقد كان من أجمل الناس. روي عن رسول الله ثلاث احاديث وقد شهد اليرموك ـ.

(٢) انظر: اسد الغابة (ج٥/ ٤٥٠)، والإصابة (ج٤/ ٢٩٠ و٢٩١) حياة الصحابة (ج١/ ٥٥٤ و٥٥٥)، وصدا وحكما وسلهب قبائل يمانية.

(٣) در السحابة (ص/ ٥٤٢).

(أنت مني وأنا منك)[١].

تلك هي درة بنت أبي لهب رضي الله عنها، إحدى القرشيات الشاعرات، والمحدثات المجيدات، . وممن روين الحديث النبوي الشريف، وقد حدثت عن النبي ﷺ وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ ثلاثة أحاديث، ومن رواياتها أنها قالت: (قام رجل إلى رسول الله ﷺ وهو على المنبر، فقال: يا رسول الله أي الناس خير؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (خير الناس أقرؤهم وأتقاهم وآمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم)[٢].

وعنها أيضاً أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (لا يؤذى حي بميت)[٣].

وكما تحدثنا عنها أنها برعت في نظم الشعر فقد كانت شاعرة جيدة، ومن قولها يوم حرب الفجار:

لاقــوا غــداة الــروع ضمــززة ... فيهــا السّنّــور مــن بنــي فهــر[٤]
ملمــومــة خــرســاء تحسبهــا ... لمّــا بــدت مــوجــاً مــن البحــر[٥]
والجــرد كــالعقبــان كــاســرة ... تهــوي أمــام كتــائــب خضــر
منهــا[٦] زعــاف المــوت أبــرده ... يغلــي[٧] بهــم واحــرُّه يجــري
قــوم لــو أنّ الصخــر صــالــدهــم ... صلبــوا ولان عــرامــس الصخــر[٨]

---

(١) در السحابة (ص/٥٤٣) . والحديث رواه أحمد رحمه الله بإسناد رجال ثقات عن درة رضي الله عنها كما قال الشوكاني.
(٢) اخرجه الإمام أحمد (ج٦/ ٤٣٢). الاستيعاب (ج٢/ ٢٩١).
(٣) الاستيعاب (ج٤/ ٤٣٢). الاعلام (ج٢/ ٣٣٨).
(٤) الوحشيات لابي تمام: ٦٦ . الضمزرة السوء. والسنور بفتح السين: لبوس، ما يلبس في الحرب. وبكسر السين: السيد.
(٥) الشطر الثاني في الاعلام والبلاغات: (من رامها موجاً من البحر).
(٦) في اعلام النساء: (فيهم).
(٧) في بلاغات النساء: (يقلي).
(٨) ورد البيت في بلاغات النساء:
قومي لو أن الصخر ظالمهم ... ضبروا وفل عرمس الصخر=

لقد حافظت درة ـ رضي الله عنها ـ على مكانتها بين نساء المسلمين، وامتدت بها الحياة إلى سنة (٢٠هـ)، حيث توفيت في خلافة عمر بن الخطاب ـ رضوان الله عليه ـ فرضي الله عن درة بنت أبي لهب وأرضاها اللهم آمين.

* * *

= (العرمس): بالكسر الصخرة والناقة الصلبة، (عرمس): صلب بدنه بعد استرخاء.

رقية بنت أبي صفيّ

هي رقية بنت أبي صفي بن هاشم بن عبد مناف بن عبد المطلب الهاشمية بنت عم العباس وأخوته من بني عبد المطلب، والدة مخرمة بن نوفل والد المسور، شاعرة من شواعر العرب، تمتاز بالفصاحة والبلاغة.

أسلمت رقية بمكة المكرمة، ولما كانت الهجرة هاجرت إلى النبي ﷺ بالمدينة، وهناك بايعت رسول الله عليه الصلاة والسلام، على الإسلام[1].

وقد روى مخرمة عن أمه رقية أنها سمعت هاتف بعثة رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهو غلام، فقالت: «تتابعت على قريش سُنُونٌ أقحلت الضرع[2]، وأرقتِ العظم[3]، فبينما أنا راقدةٌ مهمومةٌ[4]، إذ أنا بهاتفٍ يصرخ بصوتٍ صحلٍ[5] يقول: «يا معشر قريش، إن هذا النبي مبعوثٌ، قد أظلتكم أيامه، وهذا إبان نُجومه، فحي هل بالحَيَا والخصب[6]، ألا فانظروا منكم رجلاً طوالاً عظاماً، أبيض بضا، أوطف الأهداب سهل الخدين[7]، له

---

(١) الطبقات لابن سعد (ج٨/ ٢٣٢)، والإصابة لابن حجر (ج١٢/ ٢٥٥و٢٥٦)، أسد الغابة لابن الاثير (ج٥/ ٤٥٤).

(٢) أي: أيبسته.

(٣) أي: جعلته ضعيفاً من الجهد.

(٤) مهمومة: من أهم السقيم جسده أذهب لحمه.

(٥) الصحل: الخشن أو الممتد في بحح.

(٦) إبان نجومه: حين ظهوره، حيّ هل: كلمة تعجيل، أي: عليك به، والحيا: المطر والخصب. أسد الغابة لابن الاثير (ج٥/ ٤٥٤و٤٥٥)، الإصابة لابن حجر (ج١٢/ ٢٥٩) وذكر أن إسناده حسن.

(٧) طوالاً عظاماً: أي طويلاً عظيماً، والبض: الممتلىء الجسم، والأهداب: شعر أشفار العيون، مفرده هدب، والأوطف من الوطف: وهو كثر شعر الحاجبين =

سنة تدعو إليه، وفضل يدل عليه، ألا فليدلف إليه من كل بطن رجل[1]، ألا ثم ليسنوا من الماء وليلتمسوا الركن وليرتقوا أبا قبيس[2]، ألا ثم ليدع الرجل وليؤمن القوم[3]، ألا فافعلوا إذاً ما شئتم. قالت: فأصبحتُ علم الله مفراةً مذعورةً قد اقشعرَّ جلدي ووله عقلي[4]، فقصصت رؤيايَ، ونمتُ في شعاب مكة، ثم ذكرت استسقاء عبد المطلب، ومعه (رسول الله ﷺ) غلام قد أيفع، فرفع يديه فقال: اللهم سادَّ الخلّة[5]، وكاشفَ الكربة، أنت مُعلِّم غير معلَّم، ومسؤول غير مبخّل[6]، وهذه عبادك وإماؤك بعذرات حَرَمك[7]، يشكون إليك سنتهم التي أذهب الخف والظلف[8]، اللهم فأمطر علينا غيثاً مغدقاً مرتعاً[9]. قالت: فوربِّ الكعبة ما رَامُوا حتى تفجّرت السماء بمائها واكتظّ الوادي بثجيجه[10]!.. ثم أنشأت رقية في ذلك شعراً فقالت وقد سمعها أشياخ قريش وجلتها[11]:

بشيبـةِ الحمـدِ أسقـى اللهُ بلـدتَنَـا ... وقد فقدنا الحَيَا واجلوْذَ المطرُ[12]

فجـادَ بـالمـاء جـونـيٌّ لـه سيـل ... سبحاً فعاشَتْ به الأنعامُ والشجر[13]

= والعينين، وسهل الخدين: قليل لحمهما.

(١) السنة: الصورة والسيرة. يدلف: يمشي، والبطن: من بطون العرب دون القبيلة.

(٢) يسنوا: أي يسقوا، والركن: لعله اليماني بالكعبة، وأبو قبيس: جبل بجوار مكة.

(٣) ثم بفتح الثاء: بمعنى هناك، وليؤمن بتشديد الميم: أي فليؤمنوا على دعائه.

(٤) مفراة: متحيرة مدهوشة من فرى «بكسر الراء»، اقشعّر: انكمش وتجمد «بتشديد العين»، ووله: أي ذهب.

(٥) الخلة: الحاجة.

(٦) أي غير بخيل.

(٧) بعذرات حرمك: أي بفنائه.

(٨) أي: الإبل والغنم.

(٩) المغدق: الكثير القطر، مرتعاً: أي مخطباً.

(١٠) راموا: برحوا، اكتظ الوادي: أي ضاق بالماء لكثرته، وثجيجة: سيله.

(١١) أشياخ: (وتجمع أيضاً شيخان): وهي جمع شيخ، وجلتها: عظماؤها وسادتها.

(١٢) شيبة الحمد: لقب عبد المطلب، وأجلوذ: أي تأخر. الأبيات: في أسد الغابة (ج٥/ ٤٥٥).

(١٣) الجوني: السحاب الأسود الممتلىء مطراً، وسبحاً: أي منصباً. وقد ورد البيت =

مَنّاً مِنَ الله بالميمون طائره وخيرُ من بشّرتْ يوماً بهِ مُضرُ[1]
مباركُ الأمر يُستسقَى الغَمامُ به ما في الأنامِ له عَدْلٌ ولا خَطرُ[2]

ولما بعث النبي ﷺ، آمنت به وكانت شديدة الحرص على إسلامها، وقد كانت من أشد الناس على ابنها مخرمة في طلبها بدخوله الإسلام، إلى أن أراد الله تعالى له الهدى، فأسلم، وكان فرحها بذلك عظيماً.

انتشر الإسلام في أرجاء مكة وخارجها، وهذا ما أخاف مشركي قريش، فاجتمعوا في دار الندوة[3] يتشاورون فيما بينهم بأمر رسول الله ﷺ، وكانت النتيجة أن يأخذوا من كل قبيلة فتىً شاباً قوياً يحمل سيفاً قاطعاً فيضربونه ضربة رجل واحدٍ فيقتلونه، وبذلك لا يقدر بنو عبد مناف على محاربة تلك القبائل جميعاً، ووضعوا لهذه الخطة يوماً لتنفيذها، لكن الله عز وجل تكفل بحماية نبيه الكريم فأرسل جبريل عليه السلام ليخبره بالأمر ويأمره أن لا ينام في مضجعه تلك الليلة[4].

أما رقية ـ رضي الله عنها ـ فقد علمت بالخبر، وكيف لها أن تسكت على مثل تلك المكيدة وهي التي ملء قلبها حب الله ورسوله الكريم، فبادرت مسرعة إلى رسول الله ﷺ قائلة له: «إن قريشاً قد أجمعت تريد بياتك الليلة[5]. وتحذيرها هذا دليل واضح وصريح على مدى محبتها

= في أعلام النساء لكحالة وبلاغات النساء على النحو التالي:
فجاء بالماء جون له سيل فانتعشت به الأنعام والشجر

(1) مَنّ: بفتح الميم وتشديد النون مصدر من عليه أنعم، والميمون طائره: أي السعيد حظه، ومضر: قبيلة من العرب.
(2) الغمام: سحاب المطر، الأنام: الخلق، ولا خطر: ولا مثل له في علوه. وقد وردت بالبلاغات أعلام النساء لكحالة بدل كلمة عدل «شبه».
(3) هي دار كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها.
(4) الطبقات لابن سعد (ج١/ ٢٢٧). السيرة النبوية لابن هشام (ج١/ ٢٨٢).
(5) الطبقات لابن سعد (ج٨/ ٢٢٣)، بياتك الليلة: أي تريد قتلك.

وخوفها على رسول الله عليه للصلاة والسلام وحرصها عليه وعلى إيمانها الصادق ووفائها له.

وفعلاً بات حبيب الله في غير فراشه وبات علي بن أبي طالب في فراش النبي ﷺ، وحمى الله نبيه الكريم من براثن المشركين وباءت خططهم بالفشل، ففرحت رقية[1] بذلك وسائر المسلمين بنجاة رسول الله ﷺ.

رضي الله عن رقية وعن المسلمين أجمعين.

* * *

(١) لقد ورد ذكر اسمها في أعلام النساء لكحالة كذلك «رقيقة بنت صيفي بن هاشم بن عبد مناف».

سعدى بنت كريز

هي سعدى بنت كريز بن ربيعة بن عبد شمس العبشمية، خالة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية وكاهنة من كهانهم، فصيحة اللسان حادة الذكاء والفطنة وقد حدثنا عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ عن الحديث الذي دار بينه وبين خالته سعدى قبل إسلامهما، فكانت نتيجة الحديث سبباً بإسلام عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ حيث أنه قال: كنت بفناء الكعبة إذ أوتينا فقيل لنا: إن محمداً قد أنكح عتبة بن أبي لهب (رقية) ابنته وكانت بارعة الجمال. فلما سمعت ذلك دخلتني حسرة وتمنيت أنني سبقته إليها فلم ألبث أن انصرفت إلى منزلي فأصبت خالتي سعدى بنت كريز قاعدة مع أهلي وكانت قد تكهنت لقومها فلما رأتني قالت:

أبشر وحييت ثلاثاً وتراً ... ثم ثلاثاً وثلاثاً أُخرى
ثم بأخرى كي تتم عشراً ... لقيت خيراً ووقيت شراً
نكحت والله حصاناً زاهراً ... وأنت بكر ولقيت بكرا

فعجبت من قولها وقلت: يا خالة ما تقولين؟ فقالت:

عثمان يا عثمان يا عثمان ... لك الجمال وإليك الشان
هذا نبي معه البرهان ... أرسله بحقه الديان
وجاءه التنزيل والفرقان ... فاتبعه لا يغبأ بك الأوثان

ثم قالت بعد ذلك:

إن محمد بن عبد الله رسول الله جاء إليه جبريل يدعوه إلى الله مصباحه وقوله صلاح، ودينه فلاح، وأمره نجاح، لقرنه نطاح ذلت له البطاح،

ما ينفع الصياح، لو وقع الرماح، وسلت الصفاح، ومدت الرماح، ثم انصرفت. فوقع كلامها في قلبي وبقيت مفكراً فيه وكان لي مجلس من أبي بكر الصديق، فأتيته بعد يوم الإثنين فأصبته في مجلسه، ولا أحد عنده فجلست إليه. متفكراً، فسألني عن أمري، وكان رجلاً رقيقاً فأخبرته بما سمعت من خالتي فقال لي: ويحك يا عثمان والله إنك لرجل حازم، وما يخفى عليك الحق من الباطل، هذه الأوثان التي يعبدها قومك، أليست حجارة صماء لا تسمع، ولا تبصر، ولا تضر ولا تنفع؟. قلت: بلى والله إنها كذلك. قال: والله صدقتك خالتك، هذا محمد بن عبدالله قد بعثه الله برسالته إلى جميع خلقه، فهل لك أن تأتيه وتسمع منه؟ فقلت: نعم، فوالله ما كان بأسرع من أن مرَّ بنا رسول الله ﷺ، ومعه عليُّ بن أبي طالب يحمل ثوباً لرسول الله ﷺ فلما رآه أبو بكر الصديق، قام إليه فسارَّه في أذنه، فجاء رسول الله ﷺ فقعد. ثم أقبل عَليَّ فقال: يا عثمان أجب الله إلى جنته فإني رسول الله إليك وإلى جميع خلقه، فوالله ما تمالكت حين سمعت قوله أن أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ثم لم ألبث أن تزوجت رقية.

تقول خالته سعدى حين علمت بإسلام عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ:

هدى الله عثمان الصفيَّ بقوله	فأرشده والله يهدي إلى الحق
فبايع بالرأي السديد محمداً	وكان ابن أروى لا يصد عن الحق
وأنكحه المبعوث إحدى بناته	فكان كبدر مازج الشمس في الأفق
فدارك يا ابن الهاشمين مهجتي	فأنت أمين الله أُرسلت في الخلق

* * *

سفانة بنت حاتم الطائي

من النساء اللواتي امتلكن جمال الخلقةِ والأخلاق، وتمتعن بالفصاحة والبيان، تلكم سفانة[١]، الفصيحة البليغة، صافية الروح، جوادة كريمة، بارعة الحسن والجمال.

أبوها ـ حاتم الطائي ـ الذي عرف بجوده وسخائه، وكذلك أمه عتبة بنت عفيف بن عمرو بن امرىء القيس بن عدي بن أخزم، التي كانت من الجود والكرم بمنزلة حاتم ولدها، فلا تدخر شيئاً ولا يسألها أحد شيئاً فتمنعه. أخوها عدي بن حاتم.

وعن العباس بن هشام عن أبيه، قال: كانت عتبة بنت عفيف، وهي أم حاتم ذات يسار، وكانت من أسخى الناس، وأقراهم للضيف، وكانت لا تستبق شيئاً تملكه. فلما رأى إخوتها إتلافها حجروا عليها، ومنعوها مالها، فمكثت دهراً لا يدفع إليها شيء منه، حتى إذا ظنوا أنها قد وجدت ألم ذلك أعطوها صرمة من إبلها، فجاءتها امرأة من هوازن، كانت تأتيها في كل سنة تسألها، فقالت لها: دونك هذه الصرمة[٢] فخذيها، فوالله لقد عضني من الجوع مالا أمنع معه سائلاً أبداً، ثم أنشأت تقول:

لعَمْري لقِدْماً عضَّني الجوع عضَّةً فـآليـت ألا أمنـع الـدَّهـرَ جـائعـا

فقولا لهذا اللائمي اليومَ: أعفني فإن أنْتَ لم تَفعل فعض الأصابعا

فماذا عساكم أن تقولوا لأختكم سوى عَذْلِكم أو عذل من كان مانعا

---

(١) راجع الأغاني (ج١٧/ ١٦٠). (وقد ذكر كحالة اسمها في أعلام النساء «حازمة» ويذكر ابن هشام أن السهيلي رجح «سفانة».

(٢) صرمة: أي قطعة وهي ما بين العشر إلى الأربعين.

ومــاذا تــرون اليــوم إلا طبيعــةً   فكيـف بتـركـي يـابـن أم الطبـائعـا

ما هذا الكرم والزهد: إنه حقاً لشيء رائع أن يكون بين العرب مثل أولئك الناس أمثال حاتم وأمه وابنته سفانة التي هي من أجود نساء العرب، لقد كانتْ كلما أعطاها أبوها صرمة من إبله تعطيها للناس المحتاجين وهكذا إلى أن قال لها أبوها: يا بنية إن الكريمين إذا اجتمعا في المال أتلفاه فإما أن أعطي وتمسكي وإما أن أمسك وتعطي فإنه لا يبقى على هذا شيء، فقالت: والله لا أمسك أبداً. وقال أبوها: وأنا والله لا أمسك أبداً. قالت: فلا نتجاوز، فقاسمها ماله وتباينا.

وها هو (أبو الفرج الأصفهاني) في كتابه الأغاني، يذكر عن علي رضي الله عنه (وهو يروي لنا خبراً عن سفانة بنت حاتم الطائي)، فيقول: يا سبحان الله! ما أزهد كثيراً من الناس في الخير! عجبت لرجل يجيئه أخوه في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً، فلو كنا لا نرجو جنةً ولا نخاف ناراً، ولا ننتظر ثواباً، ولا نخشى عقاباً، لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق فإنها تدل على سبيل النجاة.

فقام رجل، فقال: فداك أبي وأمي يا أمير المؤمنين، أسمعته من رسول الله ﷺ قال: نعم، وما هو خير منه، لما أتينا بسبايا طيىء كانت في النساء جارية حماء[١]، حوراء العينين لعساء[٢] لمياء عيطاء[٣] شمَّاء الأنف، معتدلة القامة، درماء[٤] الكعبين، خدلجة[٥] الساقين، لفاء الفخذين، خميصة[٦]

---

(١) حماء: بيضاء.
(٢) لعساء ولمياء: مبعنى سواد في الشفتين.
(٣) عيطاء: طويلة العنق.
(٤) درماء: لا تستبين كعوبها.
(٥) خدلجة: ممتلئة.
(٦) خميصة الخصر: ضامرته.

الخصر، ضامرة الكشحين[١]، مصقولة المتنين.

فلما رأيتها أعجبت بها، فقلت لأطلبنها إلى رسول الله ﷺ ليجعلها من فيئي[٢]، فلما تكلمت أُنسيتُ جمالها، لما سمعت من فصاحتها فقالت: يا محمد[٣]: هلك الوالد، وغاب الوافد، فإن رأيت أن تخلّي عني، فلا تشمت بي أحياء العرب، فإني بنت سيد قومي، كان أبي يفك العاني[٤]، ويحمي الذمار ويقري الضيف، ويشبع الجائع، ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولم يرد طالب حاجة قط، (أنا بنت حاتم طيىء).

فقال لها رسول الله ﷺ: يا جارية، هذه صفة المؤمن، ولو كان أبوك إسلامياً لترحمنا عليه، خلّوا عنها، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، والله يحب مكارم الأخلاق.

وقد ذكر ابن هشام في السيرة النبوية القصة على النحو التالي[٥]:

أُصيبت ابنة حاتم فيمن أصابته خيل رسول الله ﷺ، فقدم بها على رسول الله ﷺ في سبايا من طيىء، فجعلت في حظيرة[٦] بباب المسجد، تحبس السبايا فيها، فمر بها رسول الله ﷺ، فقامت إليه، وكانت امرأة جزلة، فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد[٧]، فامنن عليَّ مَنَّ الله عليك، قال: ومن وافدك، قالت: عديّ بن حاتم. قال: الفار من الله

---

(١) الكشيح: ما بين السرة ووسط الظهر.
(٢) الفيء: الغنيمة.
(٣) وردت في سيرة ابن هشام «يا رسول الله».
(٤) العاني: الأسير.
(٥) السيرة النبوية: لابن هشام (ج٢/ ٥٧٩).
(٦) الحظيرة: شبيهة بالزرب الذي يصنع للابل والغنم ليكيفها.
(٧) الوافد: الزائر.

ورسوله[1]. . قالت: ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني، حتى إذا كان من الغد مرّ بي، فقلت له مثل ذلك، وقال لي: مثل ما قال بالأمس. قالت: حتى إذا كان بعد الغد مر بي وقد يئست منه، فأشار إليَّ رجل من خلفه أن قومي فكلميه، قالت: فقمت إليه، فقلت: يا رسول الله هلك الوالد، وغاب الوافد فامنن عليَّ مَنّ الله عليك، فقال ﷺ، قد فعلت[2]، فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة، حتى يبلغك إلى بلادك، ثم آذنيني، فسألت عن الرجل الذي أشار إليّ أن أكلمه، فقيل: علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأقمت حتى قدم ركبٌ من بَلِيّ أو قضاعة، قالت: وإنما أريد أن آتي أخي بالشام، قالت: فجئت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، قد قدم رهط من قومي، لي فيهم ثقة وبلاغ، قالت: فكساني رسول الله ﷺ، وحملني وأعطاني نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت الشام عند أخي ابن حاتم، وعندما رأيته قلت له: القاطع الظالم، احتملت بأهلك وولدك، وتركت بقية ولدك عورتك، قال عدي: أي أخية، لا تقولي إلا خيراً، فوالله مالي من عذر لقد صنعت ما ذكرت. ثم سألها وكانت امرأة حازمة، ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟ «أي رسول الله ﷺ» قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإن يك الرجل نبياً فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن تذل في عز اليمن، وأنت أنت. قال: والله إن هذا الرأي.

أسلم عدي بن حاتم كما ورد في السيرة النبوية لابن هشام أما إسلام أخته سفانة فقد ورد في أعلام النساء لكحالة أنها أسلمت وحسن إسلامها.

---

(١) لقد ورد في السيرة النبوية لابن هشام (ج٢/٥٧٨) أن عدي بن حاتم كان نصرانياً وشديد الكراهية لرسول الله ﷺ، وعندما سمع بقدوم النبي ﷺ هرب إلى الشام فراراً منه.

(٢) أي: أمرت بتخليتك.

الشيماء بنت الحارث

هي الشيماء بنت الحارث السعدية» أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة، وقد ورد أن اسمها حذافة بنت الحارث وأن اسم الشيماء لقب غلب عليها فكانت لا تعرف في قومها إلا به، أما في سيرة ابن هشام[1] فقد ذكر أنها الشماء، أمها حليمة السعدية مرضعة رسول الله ﷺ، لقد كانت الشيماء تحتضن رسول الله ﷺ مع أمها حليمة إذا كان عندهم، وترقصه وتلاعبه فتقول[2]:

يــاربنــا أبــقِ أخــي محمــدا حتــى أراه يــافعــاً وأمــردا

ثــم أراه سيــداً مســودا وأكبـت أعـاديـه معـاً والحسـدا

وأعطه عزاً يدوم أبدا

وعندما كانت تخرجه بالنهار كانت أمه حليمة تخشى عليه حر الشمس وتنبه ابنتها أن أدخليه، فما يكون جواب الشيماء إلا أن: لا تخافي يا أمي إن لأخي محمد غيمة تظله أينما ذهب، تقيه حر الشمس.

ولما وقعت الشيماء أسيرة بيد المسلمين في إحدى المعارك التي كانت بين المسلمين والمشركين سنة ٨ هـ. قالت لهم: تعلمون من أنا؟ فقالوا لها: لا، فقالت: والله إني لأخت صاحبكم من الرضاعة، فلم يصدقوها حتى أتوا بها رسول الله ﷺ، فقالت يا رسول الله إني أختك. قال: وما علامة ذلك؟ قالت: عضة عضضتنيها في ظهري وأنا متوركتك. فعرف رسول الله ﷺ العلامة، فبسط لها رداءه ثم قال: ههنا فأجلسها عليه وخيرها

(١) سيرة ابن هشام: (ج١/ ١٦١) في الهامش.
(٢) شرح الزرقاني: وفي الاصابة: يا ربنا ابق لنا محمداً.

وقال: إن أحببت فعندي محببة مكرمة، وإن أحببت أمتعك وترجعي إلى قومك. قالت: بل تمتعني وتردني إلى قومي. فمتعها رسول الله ﷺ وردها إلى قومها. وقد أسلمت مع أمها حليمة السعدية التي توجهت إلى ابنها محمد ﷺ وقالت له: لقد كنت بركة علينا في طفولتك وكنت بركة علينا في رجولتك.

* * *

صفية بنت عبد المطلب

هي صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، القرشية الهاشمية أخت حمزة بن عبد المطلب لأبيه وأمه فهي عمة رسول الله ﷺ، أمها هالة بنت وهيب بن مناف بن زهرة.

سيدة قرشية جليلة، وشاعرة من شواعر العرب اللواتي امتزن بالرثاء، تزوجها في الجاهلية الحارث بن حرب بن أمية، أخو أبي سفيان، فمات عنها، ثم خلف عليها العوام بن خويلد بن أسد فأنجبت منه الزبير والسائب عبد الكعبة، أسلمت صفية قديماً، لما نزل قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[1] حيث قام رسول الله ﷺ، فقال: «يا فاطمة بنت محمد!! ويا صفية بنت عبد المطلب!! يا بني عبد المطلب!! لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم»[2].

لقد حض رسول الله ﷺ عمته بالذكر مع أحب الناس إليه ابنته فاطمة الزهراء وهذا ما جعلها تفدي نفسها وولدها الزبير بن العوام في سبيل الله ومرضاته. وقد دعمت محبتها لله ورسوله الكريم ﷺ عندما بايعت رسول الله ﷺ على الإسلام فكانت مثال الزوجة الكريمة المطيعة الممتثلة لأوامر الله عز وجل ورسوله الكريم المخلصة بعبادتها قولاً وعملاً.

لم تسلم صفية وابنها من أذى قريش بل نالا أشد العذاب من أجل ترك دينهما (الإسلام) لكنهما لم يزدادا إلا قوة وثباتاً وتمسكاً بدينهما وبطاعة

---

(١) سورة الشعراء / ٢١٤/ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ رواه الإمام أحمد (ج٦/ ١٨٧).

رسولهما ﷺ ولا يدل هذا إلا على صدق إيمانهما وقوة عزيمتهما ـ رضي الله عنهما ـ وظلا على هذه الحال إلى أن أذن الله تعالى للمسلمين بالهجرة إلى المدينة فهاجرا إليها، وهناك شهدت صفية غزوة أحد[١] فشاركت فيها في إعداد الطعام والماء وتضميد الجرحى وغير ذلك للمقاتلين. ولكنها عندما رأت انهزام المسلمين، قامت وبيدها رمح تضرب في وجوه الناس وتقول: انهزمتم عن رسول الله، فلما رآها رسول الله ﷺ خاف عليها أن ترى أخاها حمزة الذي قتل ببطن الوادي وقد بقر بطنه عن كبده، ومُثّل به، فجدع أنفه وأذناه، فقال لابنها الزبير بن العوام: القها فأرجعها لا ترى ما بشقيقها الحمزة بن عبد المطلب. فلقيها الزبير فقال لها: يا أمّه إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي قالت: ولمَ؟ وقد بلغني أن قد مثّل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك! لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله. فلما جاء الزبير إلى رسول الله ﷺ وأخبره بذلك، قال: خلِّ سبيلها، فأتته فنظرت إليه، وصلت عليه، واسترجعت[٢]، واستغفرت له، ثم أمر رسول الله ﷺ فدفن. كان هذا موقف هذه السيدة الجليلة وتلك كانت عزيمتها رضي الله عنها وأرضاها على تلك الشجاعة، وذاك الإيمان الصادق وكما كان لها هذا الموقف العظيم في غزوة أحد، كان لها الموقف الأعظم والأجل منه في غزوة الخندق[٣] فقد قالت صفية: «أنا أول امرأةٍ قتلت رجلاً»[٤] نعم إن العرب لتفخر بك يا صفية وبمواقفك الرائعة تلك وعنها يحدثنا ابن إسحاق قائلاً: حدثني يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير، عن أبيه

عباد قال: كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع[٥]، حصن حسان بن

---

(١) الطبقات: لابن سعد (ج٨/ ٤١)، والإصابة: لابن حجر (ج٣١/٢٨ـ١٩) وسير أعلام النبلاء للذهبي (ج٢/ ٢٦٩ـ٢٧٠) وأسد الغابة: لابن الأثير (ج٥/ ٤٩٢) وأحد: جبل بينه وبين المدينة قرابة ميل في شمالها.

(٢) قالت: انا لله وانا إليه راجعون.

(٣) الخندق: يراد به الخندق المحفور حول المدينة.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي (ج٢/ ٢٧٠).

(٥) حصن بالمدينة.

ثابت[1]، قالت: وكان حسان بن ثابت معنا فيه، مع الصبيان والنساء وهو يناهز الستين من عمره، وذلك عدما خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق، فجعل نساءه في أطم[2] قالت صفية: فمر بنا رجلٌ من اليهود، فجعل يطيف بالحصن، وقد حاربت بنو قريظة، وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ، وليس بيننا وبينهم أحد يدافع عنا، ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحور عدوهم، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آتٍ، قالت: فقلت: يا حسان، إن هذا اليهودي كما ترى يُطيفُ بالحصن، وإني والله ما آمنة أن يدل على عورتنا مَنْ وراءنا من يهود، وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه، فانزل إليه فاقتله، قال: يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا: قالت: فلما قال لي ذلك، ولم أر عنده شيئاً، احتجزت[3] وأخذت عموداً، ثم نزلت من الحصن إليه، فضربته بالعمود حتى قتلته. قالت: فلما فرغت منه، رجعت إلى الحصن، فقلت: يا حسان، انزل إليه فاسلبه، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل، قال: ما لي بسلبه من حاجة يا ابنة عبد المطلب[4].

(وفي رواية أخرى): قال ابن الزبير: وجاء يهودي يرتقي إلى الحصن، فقالت صفية لحسان: قم فاقتله، فقال: لو كان ذلك في كنت مع رسول الله ﷺ؟!. قالت صفية: فقمت إليه فضربته حتى قطعت رأسه، وقلت لحسان: قم فاطرح رأسه على اليهود، وهم في أسفل الحصن. فقال: والله ما ذاك لي، قالت: فأخذت رأسه فرميت به عليهم، فقالوا: قد علمنا أن هذا لم

---

(١) شاعر رسول الله ﷺ نشأ في الجاهلية وعلا شأنه فيها، عاش طويلاً في الاسلام، ومات في خلافة معاوية سنة (٥٢هـ).

(٢) الأطم: أي في مكان مرتفع.

(٣) احتجزت: شدت وسطي. قال أبو ذر: «ومن رواه: اعتجرت، معناه شددت معجزي».

(٤) الاصابة: لابن حجر (ج١٣/١٩)، وأسد الغابة: لابن الأثير: (ج٥/٤٩٣)، والسيرة النبوية: لابن هشام (ج٣/٢٢٨)، وتاريخ الطبري: (ج٢/٥٧٧).

يكن ليترك أهله خُلواً ليس معهم أحد، فتفرقوا[1].

لقد اشتهرت صفية بالشجاعة وقد امتازت بذلك عن نساء قومها، ويشهد على ذلك المعارك التي شاركت فيها مع النبي ﷺ وفتوحاته ومنها فتح خيبر.

وما اتصفت به صفية أنها شاعرة تجيد الشعر في الرثاء وغيره. وأول من رثت أباها عبد المطلب وذلك عندما حضرته الوفاة وعرف أنه ميت جمع بناته، وكن ست نسوة: صفية.. وبرة.. وعاتكة.. وأم حكيم البيضاء.. وأميمة.. وأروى.. فقال لهن: ابكين عليّ حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت.

فقالت صفية ابنة عبد المطلب تبكيه:

أرقتُ لصوتِ نائحةٍ بليلٍ ... على رَجُلٍ بقارعةِ الصعيدِ[2]

ففاضتْ ذلكمُ دموعي ... على خدّي كمنحدرِ الفريدِ[3]

على رَجُلٍ كريمٍ غيرِ وغلٍ ... لهُ الفضلُ المبينُ على العبيدِ[4]

على الفياضِ شيبةَ ذي المعالي ... أبيكِ الخيرِ وارثِ كلِّ جُودِ[5]

صدوقٌ في المواطنِ غيرُ نكسٍ ... ولا شختَ المقامِ ولا سنيدِ[6]

طويلُ الباعِ أروعُ شيظميٌّ ... مطاعٍ في عشيرتِه حميدِ[7]

رفيعُ البيتِ أبلجَ ذي فضولٍ ... وغيثُ الناسِ في الزمنِ الجرودِ[8]

---

(١) الاصابة: لابن حجر (ج١٣/١٩). إن هذا يفسر أن حسان كان معتلاً في ذلك اليوم بعلة منعته من شهود القتال ولم يكن عدم خروجه جبناً.

(٢) سيرة ابن هشام: (ج١/١٦٩).

(٣) الفريد: الدر.

(٤) الوغل: الضعيف النذل المقصر في الأشياء.

(٥) أرادت «الخير» بالتشديد فخففت، ويجوز أن يكون «الخير» هاهنا ضد الشر، جعلته كله خيراً على المبالغة.

(٦) النكس: الضعيف الذي لا خير فيه. والشخت: الدقيق الضامر من الأصل، لاهزال. والسنيد: الضعيف الذي يسند رأيه إلى غيره فلا يستقل بنفسه.

(٧) الشيظمي: الفتى الجسيم.

(٨) الجرود: الجدب.

ريمُ المجدِ ليسَ بذي وُصُومٍ ... يروقُ على المُسَوَّدِ والمَسُودِ[1]
عظيمُ الحلمِ من نفرٍ كرامٍ ... خَضَارمةٍ ملاوثةٍ أسُودِ[2]
فلو خَلَدَ امرؤٌ لقديمِ مجدٍ ... ولكن لا سبيلَ إلى الخلُودِ
ولكانَ مُخلداً أُخرى الليالي ... لفضلِ المَجْدِ والحَسَبِ التليدِ

وقالت أيضاً في رثائها لأبيها قبل وفاته:

ألا مَنْ مُبلغٌ عني قريشاً ... ففيمَ الأمرُ فينا والأَمَارُ[3]
لَنَا السَّلفُ المقدمُ قَدْ علمتُمْ ... ولم تُوقد لنا بالغدر نار
وكُلُّ مناقِبِ الخيراتِ فينا ... وبعضُ الأمرِ منقصةٌ وعَارُ

وقالت تبكي أخاها حمزة بن عبد المطلب:

أسائلةٌ أصحابَ أُحدٍ مخافةً ... بناتُ أبي مِنْ أعجمٍ وخبيرِ[4]
فقال الخبيرُ إنَّ حمزةَ قد ثوى ... وزيرُ رَسُولِ الله خيرُ وزيرِ
دعاهُ إلهُ الحقِ ذُو العرشِ دعوةً ... إلى جنةٍ يحيا بها وسُرورِ
فذلك كنا نُرجي ونرتجي ... لحمزةَ يومَ الحشرِ خيرُ مصيرِ
فواللهِ لا أنساكَ ما هبت الصَّبا ... بُكاءً وحزناً مَحضري ومَسيري[5]
على أسدِ اللهِ الذي كان مِدْرهاً ... يذودُ عن الإسلام كُلَّ كَفورِ[6]
فيا ليتَ شِلوي عندَ ذاك وأعظمي ... لدى أَضْبُعٍ تعتادُني ونُسُورِ[7]

---

(١) الوصوم: جمع وصم، وهو العار.
(٢) الخضارمة: جمع خضرم (كزبرج). وهو الجواد المعطاء والسيد الحمول. والملاوثة: جمع ملواث من الوثة، وهي القوة، ومنه قول قريط بن أنيف:
عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا.
(٣) الأبيات في «الحماسة» (ج٤/١٤٧) بشرح التبريزي، والإمارة المشاورة.
(٤) سيرة ابن هشام (ج٢/١٦٧)، الأعجم: الذي لا يفصح.
(٥) الصبا: ريح شرقية، ومسيري، أي غيابي.
(٦) المدره: الذي يدفع عن القوم، ويذود: يمنع.
(٧) الشلو: العضو، وتعتادني: تتعاهدني.

أقولُ وقد أعلى النَّعيُّ عفيرتي جزى الله خيراً مِنْ أخٍ ونصيرِ[1]

أما في رثائها لرسول الله ﷺ فقد قالت:

ألا يا رَسُولَ الله كنت رجاءنا وكُنتَ بنا بَراً ولم تكُ جافيا
وكنتَ رحيماً هادياً ومعلما ليبكِ عليكَ اليومَ من كان باكيا
فِدىً لرسولِ الله أُمي وخالتي وعمي وخالي ثُم نفسي ومالي
فلو أنَّ رَبَّ الناسِ أبقى نبيّنا سَعِدنا ولكنْ كان أمرهُ ماضيا
عليكَ من الله السلام تحِيةٌ وأدخلتَ جنَّاتٍ من العدنِ راضيا

وأيضاً قالت في رثائه ﷺ[2]:

عين جودي بدمعة وسهود واندبي خير هالك ومفقود
والأبي المصطفى بحزن شديد خالط القلب فهو كالمعمود
كيف أقضي الحياة لما أتاه قدر خط في كتاب مجيد
فلقد كان بالعباد رؤوفا ولهم رحمة وخير رشيد
رضي الله عنه حياً، وميتا وجزاه الجنان يوم الخلود

ولما قبض النبي ﷺ قالت:

قد كان بعدك أنباءٌ وهنبسةٌ لو كنتَ شاهدَها لم تكثرِ الخطب

وقالت:

لفقد رسول الله إذ حان يومه فيا عين جودي بالدموع السواجم

وقالت أيضاً:

إن يوماً أتى عليك ليوم كورت شمسه وكان مضيئاً

ويروون عن أميمة بنت عملية بن السياق بن عبد الدار امرأة العوام بن

---

(١) النعي الذي يأتي بخبر الميت إذا كان بالرفع، والنوح والبكاء إذا كان منصوباً.
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (ج٢/ ٢٧١).

خويلد حين حفرت بنو عبد الدار أم أحراد[1]:

نحن حفرنا البئر أم أحراد ليست كبدر البدور الجماد

فأجابتها ضرتها صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام رضي الله عنهما:

نحن حفرنا بدر تسقي الحجيج الأكبر
من مقبل ومدبر وأم أحراد بثر[2]

وقالت:

نحن حفرنا للحجيج زمزم سقيا نبي الله في المحرم

ركضه جبريل ولما يُفطم

هي تلك صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ المرأة المسلمة الشجاعة التي أبلت في الإسلام بلاءً حسناً بحيث خلدت بعد وفاتها الذكرى الطيبة والقدوة الحسنة لكل مسلمة حيث كانت الأم الحنون، والزوجة المخلصة والبطلة المحاربة المؤمنة الصادقة، المحبة لله ورسوله الكريم ﷺ، والشاعرة الفصيحة والراوية لحديث رسول الله ﷺ وقد روى عنها.

ظلت صفية محافظة على تلك الشخصية القوية، التي عاشت كثيراً، إلى أن توفيت سنة عشرين من الهجرة ولها من العمر ثلاث وسبعين سنة[3] وفي خلافة عمر بن الخطاب[4] الذي فرض لها في حياتها ستة آلاف درهم، وقد صلى عليها عمر بن الخطاب ودفنت بالبقيع» وفي رواية أخرى أنها توفيت في إمارة عثمان بن عفان[5].

---

(١) سيرة ابن هشام (ج١/ ١٤٩).
(٢) بثر: أي قليل نزر.
(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (ج٢/ ٢٧١).
(٤) طبقات ابن سعد والاستيعاب وذيل تاريخ الطبري والمستدرك للحاكم وأسد الغابة، والمعارف لابن قتيبة.
(٥) التاريخ الصغير للبخاري.

ضباعة بنت عامر

هي ضباعة بنت عامر بن قُرط بن سلمة الخير بن القشير. شاعرة من شواعر العرب، وصحابية جليلة، وقد تميزت عن نساء عصرها بجمالها البارع، فكانت من أجمل نساء العرب وأعظمهن خُلقاً فقد وهبها الله عز وجل شَعْراً طويلاً كثيفاً، لدرجة أنه كان يغطي جسدها ومرة نزعت ثيابها ونشرت شعرها فغطى بطنها وظهرها حتى صار في خلخالها فما استبان من جسدها شيء وأقبلت تطوف في الجاهلية وهي تقول:

اليــوم يبــدو بعضــه أو كلــه ومــا بــدا منــه فــلا أحلــه

تزوجت ضباعة من عبدالله بن جدعان، وطلقت منه، فتزوجها هشام بن المغيرة ولما مات أسلمت مع النسوة اللاتي أسلمن مع الرسول ﷺ في أوائل ظهور الدعوة بمكة المكرمة، وقد حسن إسلامها. وهاجرت مع من هاجر إلى المدينة. وتحدثنا ضباعة قائلة:

لقد جئت زائرة إلى بني عمي فقلت لهم: يا آل عامر ولا عامر لي، أيصنع هذا برسول الله ﷺ بين أظهركم لا يمنعه أحد منكم. فقام ثلاثة من بني عمها فأخذ كل منهم رجلاً فجلد به الأرض ثم جلس على صدره ثم علوا وجهه لطماً. فقال رسول الله ﷺ اللهم بارك على هؤلاء فأسلموا وقتلوا شهداء.

إن لضباعة شِعْراً جميلاً ومراث رقيقة وقد تميز شِعرُها بالجودة والفصاحة. قالت ترثي زوجها هشام بن المغيرة بعد أن أنجبت منه سلمة وكانت مسلمة:

إنــكَ لَــوْ وأَلْــتَ إلــى هشــامٍ أَمِنْـتَ وكُنْـتَ فـي حَـرَمٍ مُقيـمِ
كــريـمُ الخيـمِ خفـافٌ حَشَـاهُ ثمــــالٌ لليتيمــــة واليتيــــمِ

ربيــعُ النَّــاسِ أروعُ هبــرزيٌّ | أبيُّ الضَّيمِ ليس بذي وُصُوم
أصيـلُ الـرأيِ ليسَ بحيـدَريٍ | ولا نكـدِ العَطَـاء ولا ذَميـمِ
ولا مُتنـزعٍ بـالسُّـوءِ فيهـم | ولا قـذعِ المقـالِ ولا غَشُـومِ
فـأصبحَ ثـاوياً في قَـاعِ رَمْسٍ | كـذاكَ الـدَّهْـرُ يفجعُ بـالكـريـمِ

وأنشدت ترقص ابنها:

نمـى بـه إلـى الـذُّرى هِشَـامُ | قَــرْمٌ وأبــاءٌ لَــهُ كِــرَامُ[1]
جحــاجيــحٌ خضــارِمٌ عِظـامُ | مـن آلِ مخزومٍ هُمُ الأعـلامُ[2]
والهامةُ العلياءُ والسَّنَامُ

وقد ورد في بلاغات النساء أنها قالت لابنها:

نمـى بـه إلـى الـذرى هشـام
قــدمــا وآبــاء لــه كــرام | جحــاجــح خضــارم عظــام
مــن آل مخــزوم هــو النظــام | والــرأس والهــامــة والسنــام

وأما ما أنشدته ضباعة حين هاجر ابنها سلمة إلى النبي ﷺ فهو:

اللهـم[3] رب الكعبـة المحرمـة | انصـر علـى كـل عـدو سلمـة
لـه يـدان فـي الأمـور المبهمـة | كـف بهـا يعطي وكـف منعمـة
أجرأ من ضرغامة في أجمة | يحمي غداة الروع عند الملحمة
بسيف عورة مرب المسلمة

---

(١) الرجز في الأمالي: (ج٢/ ١١٣).
(٢) جحاجح: جمع جحجح، وهو السيد المسارع إلى المكارم، والخضارم: جمع خضرم، وهو السيد الكريم الجواد الكثير العطية الشبيه بالبحر.
(٣) وردت في شاعرات العرب (يارب).

ويذكر[1] أن رسول الله ﷺ خطبها، فذكرت له عنها كبرة فتركها ولعل الذي أخرها عن أن تكون أماً للمؤمنين وزوجاً لرسول رب العالمين، تكريم الله لنبيه، وعلمه بغيرته والله أغير منه، لما في قولها:

اليوم يبدو بعضه أو كله . . . .

* * *

(١) سيرة ابن هشام (ج١/ ٢٠٢).

عاتكة بنت عبد المطلب

هي عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم، القرشية الهاشمية عمة رسول الله ﷺ، أمها فاطمة بنت عمرو، تزوجها في الجاهلية أبو أمية بن المغيرة، والد أم سلمة، زوج رسول الله ﷺ، فولدت له عبدالله، وزهيراً، وقريبه[1]. شاعرة من شواعر العرب، حيث وجد لها في ديوان الحماسة أشعار مختارة ومن قولها، افتخارها بقومها في يوم عكاظ:

سـائِـلْ بِنَـا فـي قَـوْمِنَـا ... وكفَـاكَ مِـنْ شَـرٍّ سَمَـاعُـهْ[2]

قَيْسـاً ومـا جَمَعُـوا لَنَـا ... فـي مَجْمَـعٍ بَـاقٍ شَنَـاعُـهْ[3]

فيـه السَّنَـوَّرُ والقَنَـا ... والكَبْـشُ مُلْتَمِـعٌ قِنَـاعُـهْ[4]

بعُكَـاظَ يُعْشـي النَّـاظِـرِيـنَ، ... إذا هُـمُ لَمَحُـوا، شُعَـاعـه

فيـهِ قتلنـا مَـالكـاً ... قَسْـراً وأسلَمَـهُ رُعَـاعُـهْ

ومُجَـدَّلاً غـادَرْنَـهُ ... بـالقَـاعِ تنهشُـهُ ضِبَـاعُـهْ

أما بالنسبة لإسلامها فقد قال ابن عبد البر: اختلف في إسلام عاتكة والأكثر يأبون ذلك. أما ابن فتحون في ذيل الإستيعاب فقد ذكرها، واستدل على إسلامها بشعر لها تمدح فيه النبي ﷺ، وتصفه بالنبوة[5]، وقال ابن سعد: أسلمت عاتكة بنت عبد المطلب بمكة وهاجرت إلى المدينة. وقد ذكر في السيرة النبوية لابن هشام أنها كانت يوم وقعة بدر السنة الثانية

---

(١) الاصابة: لابن حجر (ج١٣/ ٣٥).
(٢) الابيات في (الحماسة) (ج٢/ ١٣٠) بشرح التبريزي. وسائل بنا، أي: عنا.
(٣) شناعة: قبحه وعيبه، والشناع: الشناعة.
(٤) السنور: الدروع، وقيل: الدرع، وقيل: جملة السلاح.
(٥) الاصابة: لابن حجر (ج١٣/ ٣٥).

للهجرة في مكة مع قريش وقد رأت رؤيا صدقها الله تعالى فيها... وحققها... وذلك في شأن كارثة قريش يوم بدر!!... وهاك التفصيل:

قال ابن إسحاق[1]: عن عروة بن الزبير، قال: رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا أفزعتها. فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له: يا أخي، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني[2]، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة، فاكتم عني ما أحدثك به فقال لها: ما رأيت؟ قالت: رأيت راكباً أقبل علي بعير له، حتى وقف بالأبطح[3]، ثم صرخ بأعلى صوته أن انفروا يا آل غدر[4] لمصارعكم في ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به[5] بعيره على ظهر الكعبة، ثم صرخ بمثلها: ألا انفروا يا آل غدر في ثلاث: ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس[6] فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي، حتى إذا كانت بأسفل الجبل أرفضت[7]، فما بقي بيت من بيوت مكة، ولا دارٌ إلا دخلتها منها فلقة، قال العباس: والله إن هذه لرؤيا، وأنتِ فاكتميها، ولا تذكريها لأحَد. وخرج العباس من عندها، فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة، فذكرها له، واستكتمه إياها، فذكرها الوليد لأبيه عتبة، وفشا الحديث بمكة، حتى تحدثت به قريش في أنديتها. فقال أبو جهل: يا بني عبد المطلب، متى حدثت فيكم هذه النبية؟ قال العباس: وما ذاك؟ قال: تلك الرؤيا التي رأتها عاتكة، سوف نتربص بكم هذه الثلاث، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون،

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (ج١/٦٠٧).

(٢) أفظعتني: اشتدت علي.

(٣) الأبطح: اسم مكان بين مكة ومنى.

(٤) ياآل غدر: نداء في الشتم.

(٥) مثل به: قام به.

(٦) يقال: إن هذا الجبل سمي كذلك برجل هلك فيه من جرهم، اسمه: قبيس بن شالخ.

(٧) ارفضت: تفتت.

وإن تمضي الثلاثُ ولم يكن من ذلك شيء، نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب. وبعد مضي الثلاث سمعت قريش صوت ضمضم بن عمرو الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره، وقد جدع بعيره[١]، وحول رحله، وشق قميصه، وهو يقول: يا معشر قريش، اللطيمة اللطيمة[٢]، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أدري أن تدركوها، الغوث الغوث وبذلك تكون رؤيا عاتكة قد تحققت وأصدقها الله فازدادت عاتكة يقيناً وتصديقاً بنبي الله ﷺ وأن الله سينصره ويخذل أعدائه. وبعد أن عادت جموع قريش المنهزمة في بدر تجهزت عاتكة بنت عبد المطلب (عمة رسول الله ﷺ) للهجرة إليه والإقامة في دار الهجرة[٣].

ومن شعر عاتكة في رثاء أبيها عبد المطلب جد النبي ﷺ قولها:

أَعَيْنَيَّ جُودَا ولا تَبْخَلا ... بدمْعكما بَعْدَ نَوْمِ النيامْ
أَعَيْنيَّ وَاسْتَحْنفرا وَاسْكُبا ... وشُوبا بُكاءَكما بالْتِدام[٤]
أَعَيْنيَّ واستخرطا واسْجُما ... على رجُلٍ غير نِكْس كهَام[٥]
على الجحْفَلِ الغَمْر في النَّائبات ... كريم المَساعي وفيَّ الذمام[٦]
على شَيْبَة الحَمْد وارى الزناد ... وذي مَصْدق بعدُ ثَبْت المقام

---

(١) جدع بعيره: قطع أنفه.
(٢) اللطيمة: الإبل تحمل البز والطيب.
(٣) الاصابة لابن حجرْ (ج١٣/٣٦). الطبقات لابن سعد (ج٨/ ٤٣). راجع سير أعلام النبلاء للذهبي (ج٢؛ ٢٧٢).
(٤) السيرة النبوية: لابن هشام (ج١/ ١٧١). واسحنفرا: المطر وغيره: كَثُرَ صبه. والالتدام: ضرب النساء وجوههن في النياحة. وكان يفعل ذلك في الجاهلية، وقد أبطله الإسلام ونهى عنه. وقد وردت كلمة (استحنفرا) في شاعرات العرب وأعلام النساء لكحالة (استَعْبِرا).
(٥) استخرط الرجل في البكاء: لج فيه. والكهام: الرجل الكليل المسن. تريد أنه ليس بنكس أي: ضعيف ولا كليل، ورجل كهام: بطيء عن النصرة والحرب.
(٦) الجحفل: الرجل العظيم، والسيد الكريم.

وسَيْفٍ لـدَى الحَـرْب صَمْصـامـة ومُـرْدى المُخـاصـم عنْـدَ الخصـام
وسَهْـل الخَليقـة طَلْـق اليـديـنْ وفٍ[1] عُـدْمُلِّـيٍّ صَمِيـم لُهـام[2]
تبنَّــك فـــي بـــاذخٍ بَيْتُــه رفيـعُ الـذُّؤابـة صَعْـب المَـرام[3]

* * *

(١) خففت الياء من (وفى) ليستقيم الوزن.

(٢) العدملي: الضخم القديم من الشجر، كل مسن قديم. اللهام: الكثير الخير.

(٣) تبنك في المكان: أقام فيه وتأهل، تأصل وتمكن، مأخوذة من البُنك (بضم الباء)، وهو أصل الشيء وخالصه. تريد أن بيته تأصل في باذخ من الشرف وقد وردت كلمة (بيته) في أعلام النساء لكحالة: (بنته).

عمرة بنت مرداس

هي عمرة بنت مرداس بن أبي عامر، أمها الشاعرة المشهورة (الخنساء). شاعرة من شواعر العرب المجيدات، لكنها كانت مقلة بعض الشيء في ذلك، وقد رثت أخاها يزيد عندما قتل على يد هارون بن النعمان بن الأسلت، الذي كان يطلب بالثأر منه لابن عمه قيس بن الأسلت لأن يزيداً قاتله في بعض حروبهم فقالت عمرة ترثي أخاها يزيداً:

أعينـيَّ لـم أختلكُمـا بخيـانـةٍ ... أبى الـدَّهـر والأيـام أن أتصبّـرا[١]
وما كُنتُ أخشى أَنْ أَكُونَ كأَنَّني ... بَعيـرٌ إذا يُنعـى أُخـيَّ تحسُّـرا
ترى الخَصْمَ زُوراً عَنْ أُخيَّ مهابةً ... وليسَ الجليسُ عَنْ أُخيَّ بأَزورا[٢]

وقالت في أخيها العباس وقد مات في الشام سنة ١٦هـ:

لتبكِ ابْنَ مِرداس على ما عَرَاهُمُ ... عَشيرَتُـهُ إذْ حُـمَّ أَمْسـي زَوَالُهـا[٣]
لَدَى الخَصْمِ إذْ عِنْدَ الأمير كفاهُمُ ... فكـان إليهـا فضلهـا وحـلالُهَـا
ومُعضلـةٍ لَلحـامليـنَ كفيتهـا ... إذا أنهلتْ هُوجَ الرياح طلالُهَا[٤]

وقالت تعرض بأخيها شداد الذي شمت بموت ابنها الأقيصر بن نشبة، وكان قد مات صغيراً فأخذت تتذكره:

مـن مُبلـغٌ عَنـي فـلانـاً رِسـالـةً ... فما أَنْتَ عَنْ قولِ السّفاهِ بمعتبِ[٥]

---

(١) الأغاني: (ج١٤/ ٣٠٢).
(٢) زوراً: مزورين. ونصب (مهابة) لأنه مفعول له تعني ترى الخصوم مزورين عن لهيبته.
(٣) الحماسة: (ج٣/ ٦٩).
(٤) طلال، مفرده طل: المطر الضعيف.
(٥) المعتب: المرضى.

تُطيرُ مَنْ حَلَّ البلادَ بِرقشاً ... بأرْوَعَ طلاَّبِ التِّراب مُطَّلبِ[1]
فإنْ يكُ قَدْ وَلَّى الأقيصرُ وانقضى ... به رائبٌ مِن دهره المتقلّبِ[2]
فقد كانَ حصناً لا يرام ومعقلاً ... عظيم رَمادِ القدر غير مُسبَّبِ[3]
تولَّى بأخلاقٍ عليكَ كفاكها ... وهذَّب قبل الموتِ ما لم تهذّب
وقد تعلم الخنساءُ أنَّ فراشها ... لَمُجلي إذا ما هَمَّ يوماً بركَّبِ
إذا انقلبَ الإبرامُ أيقنت أنَّهُ ... مُقارنُ شمسٍ أو مُقارنُ كوكب
على كلِ عجماء البغام كأنَّهُ ... وأقتادُه فيها على أُم تولب[4]
يرنُّ بروضاتِ الفلاةِ كأنّما ... يُرجَّع في أنبوبِ غابٍ مثقَّبِ
قد اعتدَّ للأعداء بيضاء صفوةً ... كمتْنِ غدير الرَّوضةِ المتصببِ
ومُطَّرداً لدنَ الكعوب وصارماً ... حُساماً متى يَعْلُ الضَّريبة تقصبِ[5]
وطرفاً حبا حيّاً تودَّد صنعُهُ ... أديباً إذا ما قال صاحِبُهُ هَبِ[6]

وقالت ترثي أخاها يزيداً:

أجَدَّ ابنُ أمي أن لا يؤوبا ... وكانَ ابنُ أمي جليداً نجيباً
تقياً نقياً رحيبَ المقام ... كميّاً صليباً لبيباً خطيبا
حليماً أريباً إذا ما بدا ... سديد المقالةِ صُلباً دَرِيبَا

---

(١) البراقش: التي لا شيء فيها، يقال: أصبحت البلاد براقش، أي لا أحد فيها ممن حلها في حال برقشتها، الترات: جمع ترة وهي الثأر. والمطلب: المقصود والمنتاب.

(٢) الرائب الأمر الذي فيه شبهة وكدر.

(٣) مسبب: مشتوم، من سببه، إذا بالغ في شتمه.

(٤) البغام: صوت الابل. التولب: ولد الأتان من الوحش إذا استكمل الحْول، ويقال للأتان أيضاً: أم تولب.

(٥) المطرد والطراد: الرمح القصير. اللدن: اللين. الكعوبّ، مفرده كعب: العقدة من عقد الرمح. الضريبة: المضروب بالسيف، وإنما دخلته الهاء، وإن كان بمعنى مفعول، لأنه صار في عداد الأسماء، كالنطيحة والأكيلة. وتقصب: تقطع وتفصل.

(٦) الطرف: الجواد الكريم العتيق.

وحسناءَ في القولِ منسوبةٍ ... تُكشّفُ عَنْ حَاجبيها السبَّيبا
فشدَّ بمنطقهِ مُقصرا ... فدارَتْ به تستطيف الركوبا
تشقُّ سنا بكُها بالعرى ... وتطرحُ بالطَّرف عنها الغيوبا
فلمَّا عَلاها استمرَّت به ... كما أفرغ النَّاضِحَانِ الذَّنوبا
وأجرى أجاريَّهَا كُلَّها ... ومِنْ كُلِّ جري تلاقي نصيبا
أتي النَّاس من بعد ما أمحلوا ... فقال وجدتم مكاناً خصيبا
فما روا إليه وقالوا استقم ... فلم يجدوه هلوعاً هيوبا
بقوم إذا أفزعوا مَّسكوا ... وأدركَ فيهم ركوبٌ ركوبا
وطعنة خلسٍ تلافيتها ... كعطِّ النِّساء الرداءَ الحجُوبا[1]
وحمراءَ في القومِ مظلومةٍ ... كأنَّ على دَفَّتيها كَثيبا[2]
تيمَّمْتَهَا غير مستأمرٍ ... فعرقبتها وهززتَ القضيبا[3]
فظلَّت تكوسُ على أكرُعٍ ... ثلاثٍ وغادرتْ أخرى خضيبا[4]
وقُلْتَ لصاحبها لا تُرَعْ ... فلم يعدم القومُ نُصحاً[5] قريبا
فراحَ يُعدِّي على جَسْرةٍ أمُونٍ ... وغادَرْت رَحلاً جنيبا[6]
وزقٍ سباهُ لأصحابه ... فظلَّ يُحيَّا وظَلُّوا شُرُوبا

وقالت تذكر أباها مرداساً، وكان يقال له «الفيض» لفرط سخائه وكرمه:

---

(١) عط الثوب: شقه طولاً أو عرضاً.
(٢) الحمراء: الناقة لونها مثل لون الزعفران، وقيل: إذا لم يخالط حمرتها شيء وهي أصبر الابل على الهواجر، الدفة: الجنب من كل شيء أو صفحته.
(٣) عرقب الدابة: قطع عرقوبها، والعرقوب: عصب غليظ فوق العقب. القضيب: السيف القطاع.
(٤) كأس البعير: مشى على ثلاث قوائم وهو معرقب. الكراع بضم الكاف، وجمعه أكرع، هو من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس، وهو مستدق الساق.
(٥) وردت بأعلام النساء لكحالة (نجحاً).
(٦) الجسرة من الابل: العظيمة. الأمون: المطية المأمونة العشار.

لقـد أرانـا وفينـا سـامِـرٌ لجـبٌ   مَصَـارخٌ فيهـمُ عِـزٌّ ومُـرْتغـبُ
لا يـرقـعُ النَّـاسُ فتقـا حيـن يفتقُـهُ   ويَـرْقَـعُ الخـرْقَ قَـدْ أعيـا فيـرتَئـبُ
والفيـضُ فينـا شهـابٌ يستضـاءُ بـه   إنَّـا كـذلـك فينـا تـوجَـدُ الشُّهـب
إذا نَحـنُ بـالأتـم نـرعـاهُ وتسكُنُـهُ   جولٌ فوارسُها كالبحر يضطربُ[1]
كأنَّ ملقى المساحي مِنْ سنابكها   بيـن الخبُـوِّ إلـى سعـرٍ إذا ركبـوا
فيهـا الـذَّلـولُ وفيهـا كُـلُّ معتـرضٍ   يفنـي ضغينتـهُ التَّعـداءُ والخبـبُ
قبّـاً تُنـازعُهـا الأرسَـانُ قـافِلـةً   لا حقَّفـاتٌ ولا ميـلٌ ولا ثلـبُ[2]

توفيت عمرة بنت مرداس نحو سنة ٤٨ هـ[3].

* * *

---

(١) الأتم: اسم مكان. الجول: التراب الذي تجول به الريح.
(٢) القب بالضم، جمع الأقب، والأنثى قباء: الضامرة الدقيقة الخصر، والقب بالفتح: الفحل.
(٣) أنيس الجلساء في ديوان الخنساء.

قتيلة بنت الحارث

هي قتيلة بنت الحارث[١]، شاعرة من الطبقة الأولى من شواعر العرب المجيدات في الرثاء وقد أدركت الجاهلية والإسلام. وقد روت عنها المصادر أنها كانت ذات حزم ورأي وجمال. وقد رثت أخاها النضر بن الحارث، الذي أمر بقتله رسول الله ﷺ حين أسر بمعركة بدر، لأنه كان يلج في عدائه للإسلام، ويمعن في أذية النبي والمسلمين.

ويحدثنا بتلك الرواية ابن إسحاق عن أصحابه قالوا:

قَتَل رسول الله ﷺ يوم بدر عقبة[٢] بن أبي معيط صبراً حيث أنه أمر عاصم[٣] بن ثابت بذلك فضرب عنقه، ولما أقبل من بدر حتى إذا كان (بالصفراء[٤]) قتل النضر بن الحارث بن كلدة أحد بني عبد الدار[٥]. فقد أمر علياً رضي الله عنه أن يضرب عنقه بالأثيل[٦]، ولما علمت قتيلة بمقتل أخيها عارضت النبي ﷺ وهو يطوف فاستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبيه وقالت:

---

(١) ورد ذكر اسمها في الأغاني أنها مثيلة بنت النضر بن الحارث بن علقمة.

(٢) عقبة بن أبي معيط: هو عقبة بن أبان مقدمي قريش في الجاهلية. كان شديد الأذى للمسلمين عند ظهور الدعوة فأسروه يوم بدر وقتلوه ثم صلبوه، وهو أول مصلوب في الإسلام. توفي سنة ٢هـ.

(٣) عاصم بن ثابت: صحابي من السابقين الأولين من الأنصار شهد بدراً، وأحداً مع رسول الله ﷺ واستشهد يوم الرجيع ورثاه حسان بن ثابت. توفي سنة ٤هـ.

(٤) الصفراء: شعب بناحية بدر، يقال لها الأصافر، سلكها النبي ﷺ في طريقه إلى بدر.

(٥) عبد الدار: جد جاهلي. وبنو عبد الدار هم: عبد مناف، وعثمان، والسباق.

(٦) الأثيل: اسم مكان قرب المدينة.

يـــا راكبـــاً إنَّ الأُثَيْـــلَ مَظِنَّـــةٌ | مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وأنتَ موفق[1]
أبَلِّـــغ بـــه مَيتـــاً بـــأَنَّ تحيـــةً | ما إن تزَالُ بها الركائب[2] تخفقُ
منـــي إليـــه وعبـــرةٌ مسفـــوحـــةٌ | جَادَتْ لمائحها وأخرى تخنقُ[3]
فليسمعـــنَّ النَّضـــرُ إنْ نـــاديتُـــه | إن كـان يَسْمَـعُ ميتٌ أو ينطـقُ[4]
ظلـتْ سيـوفُ بنـي أبيـه تنـوشُـهُ | لِلّـــهِ أرحـــامٌ هنـــاكَ تُشقـــقُ[5]
قَسْـراً[6] يُقـادُ إلـى المنيـةِ متعبـاً | رَسْـفَ المُقيـدِ وهـو عـانٍ مُـوثـقُ
أمحمـــدٌ ولأنـــتَ نجـــلُ نجيبـــةٍ | من قومها والفَحلُ فحلٌ مُعرقُ[7]
مـا كـانَ ضـركَ لـو مننـتَ ورُبَّمـا | مَـنَّ الفتـى وهـو المغيـظُ المحنـقُ
فالنَّضَرُ أقرَبُ مَنْ أَصبتَ وسيلةً[8] | وأحقُّهُـمْ إنْ كـانَ عِتـقٌ يُعتـقُ[9]
لـو كنـت قَـابـلَ فـديـةٍ لفَـدَيْتُـهُ | بـأعـزِ مـا يفـدى بـهِ مـن تنفِـقُ[10]

---

(١) في الاصابة: (ج٤/ ٣٧٨)، ومعجم البلدان: (ج١/ ٩٤). وحماسة البحتري: (٤٣٤). وقد قال أبو الفرج (إن شعرها أكرم شعر موتور، وأعفه وأحلمه وأكفه).
(٢) وردت بالأغاني وصحابيات (النجائب).
(٣) في حماسة البحتري: جاءت بوابلها، وفي الأغاني: مني إليك.. جاءت بدرتها.. وبدرتها: بكثرتها.
(٤) في حماسة البحتري: هل يسمعن... بل كيف يسمع... وكذا في الأغاني هل يسمعن...
(٥) في حماسة البحتري: تمزق. وهنا تنوشه: أي تتناوله. أما اللام في لله فهي للتعجب.
(٦) في الأغاني: صبراً يقادُ، أي يقال قتل صبراً: حبس على القتل حتى يُقتل. رسف المقيد: مشي الذي في يديه قيد. العاني: الأسير.
(٧) في الحماسة للبحتري وبلاغات النساء: ولا أنت صنو.. في قومها أما في الأغاني: ولا أنت نسل. وفي صحابيات: أمحمد ولدتك خير نجيبةٍ. والمعرق: الأصيل النسب.
(٨) في البلاغات: من تركت قرابة، في الأغاني: من أخذتُ بِزَلَّةٍ، في الصحابيات: من قتلت قرابةً.
(٩) معناه: إن كان شرف ونجابة وكرم نفس وأصل، يعتق صاحبه، فهو أحقُّ به!.
(١٠) وقد ورد البيت في الأغاني كذلك:

أوكنـت قـابـل فـديـةٍ فليـأتيـنْ | بـأعـز مـا يَغْلو لـديـك ويَنفُقُ

فلما سمع رسول الله ﷺ ذلك بكى حتى أخْضَلت الدموعُ لحيته. وقال: «لو بلغني شعرها قبل أن أقتله لعفوت عنه». ثم قالت: لا تقتل قريش صبراً بعد هذا.

وأما ما ذكره ابن هشام في أمرها فقد قال: قال رسول الله ﷺ لما بلغه هذا الشعر: «لو بلغني قبل قتله ما قتلته»[1].

بعد ذلك أسلمت قتيلة وكانت محبة لله ورسوله الكريم عليه الصلاة والسلام وقد مدحت النبي ﷺ بقصيدة مطلعها:

الواهبُ الألفُ لا يبقي بها بدلاً   إلا الإلـه ومعـروفـاً بمـا اصطنعـا

توفيت قتيلة في خلافة عمر سنة ٢٠هـ[2] وقد روت الحديث عن رسول الله ﷺ.

* * *

(١) الاصابة: لابن حجر (ج١٣/ ٩٥ـ٩٦)، الاستيعاب: لابن عبد البر (ج١٣/ ١٣٦ـ١٣٩). أسد الغابة: لابن الأثير: (ج٥/ ٥٣٣ـ٥٣٤).

(٢) أخبار النساء في كتاب الأغاني لعبد الأمير مهنا (ص٢٨٣).

قيلة بنت مخرمة

هي قيلة بنت مخرمة التميمية، من ربات الفصاحة والبلاغة، كانت في الجاهلية عند حبيب بن أزهر، وأنجبت منه البنات فقط، توفي حبيب في أول عهد الإسلام، فعمد عم البنات «أثوب بن أزهر» إلى أخذهن فخرجت تبتغي الصحبة إلى رسول الله ﷺ في أول الإسلام[١]، فهاجرت إلى رسول الله ﷺ مع حريث بن حسان، وافد بني بكر بن وائل.

ويروي لنا حديثها عن هجرتها عبدالله بن حسان العنبري عن جدتيه صفية ودجيبة ابنتي عليبة، وكانتا ربيبتي قيلة جدة أبيهما، أنها قالت: كنت ناكحة في بني جناب بن الحارث بن جبهة بن عدي بن جندب بن العنبر رجلاً منهم يقال له: «الأزهر بن مالك» فمات وترك بنات فيهن واحدة فزيراء[٢] وهي صغراهن قد أخذتها الغرسة[٣]، قالت: خرجت أبتغي الصحابة إلى رسول الله ﷺ[٤]، في نأنأة الإسلام[٥] فبكت الحديباء[٦] عليَّ فرحمتها فحملتها معي على بعيري سراً من عمها أثوب بن مالك فخرجنا

---

(١) الطبقات: لابن سعد (ج٨/ ٣١٢)، والاصابة لابن حجر (ج١٣/ ٩٩)، وتقصد أول الإسلام في قولها: أي إسلام قومها، وقد ورد ذكر اسم زوجها في بلاغات النساء أنه (أزهر بن مالك) وكذلك ورد ذكر أسم اخيه أنه (أثوب بن مالك).

(٢) الفزيراء: التي قاربت البلوغ أو الممتلئة لحماً وشحماً.

(٣) الغرسة: يقال هم في مغروسة أي في اختلاط.

(٤) أي: خرجت إلى رسول الله ابتغي صحبته أي: لتكون في صحابته واتباعه.

(٥) في ضعفه أي بدء ظهوره.

(٦) لعله هو اسم البنت الفزيراء.

نرتك جملنا[١] إذا انتفجت[٢] الأرنب فقالت الحديباء: الفصية[٣]، ورب الكعبة قالت: وقالت الفزيراء، ورب الكعبة لا يزال كعبك عالياً على كعب أثوب فبينما الجمل يرتك إذا خلا وأخذته رعدة[٤] فقالت الحديباء: أدركتك والأمان أخذة أثوب[٥]، فقلت واضطررت إليها فما أصنع، قالت[٦]: تقلبين ثيابك ظهورها لبطونها، وتقلبين أحلاس[٧] جملك ظهورها لبطونها، وتقلبين ظهرك لبطنك، ثم قلبت مستحاً لها من صوف، فقلبت ظهرها لبطنها، قالت: ففعلت ما أمرتني به، فقام الجمل ففاج[٨] وبال وأعدت عليه أداته، ثم خرجنا نرتكه، فإذا أثوب يسعى على آثارها بالسيف صلتاً فوألنا[٩] منه إلى خباء ضخم فألقى الجمل ذلولاً لدى روق البيت[١٠] الأوسط، فاقتحمت[١١] داخله بالجارية وتناولني بسيفه فأصابت ظبيته طائفة من قرني[١٢]، وقال: ألقي إليَّ بنت أخي يا دفار[١٣]

---

(١) أي نقارب خطوه أي أنهما أسرعتا السير به.

(٢) ثارت.

(٣) أي تخلصنا من أن يطلبنا عمنا أو أحد غيره، ويظهر أن الحديباء كانت ممن يستدلون على المستقبل بحركات الحيوانات وما شابه ذلك كما يدل عليه نسق هذا الكلام في السابق واللاحق منه والفصية من مضي الشيء أي فصله، وأفصى: تخلص منه، وفصيته: خلصته.

(٤) لعل المراد أن الجمل لما صار في الخلاء أخذته رعدة فتعطل سيره.

(٥) أي أنه سيدركنا ويلحق بنا.

(٦) في الجملة الآتية تصف الحديباء ما يلزم فعله حتى يزول ما أصاب الجمل.

(٧) جمع حلس، وهو كساء على ظهر البعير تحت البرذعة.

(٨) أسرع وعدا.

(٩) صلتا: أي متجرداً، صقيلاً: ماضياً، وألنا: لجأنا.

(١٠) أي مقدماً.

(١١) من قحم رمى بنفسه فيه فجأة.

(١٢) الظبة: حد السيف، والقرن هنا الجانب الأعلى من الرأس.

(١٣) أي يا أمه (بالفتح والتحريك).

فألقيتها إليه وكنت أعلم به منهم وقد تحشحش[1] له القوم ثم انطلقت إلى أخت لي ناكح في بني شيبان أبتغي الصحابة إلى رسول الله ﷺ فبينما أنا عندها ذات ليلة تحسب أني نائمة، إذ جاء زوجها من السامر فقال: وأبيك لقد أصبت لقيلة صاحب صدق، قالت: ومن هو، قال: هو حريث بن حسان غادياً ذا صباح وافد بكر بن وائل إلى رسول الله صلى الله ﷺ، قالت: يا ويلها لا تخبر بهذا أختي فتتبع أخا بكر بن وائل بين سمع الأرض وبصرها وليس معها من قومها رجل، قال: لا تذكريه، فإني غير ذاكره لها، فلما أصبحت وقد سمعت ما قالا، شَدَدتُ على جملي، فانطلقت إلى حريث بن حسان، فسألت عنه فإذا به وركابه مناخة، فسألته الصحابة إلى رسول الله ﷺ، فقال: نعم وكرامة، فخرجت معه صاحب صدق حتى قدمنا على رسول الله ﷺ فدخلنا المسجد حين شق الفجر وقد أقيمت الصلاة، فصلى والنجوم شابكة، والرجال لا تكاد تعارفِ من ظلمة الليل فصففت[2] مع الرجال وكنت امرأة حديثة عهد بالجاهلية. فقال لي رجل إلى جنبي: امرأة أنت أم رجل؟ قلت: امرأة، قال: كدت تفتنيني[3] عليك بالنساء وراءك فإذا صف من النساء قد حدث عند الحجرات، لم أكن رأيته حين دخلت، فصففت معهن، فلما صلينا جعلت أرى ببصري الرجل ذا الرو أو القثر[4] لأرى رسول الله ﷺ حتى دنا رجل، فقال: السلام عليك يا رسول الله فإذا هو جالس القرفصاء، ضام ركبتيه إلى صدره، عليه اسمال[5] ملسين

---

(١) المتحشحش: أن يهزل الرجل بعد يبس، قد تحشحشنا في آخر هذا الشهر يعني شهر رمضان، أي يبسنا وهزلنا من الصيام. وهي تحسحس بالسين أصوب أي تحرك له القوم، وتحسحست اللحمة في النار إذ تقبضت وسمعت لها صوتاً.

(٢) تعارف أي تتعارف، وصففت: أي ذهبت وقفت معهم.

(٣) تخالطيني.

(٤) القثر: القماش، أي الرجل ذا الهيئة الحسنة في خلقته ولبسه.

(٥) أثواب بالية.

كانتا مصبوغتين بزعفران منغصاً وبيده عسيب[1] مقشور غير خوصتين من أعلاه، فقال: وعليك السلام ورحمة الله، فلما رأيت رسول الله ﷺ، والتخشع في مجلسه، ارعدت من الفرق[2] فقال له جليسه: يا رسول الله ارعدت المسكينة، فقال: بيده (يا مسكينة عليك السكينة) فذهب عني ما كنت أجد من الرعب، قالت: فتقدم صاحبي أول من تقدم، فبايعه على الإسلام وعلى قومه، ثم قال: يا رسول الله اكتب لنا بالدهناء[3] لا يجاوزها من تميم إلينا إلا مسافر أو مجاور، فقال: يا غلام أكتب له بالدهناء. قالت: فلما رأيت ذلك شخص بي وهي[4] داري ووطني، فقلت: يا رسول الله إنه لم يسلك السوية من الأمر، هذه الدهناء عندك مقيد الجمل، ومرعى الغنم، ونساء تميم وأبناؤها وراء ذلك، قال: صدقت. أمسك يا غلام المسلم أخو المسلم يسعهم الماء والشجر يتعاونان على الفتان كذا[5]، قالت: فلما رأى حرث وقد حيل دون كتابة، صفق بإحدى يديه على الأخرى، ثم قال: كنت أنا وأنت كما قال الأول حتفها حملت ضان بأظلافها، قالت: فقلت: أما والله لقد كنت دليلاً في الليلة الظلماء، جواداً لدى الرحل، عفيفاً عن الرفيقة، صاحب صدق، حتى قدمنا على رسول الله ﷺ، عليَّ أسأل حظي، إذا سألت حظك، قال: وما حظك من الدهناء، لا أبالك، قالت: قلت: مقيد جملي سله لجمل امرأتك، قال: أما إني أشهد رسول الله ﷺ أني لك أخ ما حييت، إذا ثنيت هذا عليَّ عنده، قالت: قلت: إذا بدأتها فإني لا أضيعها، قالت: فقال رسول الله ﷺ: ما يمنع ابن هذه أن يفصل الخطة وينتصر من وراء الحجرة، قالت: فبكيت وقلت:

---

(١) العسيب جريدة من النخل رقيقة مستقيمة.

(٢) الفزع.

(٣) الدهناء: موضع وهو ديار بني تميم من أكثر بلاد العرب كلأ.

(٤) يقال: وهي وهيا: أي حمق وسقط.

(٥) لعله من الفتن بسكون التاء وهو الحال.

يا رسول الله، والله لقد ولدته حزاماً، وقاتل معك يوم الربذة، ثم انطلق إلى خيبر يميرني منها، فأصابته حماها، فمات وترك عليَّ النساء، فقال رسول الله ﷺ: لولا أنك مسكينة لجررت على وجهك، أو لأمرت بك فجررت على وجهك، أتغلب إحداكن أن تصاحب صويحبها في الدنيا معروفاً فإذا حال بينه وبينها من هو أولى به منها، قالت: رب أثبني على ما أمضيت وأعني على ما أبقيت، فوالذي نفسي محمد بيده، إني أحيدكم لسبكي، فيستعير إليه صويحبه فيا عباد الله، لا تعذبوا إخوانكم، قالت: ثم أمر فكتب لي قطعة أديم أحمر (لقيلة والنسوة بنات قيلة لا يظلمن حقاً، ولا يكرهن على منكح، وكل مؤمن مسلم، لهن نصير أحن ولا يسئن[1]). وبهذا حمى رسول الله ﷺ قيلة وبناتها اللواتي سلبن منها قهراً. ورعا همها وعاشت قيلة بعزة وكرامة.

* * *

(١) الاصابة: لابن حجر (ج١٣/ ١٠٢).

هند بنت أثاثة

هي هند بنت أثاثة بن المطلب بن عبد مناف، شاعرة قرشية، من شواعر العرب الذين اشتهروا في الجاهلية، وقد روى لها (ابن اسحاق) أبياتاً، قبل أن تسلم، في رثاء عبيدة بن الحارث بن المطلب، أحد قتلى بدر، وهي[1]:

لقد ضمّن الصَّفْراءُ مجداً وسُؤدُداً ... وحِلْماً أصيلاً وافر اللُّبِّ والعقلِ[2]

عُبَيـدةَ فـابْكيـه لأصيـافِ غُـربـةٍ ... وأرمَلة تهوى الأشعت كالجذل[3]

وبكّيـه لـلأقـوام فـي كـل شَتْـوةً ... إذا احْمرّ آفاق السَّماء من المحْلِ[4]

وبكّيـه لـلأيتـام والـرّيـحُ زفـزفٌ ... وتشبيب قِدْر طالما أزبدت تَغْلي[5]

فإن تصبح النّيران قد مات ضَوْءُها ... فقد كان يُذكِيهنَ بالحَطَب الجَزْلِ[6]

لطـارِقِ ليـلٍ أو لمُلتَمـس القِـرَى ... ومُسْتنبحٍ[7] أضحَى لديه على رِسْلِ[8]

وبعد غزوة بدر، أسلمت هند بنت أثاثة رضي الله عنها بمكة، وتزوجت

---

(١) ذكر ابن هشام في (السيرة) أن أكثر أهل العلم بالشعر ينكر نسبة الأبيات إلى هند.

(٢) الصفراء: موضع بين مكة والمدينة.

(٣) الآشعث: المتغير والجذل (بالجيم والذال المعجمة): أصل الشجرة وغيرها. تصفه بالثبات والقوة.

(٤) المحل: القحط.

(٥) الزفزف من الرياح: الشديدة السريعة المرور، والتشبيت إيقاد النار تحت القدر ونحوها. وفي سائر الأصول: (تشتيت) وأزبدت: رمت بالزبد، وهي الرغوة.

(٦) الجزل: الغليظ.

(٧) المستنبح: الرجل الذي يضل بالليل، فيتكلف نباح الكلب وحكايته لتجاوبه كلاب الحي المتوقع نزولهم في طريقه فيهتدي بصياحه.

(٨) والرسل (بالكسر): اللبن.

من (أبي جندب) فولدت له ابنته (ريطة). شاركت هند في المواقف العظيمة التي وقفتها نساء المسلمين مع رسول الله ﷺ دفاعاً عن دينها متحملة الشدائد والعذاب، وهذا نابع عن إيمان صادق ويقين ثابت بالله عزوجل وبرسوله الكريم، وبالنصر العظيم، ولما كانت البيعة بايعت هند رسول الله ﷺ، فأطعمها مع أخيها مسطح بن أثاثة بخيبر ثلاثين وسقاً، إلى أن جاءت الهجرة، فهاجرت مع رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة[1]، ولما كانت غزوة أحد، وقفت هند إلى جانب المسلمين، تقوي من عزائمهم، وتشد أزرهم، بشعرها الجميل، وكلامها الفصيح، فتحث جيوش المسلمين على نصرة رسولهم العظيم، والحفاظ على دينهم الغالي، فتنال هند بذلك شرف المشاركة في الجهاد بسبيل الله عز وجل ولما حلت المصيبة بالمسلمين يوم أحد، بسبب مخالفة الرماة أمر رسول الله ﷺ، والتي سببت الهزيمة للمسلمين، وقف الكفار موقف المنتصر المفتخر، حيث قامت (هند بنت عتبة) قبل إسلامها، تفخر بقتل (حمزة) وغيره من فضلاء أصحاب رسول الله ﷺ، فوقفت على شجرة مشرفة ونادت بأعلى صوتها:

نحـــن جـــزينـــاكـــم بيـــوم بَـــدْر ... والحرب بعد الحَرْب ذات سُعْرِ[2]

مـا كـان عـن عُتْبَةَ لـي مـن صَبـر ... ولا أخـــي وعمـــه وبكـــري

شَفَيْــتُ نفســي وقضيــتُ نَــذْري ... شفيـتَ وحشـي غليـل صـدري[3]

فشُكْــر وَحْشــيّ علــى عُمْــري ... حتـى تَـرُمَّ أعظُمـي فـي قبْـري[4]

---

(١) الاصابة لابن حجر (ج٢١/ ١٥٩)، وأسد الغابة لابن الأثير: (ج٥/ ٥٦٢).

(٢) السعر (بضمتين وسكن للشعر): الالتهاب.

(٣) الغليل: العطش، أو حرارة الجوف. وكان الذي قتل حمزة غدراً وحشي بن حرب الحبشي، ثم أسلم وشارك في قتل مسيلمة الكذاب، وكان يقول: قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام. الاصابة: لابن حجر (١٣/ ١٥٩) أسد الغابة: لابن الأثير (ج٥/ ٨٣). وقد ذكر البيت كذلك:

شفيـت وحشـي غليـل صـدري ... شفيت نفسي، وقضيت نذري

(٤) ترم: تبلى وتفتت.

وعندما سمعتها هند بنت أثاثة قامت لترد على هند بنت عتبة بكل صبر وقوة ورباطة جأش، ودون أن تشعر بالهزيمة، بل دبت في نفوس سامعيها الثبات والصبر على ما قدره الله تعالى عليهم فقالت لها:

خزيتِ في بدر وبعد بَدْر	يا بنتَ وقّاع عظيم الكُفْرِ[1]
صَبَّحكِ الله غداةَ الفَجر	ملهاشمِّينَ الطّوالِ الزُّهرِ[2]
بكل قطاع حُسامٍ يَفْري	حَمزةُ ليثي وعلي صَقْري[3]
إذ رام شَيْبٌ وأبوكً غَدْري	فخضَّبا منه ضواحي النحرِ[4]

ونذركِ السُّوء فَشرّ نَذْرِ

ولما توفي رسول الله ﷺ، حلت المصيبة العظمى على المسلمين جميعاً، حيث فجعوا بهذا الخبر، حتى سيدنا عمر رضي الله عنه، بقوته وشجاعته، لم يصدق الخبر، وقال: من قال إن محمداً ﷺ قد مات قتلته، إلى أن حضر رجل الساعة، سيدنا أبو بكر رضي الله عنه فصعد المنبر، وقال كلمته الخالدة: (من كان يعبد محمداً... فإن محمداً قد مات.. ومن كان يعبد الله.. فإن الله حي لا يموت)!!.. ثم أخذ يتلو قول الله تعالى: ﴿وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾[5] أما هند بنت أثاثة فلها كلمات صادقة، تعبر بها عن عظيم حبها وحزنها لفراق رسول الله ﷺ، في شعر ترثيه فتقول[6]:

---

(١) الوقاع: الكثير الوقوع في الدنيا.

(٢) ملهاشميين، أي من الهاشميين، فحذفت النون من (من) منعاً لالتقاء الساكنين، ولا يجوز ذلك إلا في (من) وحدها لكثرة استعمالها. والزهر البيض، الواحد أزهر.

(٣) الحسام: السيف القاطع. ويفري: يقطع.

(٤) شيب: أرادت شيبة، فرخمته من غير نداء. وضواحي النحر: ما ظهر من الصدر ذكرت الأبيات في (سيرة ابن هشام) (ج٢/ ٩١).

(٥) (سورة آل عمران/ ١٤٤).

(٦) الطبقات: لابن سعد (ج٢/ ٣٣١).

أشَـــابَ ذؤابتـــي وأذَلَّ رُكنـــي بُكـاؤكِ فـاطِـمَ، الميتَ الفقيـدا
فـأعطيـتَ العطـاءَ فلـم تُكـدِّرْ وأخـدَمـتَ الـولائـدَ والعبيـدا
وكنـتَ مـلاذَنـا فـي كـل لـزبٍ إذا هبـــتْ شـــآميـــةٌ بَـــرُودَا
وإنكَ خيرُ مَنْ ركبَ المطايا وأكـرمُهـم إذا نسبـوا جُـدُودَا
رســولَ اللهِ فــارقتنــا، وكنــا نـرجـي أن يكـونَ لنـا خلـودا
أفاطِمَ! فاصبري فلقد أصابتْ رَزيئتــكِ التهــائــمَ والنجــودَا
وأهــلُ البــرِّ والأبحــارِ طــراً فلـم تخطـىءْ مصيبتـهُ وحيـدا
وكـانَ الخيـرُ يصبـحُ فـي ذُرَاهُ سعيـدُ الجَـدّ قـد ولـدَ السُّعُـودَا

وقالت هند بنت أثاثة أيضاً[1]:

ألا يـا عَيـنِ بكـي لا تملِّـي فقـدْ بَكَـرَ النعيُّ بمـن هـويـتُ
وقـد بَكَـرَ النعيُّ بخير شخصٍ رســولِ الله حقــاً مــا حييــتُ
ولـو عشنـا، ونحـن نَـرَاكَ فينـا وأمــر الله يُتــركُ، مــا بكيــتُ
فقـد بكـرَ النعـيُّ بـذاكَ عمـداً فقدْ عظمَتْ مصيبةُ من نُعيتُ
وقـد عظُمـتْ مصيبتـهُ وجلـتْ وكُـلَّ الجهـدِ بعـدَكَ قَـدْ لقيـتُ
إلـى ربِّ البـريـة ذاك أشكـو فـــإنَّ الله يعلـــمُ مـــا أُتيـــتُ
أفـاطِـمُ! إنّـه قَـدْ هُـدَّ رُكنـي وقد عظمتْ مصيبةُ من رُزيتْ

وقالت في رثائها لرسول الله ﷺ[2]:

قـــدْ كـــانَ بَعْـــدَكَ أنبـــاءٌ وهَنْبَثَـــةٌ لو كنتَ شاهِدَهَا لم تكثر الخطبُ
إنـا فقـدنـاكَ فَقْـدَ الأرض وابلهـا! فاحْتَلْ لِقومِكَ واشهدهُمْ ولا تَغبِ
قد كُنتَ بَدْراً ونُوراً يستضاءُ به عليكَ تنزلُ من ذي العزةِ الكُتُبُ
وكـان جبـريـلُ بـالآيـاتِ يحْضُـرُنـا فغابَ عنّا وكلُّ الغيبِ محتجبُ
فقـد رُزئـتُ أبـاً سهـلاً خليقتُـهُ مَحْضَ الضَّرِيبةِ والأعراقِ والنّسبِ

* * *

---

(١) الطبقات: لابن سعد (ج٢/ ٣٣١).
(٢) الطبقات: لابن سعد (ج٢/ ٣٣١).

هند بنت عتبة

هي هند بنت عتبة بن عبد شمس العبشمية القرشية[1]، من ربات الحسن والجمال، والرأي والعقل، والأدب والشعر، والفروسية وعزة النفس، فصيحة جريئة بليغة، ذات رأي وأنفة، صحابية قرشية عالية الشهرة قبل الإسلام وبعده، زوجة الفاكه بن المغيرة المخزومي أحد فتيان قريش، لكنها طلقت منه، وأما سبب الطلاق فيرويه لنا حميد بن حارثة فيقول[2]: (كانت هند بنت عتبة عند الفاكه بن المغيرة وكان الفاكه من فتيان قريش، عنده بيت للضيافة بارزٌ من البيوت يغشاه الناس من غير إذن. فخلا البيت ذات يوم، فاضطجع هو وهند فيه ثم نهض لبعض حاجته. فأقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه، فلما رآها رجع هارباً وقد أبصره الفاكه فأقبل إليها فضربها برجله وقال: من هذا الذي خرج من عندك!؟. قالت: ما رأيت أحداً ولا انتبهت حتى نبّهتني. فقال لها: ارجعي إلى أمك، وتكلم الناس فيها، فقال لها أبوها: يا بنية! إن الناس قد أكثروا فيك، فأنبئيني، فإن يكن الرجل عليك صادقاً دسست عليه من يقتله فتنقطع عنك المقالة، وإن يكن كاذباً حاكمته إلى بعض كهان اليمن. فقالت: لا والله ما هو عليّ بصادق. فقال له يا فاكه، إنك قد رميت بنتي بأمر عظيم، فحاكمني إلى بعض كهان اليمن. فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم وخرج عتبة في جماعة من عبد مناف ومعهم هند ونسوة. فلما شارفوا البلاد وقالوا: غداً نرد على الرجل فتنكرت حال هند. فقال لها عتبة: إني أرى ما حل بك من تنكر الحال، وما ذاك إلا لمكروهٍ عندك. فقالت لا والله يا أبتاه ما ذاك لمكروه،

---

(١) الاستيعاب (ج٤/٤٠٩)، تاريخ الاسلام (ج٣/٢٩٨)، الاصابة (ج٤/٤٠٩).
(٢) أخبار النساء في الأغاني لأبي فرج الأصفهاني (ص٣٨٤).

ولكني أعرف أنكم تأتون بشراً يخطىء ويصيب ولا آمنه أن يسمني ميسماً يكون عليّ سبّةً. فقال لها: إني سوف أختبره لك، فصفر بفرسه حتى أدلى[1]، ثم أدخل في إحليله حبّة بُرّ وأوكأ عليها بسير.

فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم. فلما قعدوا قال له عتبة: جئناك في أمر وقد خبأت لك خبئاً أختبرك به فانظر ما هو؟. قال: ثمرة في كمرة[2]. قال: إني أريد أبْيَنَ من هذا... قال: حبة بُرّ في إحليل مهر. قال: صدقت انظر في أمر هؤلاء النسوة. فجعل يدنو من إحداهن فيضرب بيده على كتفها ويقول: انهضي، حتى دنا من هند فقال لها: انهضي غير رسحاء[3] ولا زانية، ولتلدنّ ملكاً يقال له معاوية. فنهض إليها الفاكه فأخذ بيدها فنثرت يدها من يده وقالت: إليك عني! فوالله لأحرص أن يكون ذلك من غيرك.

وقد[4] أوصت والدها قائلة: إني امرأة قد ملكتُ أمري فلا تزوجني رجلاً حتى تعرضه عليَّ، قال: لك ذلك. فقال لها ذات يوم: إنه قد خطبك رجلان من قومك، ولست مسمياً لك واحداً منهما حتى أصفه لك أما الأول: ففي الشرف الصميم، والحسب الكريم، تخالين به هوجاً من غفلته، وذلك إسجاح[5] من شيمته حسن الصحابة، سريع الإجابة إن تابعته تبعك، وإن ملت كان معك، تقضين عليه في ماله، وتكتفين برأيك عن مشورته. أما الآخر: ففي الحسب الحسيب، والرأي الأريب: بدرٌ أرومته، وعزُّ عشيرته، يؤدِّب أهله ولا يؤدِّبونه، إن اتبعوه أسهل بهم، وإن جانبوه توعر عليهم، شديد الغيرة، سريع الطيرة، صعب حجاب القبة؛ إن حاج

---

(١) أدلى الفرس: أخرج جرذانه ليبول أو يضرب (ينزو).
(٢) الكمرة: رأس الذكر، يقابلها الحشفة عند ذكر الإنسان.
(٣) المرأة الرسحاء: الخفيفة العجيزة (المؤخرة).
(٤) الأمالي للقالي: (ج٢/ ١٠٤، ١٠٥).
(٥) الاسجاح: السهولة.

فغير مغرور، وإن نوزع فغير مقهور، وقد بينت لك. فقالت هند: أما الأول، فسيد مضياع لكريمته، مُوَاتٍ لها فيما عسى أن تعتص أن تلين بعد إبائها وتضيع تحت خبائها، إن جاءته بولدٍ أحمقت، وإن أنجبت فعن خطأ ما أنجبت، أُطو ذكر هذا عني ولا تسمِّه لي. أما الآخر: فبعل الحرة الكريمة، إني لأخلاق هذا لوامقةٌ، وإني له لموافقة، وإني لآخذهُ بأدب البعل مع لزومي قبتي وقلة تلفتي، وإن السليل بيني وبينه لحري أن يكون المدافع عن حريم عشيرته، الذائد عن كتيبتها، المحامي عن حقيقتها، المثبت لأرومتها، غير مواكلٍ ولا زميل عند صعصعة الحروب[1].

قال: ذاك أبو سفيان بن حرب؟! قالت: فزوجه، ولا تلقِ إلقاء السَّلس، ولا تسمه سوم الضَّرِس، ثم استخر الله في السماء، يخر لك في القضاء. فتزوجت من أبي سفيان، وكانت تهوى مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس[2] ويهواها وعندما علم بزواجها من أبي سفيان مات مسافر أسفاً عليها فكان أحد من قتله العشق.

أما عن أخبارها مع الدين الجديد ومع رسول الله ﷺ. فقد كانت رحلة طويلة، عشرون عاماً لم يدخل نور الإسلام إلى قلبها ولم تعرف طريق الحق بل قضتها في المبالغة بعداوتها لرسول الله ﷺ وللإسلام والمسلمين، وليس ذلك فقط بل كانت تبذل جلَّ مالها لتصد عن سبيل الله تعالى، وهي تنسج للإسلام الحيل والخداع والغدر، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن أهدر دمها مع من أهدر دماءهم يوم فتح مكة، وأمر بقتلهم ولو وجدوا تحت أستار الكعبة ولما كانت وقعة بدر، خرج ممن خرج من جيش المشركين من أقرباء هند: أبوها وأخوها وعمها وزوجها، وكان في جيش المسلمين أخوها أبو حذيفة بن عتبة ـ رضي الله عنه ـ ولهذا الرجل موقف عظيم حيث دعا أباه إلى المبارزة فأنشدت هند أخته (وكانت من ذوات

---

(١) الزّمّل والزّميل: الجبان الضيف. والصعصعة: الاضطراب.

(٢) كان مسافر بن أبي عمرو من أجمل فتيان قريش جمالاً وشعراً وسخاء.

الشعر الجيد وأكثر ما عرف من شعرها مراثيها لقتلى (بدر) من مشركي قريش قبل أن تسلم) قائلة:

الأحْولُ الأثْعَل المذمومُ طائره ... أبو حذيفة شرُّ النَّاس في الدِّين
أما شكرْتَ أباً ربَّاكَ مِنْ صغرٍ ... حتى شببت شباباً غير محجونِ[1]

ومنذ ابتداء المعركة قضي على والدها وعمها وأخيها أما زوجها فكان هارباً مع من هرب من المشركين المنهزمين[2] وأسفرت معركة بدر عن انتصار كبير لجيش المسلمين، وهزيمة كبرى للمشركين فأخذت نساء المشركين يندبن ويبكين وينحن حول قتلاهم إلا هند بنت عتبة وقفت صامتة فقالت بعض النسوة: ألا تبكين على أبيك وعمك وأخيك وأهل بيتك؟. فأجابتهم: أنا إن بكيت وبلغ الأمر محمداً وصحبه فسيشمتون بنا والله لسوف أثأر منهم ويحرم عليَّ الدهن، والقرب من فراش أبي سفيان حتى يتحقق لي ذلك.

وقالت في رثاء أبيها عتبة الذي قتل يوم بدر:

أعينيَّ جُودَا بدمعٍ سَرِبْ ... علَى خيْرِ خِنْدِفَ إذ ينقلب[3]
تداعى له رَهْطُهُ غُدْوَةً ... بَنُو هاشِمٍ وبَنُو المطَّلب
يذيقُونَهُ حدَّ أسيافهِمْ ... يَعُلُّونه[4] بعدَما قَدْ عَطِبْ
يجُرُّونه وعَفِيرُ التُّرابِ ... على وجهِهِ عارياً قَدْ سُلِبْ
وكان لنا جَبَلاً راسِياً ... جَميلَ المراةِ كثيرَ العُشُب[5]

---

(١) سير أعلام النبلاء (ج١/١٦٦)، الأثقل: مرادف الأسنان، المحجون: يقال حجن العود: العطفة، والمحجن: العصا المعوجة.
(٢) والواقع أن أبا سفيان لم يشارك أصلاً في المعركة إذ كان على عير قريش وتجارتها ونجابها عندما غيّر طريقه قادماً مكة.. راجع سيرة ابن هشام..
(٣) (سيرة ابن هشام): (ج٢/٣٨). وخندف: قبيلة سميت باسم امرأة الياس بن مضر بن نزار.
(٤) قد وردت (يعلونه) في شاعرات العرب (يفلّونه).
(٥) جميل المرأة: أرادت مرآة العين، فنقلت حركة الهمزة إلى الساكن فذهبت الهمزة.

وأمَّـــا بُـــرَيٌّ فلـــمْ أَغْنِـــهِ فأوتي مِنْ خير ما يحتسب[1]

وقالت تبكي أباها وتهدد خصومها:

يــــا عَيْـــنُ بكـــي عُتُبَـــهْ شيخـــاً شـــديـــد الـــرَّقَبَـــهْ[2]
يطعِـــمُ يـــومَ المَسْغَبَـــةْ يَـــدْفَـــعُ يـــومَ المَقْلَبَـــهْ[3]
إنّـــي عَلَيـــه حَـــرِبَـــهْ مَلهـــوفَـــةٌ مُسْتَلَبَـــهْ[4]
لنهبطـــنَّ يَثْـــرِبَـــهْ بغـــارةٍ منثعبـــهْ[5]
فيهـــا الخيـــولُ مُقْـــرِبَـــةْ كُـــلُّ جَـــوَاد سَلْهَبَـــهْ[6]

وقالت ترثي رجالها من قتلى «بدر»:

يـريـب علينـا دَهْـرنـا فَيَسُـؤُنـا ويَأبَى فَما نأتي بشيءٍ يُغالِبُهْ[7]
أبَعْـدَ قَتيـلٍ مـن لُـؤيٍّ بـن غـالـبٍ يُراعُ امرؤٌ إن ماتَ أو ماتَ صَاحِبُهْ
ألا رُبَّ يـــومٍ رُزِئـــتُ مُـــرَزَّأً تـرُوحُ وتَغْـدُ بـالجزيـل مـواهِبُهْ[8]
فـأبلـغْ أبـا سُفيـانَ عنـي مـالُكـاً فإنْ ألقَـهُ يـومـاً فسـوفَ أُعـاتِبُهْ[9]
فقد كانَ حَرْبٌ يُسعرُ الحربَ إنَّهُ لِكُلِّ امرىءٍ في الناسِ مولىً يُطالِبُهْ[10]

---

(١) تريد «ببري» البراء، وهو رجل، فصغرته، وقد وردت في أعلام النساء بدل وأما «فأما».
(٢) عتبة، أرادت: عتبة، (بإسكان التاء) إلا أنها أتبعتها للعين.
(٣) المسغبة: الجوع.
(٤) حربة: حزينة غضبى. مستلبة: مأخوذة العقل. وقال السهيلي في «الروض الأنف»: الأجود أن تكون «مستلبة» بكسر اللام من السلاب وهي الخرقة السوداء التي تختمر بها الثكلى.
(٥) منثعبة أي: سائلة بسرعة يقال: انبعث الماء: إذا سال. ويروى (منشعبة) أي متفرقة.
(٦) المقرب من الخيل: كل الذي يقرب من البيوت لكرمه، والسهلبة، الفرس الطويلة.
(٧) سيرة ابن هشام: (ج٢/ ٣٩).
(٨) المرزأ: الكريم الذي يرزؤه القاصدون الأضياف، أو ينقصون من ماله.
(٩) المالك: جمع مألكة، وهي الرسالة التي تبلغ باللسان.
(١٠) حرب: هو والد أبي سفيان. يسعر: يهيج.

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكر تلك الأبيات أن تكون لهند.

قال ابن إسحاق: وقالت هند أيضاً:

لله عَينـــا مَـــنْ رأى هُلكـاً كهُلـكِ رِجَـاليـهْ[1]
يـا رُبَّ بـاكٍ لـي غـداً فـي النَّـائبـاتِ وبـاكِيـهْ
كـم غـادَرُوا يَـوْمَ القليـ ـبِ غـداةَ تِلْـكَ الـواعِيَـه[2]
مـن كُـلِّ غيـثٍ فـي السِّنِـ ـين إذ الكـواكِـبُ خَـاويـهْ[3]
قـد كُنْـتُ أَحْـذَرُ مـا أرى فـاليـومَ حُـقَّ حَـذَارِيَـهْ
قـد كُنْـتُ أَحْـذَرُ مـا أرى فـأنـا الغـداة مُـواميـه[4]
يـا رُبَّ قـائلـةٍ غـداً يـا وَيْـحِ أُمِّ مُعـاوِيـهْ

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لهند.

وعندما بلغها تسويمُ[5] الخنساء هودجَها في الموسم ومعاظمتها العرب مصيبتها بأبيها وأخويها، وأنها تقول: أنا أعظم العرب مصيبة، وقد أصيبت هند بما أصيبت به، فقالت: أنا أعظم من الخنساء مصيبةً، وبعد حوار جرى بين الخنساء وهند أوردنا ذكره في أخبار الخنساء، أنشدت الخنساء فأجابتها هند قائلة:

---

(١) سيرة ابن هشام: (ج٢/٣٩).
(٢) الواعية: الصراخ، وتعني هنا الحرب.
(٣) إذ الكواكب خاوية تعني بقولها: أنها تسقط في مغربها عند الفجر، ولا يكون معها أثر ولا مطر على مذهب العرب في نسبتهم ذلك إلى النجوم.
(٤) مواميه، قال أبو ذر: «أي مختلطة العقل» وقال السهيلي: «مواميه، أي ذليلة. وهي مؤاميه، بهمزة، ولكنها سهلت فصارت واواً هي من لفظ الأمة. تقول: تأميت أمة أي اتخذتها. ويجوز أن تكون من المواءمة، وهي الموافقة، فيكون الأصل: موائمة، ثم قُلبَ فصار موامية، على وزن مفاعلة تريد أنها قد ذلت فلا تأبى، بل توافق العدو على كره.».
(٥) تسوم فلان: اتخذ سمة ليعرف بها.

أُبَكّي عَمِيدَ الأبطحيـن[1] كليهمـا وحاميهما من كل باغ يُريدها
أبي عُتبةَ الخيرات ويْحَكِ فاعلمي وشيبة والحامي الذِّمارِ[2] وليدُها
أولئك آلُ المَجْد من آلِ غالبِ وفي العزِّ منها حين ينمي عديدُها[3]

وعلى الرغم من عظيم مصيبتها وشديد كراهيتها لرسول الله ﷺ وصحبه، إلا أنها لم تتخلّ عن شيمها العربية ومروءتها، فعندما علمت بعزم زينب بنت رسول الله ﷺ على الهجرة إلى المدينة المنورة، ذهبت إليها وعرضت عليها المساعدة حافظة بذلك عهد القرابة، فقالت لها: يا ابنة محمد، بلغني عزمك على الرحيل، لكن زينب أنكرت ذلك فأخفت خبر هجرتها عن هند، فقالت لها هند: لا تكذبيني فإن ما بين الرجال لا يتعداهم إلى النساء[4]، فإنْ أحوجك معونة من مال أو عمل، فإنَّ أولى بإسعادك ابنةَ عمك ـ أي عن نفسها ـ ولما خرجت زينب تعرضت لها قريش في هجرتها، وعندما علمت هند ذلك خرجت تؤنبهم وتهجوهم، قائلة:

أفي السّلم أعياراً جفاءً وغلظةً وفي الحربِ أشباه النِّساء العوارك[5]

وإن كانت هند لم تنس عهد القرابة، فهي أيضاً لا تنسى ثأرها لأبيها وعمها، وأخيها من رسول الله ﷺ والمسلمين. فلم يهدأ لها بال حتى كانت وقعة أحد وقد تولاها زوجها أبو سفيان، وأصرت النسوة على المشاركة بالمعركة لما في قلوبهن من حقد وغل، أما هند فقد جهزت وحشيّ الحبشي الذي أغرته بالمال والذهب على قتل حمزة عم رسول الله ﷺ

---

(١) عميد الأبطحين: سيد بطحاء مكة وبطحاء تهامة، وأبطحها: الاراضي المستوفية فيها ومنها مِنى، ويقولون قريش البطحاء لمن ينزل الشعب بين أخشبي مكة وقريش الظواهر لمن ينزل خارج الشعب، ويعتبرون قريش البطاح أكرمها.
(٢) حامي الذمار: حامي العهود وكل ما يذاد عنه ويدافع.
(٣) ينمي: ينسب، عديدها: جموعها.
(٤) أي ما بين الرجال من العداوة القائمة، لا شأن لنا بها نحن النساء.
(٥) «السلم» الصلح. «الأعيار»: جمع عير، وهو الحمار. و«النساء العوارك»: النساء الحائضات.

وأخذن يضربن بالدفوف والطبول بين جيوش المشركين ويقلن وعلى رأسهن هند بنت عتبة:

نحـــن بنـــاتِ طـــارق نمشـــي علـــى النَّمـــارق
إنْ تقبلـــوا نعـــانـــق أو تُـــدبـــروا نفـــارق
فراق غير وامق

واحتدم القتال بين المسلمين والمشركين وكان النصر للمسلمين لولا مخالفة بعض الرماة أمر رسول الله ﷺ، حيث استغل المشركون تلك الفرصة لينقضوا على المسلمين وليفتكوا بهم، وكان ذلك انتقاماً لبدر، وقد بلغت هند قمة السرور والفرح ولم يكفها قتل حمزة ـ رضي الله عنه ـ بل انتزعت كبده ومثلت به وبالقتلى المسلمين هي والنسوة معها أبشع تمثيل ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها[1]:

نحـن جـزينـاكـم بيـوم بـدرِ والحـرب بعـد الحـرب ذات سعرِ
مـا كـان عـن عتبـةَ لـي مـن صبـر ولا أخـــي وعمّـــه وبكـــري
شفيـت صـدري[2] وقضيـت نـذري شفيـتَ وحشـيٌّ عليـل[3] صـدري

وقالت عند عودتها من أحد وقد انصرف المشركون وهم مسرورون:

رجعـتُ وفـي نفسـي بـلابـل جمـة وقد فاتني بعض الذي كان[4] مطلبي
من أصحاب بدرٍ من قريش وغيرهم بني هاشم منهم ومن أهل يثرب
ولكنّني قد نلتُ شيئاً ولم يكن كما كنت أرجو في مسيري ومركبي

وبقيت هند على هذه الحال إلى ليلة الفتح حيث أسلم زوجها أبو سفيان وقد حسن إسلامه وفي الليلة الثانية قالت هند لزوجها: إنما أريد أن أتابع محمداً. قال: قد رأيتك تكرهين هذا الحديث أمس. قالت: إني والله

---

(١) تاريخ الإسلام (ج٢/ ٢٥٠).
(٢) وردت في أعلام النساء لكحالة (ج٥/ ٢٤٥) «نفسي».
(٣) وردت في أعلام النساء لكحالة (ج٥/ ٢٤٥) «غليل».
(٤) البلابل: الأحزان، وجمة: كثيرة.

ما رأيت أن عُبِدَ الله حقَّ عبادته في هذا المسجد قبل الليلة، والله إنْ يأتوا إلا مصلِّين قياماً وركوعاً وسجوداً. قال: فإنك قد فعلت ما فعلت فاذهبي برجل من قومك. فذهبت مع عثمان وفي رواية أنها ذهبت مع عمر، ومعها نسوة ممن أسلمن فذهب فاستأذن لها، فدخلتْ متنقبة متنكرة فقالت: يا رسول الله!! الحمد لله الذي أظهر الدين الذي اختاره لنفسه!! لتنفعني رحمتك!؟ يا محمد إني امرأة مؤمنة بالله مصدقةٌ لرسوله!! ثم كشفت عن نقابها وقالت: أنا هند بنت عتبة؟ فقال رسول الله ﷺ: «مرحباً بك»!. فقالت: والله ما كان على الأرض أهل خباء أحبَّ إليَّ من أن يذلوا من خبائك، ولقد أصبحت وما على الأرض أهل خباءٍ أحب إليّ من أن يعزُّوا من خبائك!!... فقال رسول الله ﷺ: «وزيادة»!؟. وقرأ عليهن القرآن.. وبايعهنَّ.. فقال: «تبايعنني على أن لا تشركن بالله شيئاً». فقالت هند: والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما تأخذه على الرجال وسنؤتيكه. قال: «ولا تسرقن». قالت: والله إن كنت لأصيب من مال أبي سفيان الهنة والهنة، وما أدري أكان ذلك حلالاً لي أم لا. فقال لها أبو سفيان: أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حل، فقال رسول الله ﷺ «وإنك لهند بنت عتبة». فقالت: أنا هند بنت عتبة فاعفُ عما سلف عفا الله عنك.

قال: «ولا تزنين». قالت: يا رسول الله هل تزني الحرّة[1]؟!.

قال: «ولا تقتلن أولادكن»، قالت: قد ربيناهم صغاراً، وقتلتهم يوم بدر كباراً فأنت وهم أعلم. فضحك عمر بن الخطاب حتى استغرب[2]، قال: «ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن». قالت: والله إن إتيان البهتان لقبيح ولبعض التّجاوز أمثل. قال: «ولا تعصينني في

---

(١) وكان لاستغراب هند في ذلك أنه قد عُرف أن الإماء هن اللاتي كن يعرفن بالبغاء، وفيهن وفي ساداتهن أنزل الله تعالى: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً﴾ (النور: ٣٣٣).

(٢) أي: بالغ في الضحك.

معروف». قالت: ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك في معروف!؟. وأقر رسول الله ﷺ على نكاح أبي سفيان وهند.

وبدخول نور الإسلام إلى قلب هند بنت عتبة أزاح منه الحقد والغل وطهرها من كل وحشة وضغينة ففازت برضوان الله تعالى لتكون من نصرة دين الله ورسوله الكريم ﷺ، وعادت إلى منزلها لتضرب صنماً كان فيه بالقدوم، حتى فلذته فلذة فلذة، وهي تقول: كنا منك في غرر[(١)].

لقد أسلمت هند وحسن إسلامها، وازدادت شيمها العربية حسناً وكرماً، فبعد أن أسلمت أرسلت بهدية مع مولاة لها إلى النبي ﷺ فدعا لها قائلاً: «بارك الله لكم في غنمكم وأكثر والدتها». فقالت المولاة: لقد رأينا من كثرة غنمنا ووالدتها ما لم نكن نرى قبل ولا قريب، أما هند فقالت: هذا دعاء رسول الله ﷺ وبركته فالحمد لله الذي هدانا للإسلام، ثم تقول: لقد كنت أرى في النوم، أني في الشمس أبداً قائمة، والظل مني ولا أقدر عليه، فلما دنا رسول الله ﷺ مني رأيت وكأني دخلت الظل.

لقد تمتعت هند كما ذكرنا بالفصاحة ورجاحة العقل وقوة التفكير والحزم في الرأي ولهذا وصفها ابن الأثير رحمه الله تعالى بقوله: كانت امرأة لها نفس وأنفةٌ ورأي وعقل، أما ما قالته هي في المرأة: إنما النساء أغلال فليتخذ الرجل غلاً ليده، وقالت: المرأة غلٌّ ولا بدَّ للعتقِ منه، فانظر من تضعه في عنقك[(٢)].

وهندٌ كانت أم الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، وقد رؤي ابنها معاوية معها وكان صغيراً، فقيل لها: إن عاش ساد قومه، فقالت: ثكلته إن لم يسد إلا قومه! ورآها رجل من الأعراب فقال لها: يا ظعينة شدي يديك بهذا الغلام فإنه سيد كرام وَصُول أرحام فقالت هند: بل ملك همام، كبار

---

(١) الطبقات لابن سعد(ج٨/ ١٣٧).
(٢) الاعلام (ج٨/ ١٣٧).

عظام ضروب هام ومفيض أنعام.

ووصفت ابنها معاوية وهي ترقصه:

إنَّ بُنَــيَّ مُعْــرِقٌ كــريــمْ   مُحبَّــبٌ فــي أهلِــهِ حَليــمْ
ليــسَ بفحّــاشٍ ولا لئيــمْ   ولا بِطُخــرُور ولا سَــؤومْ[1]
صخــرُ بنــي فهــرٍ بــه زَعيــمْ   لا يُخلفُ الظَّنَّ ولا يَخيمْ[2]

وما كان معاوية إلا رجلاً قد ورث عن أمه هند الشهامة والحزم والأنفة وهو بذلك فخور فإذا ما نوديَ في سجال الفخر قال: أنا ابنُ هند.

وقد وصفها معاوية رضي الله عنه فقال: أما هند: فكانت امرأة من قريش في الجاهلية عظيمة الخطر، وفي الإسلام كريمة الخبر.

كانت هند بنت عتبة تحترم سيدنا عمر رضي الله عنه وتجله وتكرمه وفي عهده ولى عمر ابنها معاوية رضي الله عنهما، الشام فقالت هند لمعاوية:

والله يا بني إنه لقلَّ ما ولدت حرة مثلك وقد استنهضك هذا الرجل فاعمل بموافقته أحببت ذلك أم كرهته.

وعن مصعب بن عثمان قال: قالت هند بنت عتبة حين أتى نعي يزيد بن أبي سفيان وكان عمر قد ولاه على الشام قبل معاوية، وقد قال لها بعض المعزين عنه: إنا لنرجو أن يكون في معاوية خلف منه، قالت: أومثل معاوية يكون خلفاً من أحد، والله لو جمعت العرب من أقطارها ثم رمى به فيها لخرج من أيها شاء.

لقد عَمَلتْ هند بزمن عمر بن الخطاب بالتجارة وكان قد أقرضها من بيت المال أربعة آلاف تتجر فيها ولما عادت إلى المدينة وقد باعت شكت الوضيعه، فقال لها عمر: لو كان مالي لتركته لك ولكنه مال المسلمين

---

(١) الطخرور: الرجل لا يكون جلداً أو لا كثيفاً، والطخرور: الغريب.
(٢) خام: جبن ونكص.

وهذه مشورة لم يغب عنها أبو سفيان فبعث إليه فحبسه حتى وفته.

لم تشارك هند الغزوات وهي مشركة فقط، بل وبعد أن أسلمت أبلت في بعض الغزوات بلاءً حسناً، فها هي تشارك بمعركة اليرموك وتحرض جيوش المسلمين على قتال الروم، فجعلت تقول: عضدوا الغلفان بسيوفكم يا معشر المسلمين.

وقد ذكر أنها روت عن النبي ﷺ وروى عنها ابنها معاوية وعائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنهما ـ، ومن مروياتها أنها قالت:

قلت للنبي ﷺ: إنَّ أبا سفيان شحيح وإنَّه لا يعطيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، فهل عليَّ من حرجٍ؟ قال: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف[1]».

توفيت هند بنت عتبة في خلافة عمر بن الخطاب في اليوم الذي مات فيه أبو قحافة والد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، سنة (١٤هـ) بعد أن أدت للإسلام خدمات عظمى وتركت آثاراً كريمة رضي الله عنك يا هند وليرحمك الله.

* * *

(١) الحديث رواه الخمسة إلا الترمذي، انظر المسند: (ج٦/ ٣٩)، والطبقات (ج٨/ ٢٣٨).

أزدة بنت الحارث

هي أزدة بنت الحارث بن كلدة، مجاهدة خاضت ساحات الوغى، بكل بسالة، ورباطة جأش وفازت بالنصر المبين على الأعداء.

قال[١]: أحمد بن الحارث عن المدائني أنه قال: أجمع أهل ميسان[٢] للمسلمين وعليهم الفليكان، فلقيهم المغيرة بن شعبة بالمرغاب، فقالت أزدة بنت الحارث بن كلدة للنساء: إن رجالنا في نحر العدو[٣]، ونحن خلوف ولا آمن أن يخالفوا إلينا وليس عندنا من يمنعنا[٤]، وأخرى أخاف أن يكثر العدو على المسلمين فيهزمونهم فلو خرجنا[٥] لأمنا مما نخاف من مخالفة العدو إلينا ويظن المشركون أنا عدد ومدد أتى المسلمين فيكسرهم، ذلك وهي مكيدة، فأجبنها إلى ما رأت. فاعتقدت لواءً من خمارها واتخذت النساء رايات من خمرهن وأمضين رأيهن ومضين وهي أمامهن تقول: يا ناصر الإسلام صفاً بعد صف، إن تهزموا وتدبروا عنا نخف[٦]، أو يغلبوكم يغمزوا فينا القلف[٧]، قال: فلما رأى العدو تلك الرايات قالوا: هذا عدد ومدد أتى العرب نجدة لهم فانهزموا منهم.

وفي رواية: أن أزدة كانت عند عتبة بن غزوان فلما استعمل عمر عتبة

---

(١) بلاغات النساء لطيفور: (ص١٢٦).
(٢) ميسان: كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسطة.
(٣) أي في وسطه.
(٤) يحفظنا.
(٥) أي يخرجن من أخبيتهن خروجاً يوهم العدو أنهن مدد أتى جيش المسلمين.
(٦) من انخف كثر صوت نخيفه ـ والنخف: النفس العالي.
(٧) القلف: من السيوف ما في طرف ظبته تخريز وله واحد.

قدم معه نافع وأبو بكرة وزياد. ثم إن عتبة قاتل أهل مدينة الفرات، فجعلت امرأته أزدة تحرض الناس على القتال، وهي تقول: (إن يهزموكم يولجوا فينا القلف).

ففتح الله على المسلمين تلك المدينة.

* * *

أسماء بنت أبي بكر الصديق

هي أسماء بنت أبي بكر عبدالله بن أبي قحافة عثمان أمُّ عبدالله، القرشية التيمية، المولودة في مكة قبل الهجرة النبوية بسبعٍ وعشرين سنة والدها الصحابي الجليل أبو بكر الصديق، ـ رضي الله عنه ـ وهو أول الصحابة إسلاماً، وأول المبشرين بالجنة، أمها هي قتيلة بنت عبد العزى العامرية القرشية، وأخوها هو عبدالله بن أبي بكر، وأما عائشة أم المؤمنين، فهي أختها لأبيها.

لقد حظيت أسماء ـ رضي الله عنها ـ بالإسلام بمكة وعمرها آنذاك خمسة عشر سنة وكان لم يدخل بالإسلام إلا سبعة عشر شخصاً.

إذاً عاشت أسماء مراحل البعثة النبوية منذ بدايتها وعاصرت أحداثها، وعانت آلامها، كما أنها بايعت رسول الله ﷺ على يد والدها الصديق الذي كان الداعية الأكبر بعد رسول الله ﷺ والتي شاركته في الدعوة إلى الله عزوجل ونصرة نبيه الكريم فنالت بذلك مكاناً مرموقاً بين النساء المسلمات ويكفي أن تحظى على ذلك أن صهرها أفضل الخلق حبيبنا المصطفى محمد ﷺ، وقد قيل: لم يوجد في أحد من الصحابة ثلاثة كلهم رأوا النبي ﷺ بعضهم ولد بعض إلا في بيت أبي بكر، فهي (أي أسماء) وأبوها (أبو بكر الصديق) ـ رضي الله عنه ـ وابنها (عبدالله بن الزبير) ثلاثتهم صحابيون[١] ـ رضي الله عنهم ـ تزوجت أسماء بمكة من الزبير بن العوام وكان فقير الحال ومن قولها[٢]: تزوجني الزبير وماله في الأرض مال ولا مملوك،

(١) انظر سير أعلام النبلاء (ج٢/ ٢٨٨)، والرياض النضرة.

(٢) الإصابة: لابن حجر (١٢/ ١١٤).

ولا شيء له غير فرسه فكنت أعلف فرسه، وأكفيه مؤنته وأسوسه وأدق لناضحه[1]، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير، وأدق النوى، وأعجن، ولم أكن أحْسِنُ أخبز، فكان يخبز جاراتٌ لي من الأنصار، وكن نسوة صدقٍ.

قالت: وكنت أنقلُ النوى من أرض الزبير التي أقطعه إياها رسول الله ﷺ على رأسي، وهي على ثلثي فرسخٍ.

لقد عانت أسماء وأهلها من المشركين الأذى والاضطهاد كما عانى رسول الله ﷺ منهم متحملين صابرين، منتظرين الفرج من عند الله عزوجل دون يأس أو قنوت من رحمته تعالى إلى أن أذن الله تعالى لنبيه الكريم بالهجرة، فما أن علم رسول الله ﷺ بذلك، حتى ذهب إلى الثقاة من أهله وحفظة سره، فلم يعلم بأمر الهجرة إلا أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وابنتاه أسماء وعائشة، وعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم ـ أولئك هم ثقة رسول الله ﷺ.

وهذا حديث هجرته ﷺ ترويه لنا عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ فتقول: كان لا يخطىء رسولُ الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار، إما بكرةً، وإما عشيةً، حتى إذا كان اليوم الذي أُذِنَ فيه لرسول الله ﷺ في الهجرة، والخروج من مكة من بين ظهري قومه، أتانا رسول الله ﷺ بالهجرة، في ساعة كان لا يأتي فيها؟ فلما رآه أبو بكر، قال: ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلا لأمر حدث. فلما دخل ﷺ، تأخر له أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله ﷺ، وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة» فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله؟ قال ﷺ: «الصحبة»[2]. وسار ﷺ وصاحبه إلى غارٍ بجبل ثور، إخفاء لأمرهما وهنا تكفلت أسماء

---

(١) الناضح: الدابة التي ينضح عليها الماء من البئر.
(٢) السيرة النبوية: لابن هشام (ج١/ ٤٨٤ـ٤٨٥).

هذه الفتاة الشجاعة إلى قطع الأميال الطويلة في جوف الليل محتمية بربها العظيم متحدية بدينها السليم مخاوف الطريق ومصاعبه لتصل بالزاد والأخبار إلى رسول الله ﷺ وأبيها أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ إلى أن جاء موعد الرحيل إلى المدينة، فذهبت أسماء بزاد السفر كله وعندما أرادت أن تعلق سفرة[1] الزاد، لم تجد ما تعصم به إلا نطاقها[2] الذي عمدت إلى شقه نصفين فجعلت الأول معلاقاً[3] للسفرة، والثاني عصاماً[4] لقربة الماء، ولأجل هذا حظيت أسماء بلقب من رسول الله ﷺ بـ«ذات النطاقين» وقال الزبير إن رسول الله ﷺ قال لها وقتها: «أبدلك الله عز وجل بنطاقك هذا نطاقين في الجنة» فقيل لها: «ذات النطاقين».

لم تسلم أسماء من أذى المشركين بعد هجرة أبيها بل لاقت الأذى والعذاب منهم، قال ابن إسحاق: قالت أسماء بنت أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنها ـ: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ، أتانا نفرٌ من قريش، فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت إليهم، فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قلتُ: لا أدري والله أين هو؟ قالت: فرفع أبو جهل يده، وكان فاحشاً خبيثاً، فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي[5].

لم يرأف هذا الفاحش بحال تلك المرأة رغم أنها حامل بولدها «عبدالله بن الزبير» بل ضربها ونالت الأذى والاضطهاد، ولكن كل هذا لم يزد في قلبها المحب المعطاء إلا إيماناً وعزيمة وثباتاً وقد صدق أبو نعيم حين وصفها بقوله: الصادقة، الذاكرة، الصابرة الشاكرة أسماء بنت الصديق

---

(١) السفرة في الأصل: طعام يتخذه المسافر، وقد أطلق مجازاً على قطعة من جلد يحمل المسافر فيها طعامه أو يبسطها ليأكل عليها.

(٢) كان الانتطاق من عادة النساء العربيات.

(٣) المعلاق: ما يعلق به الإناء أو الوعاء.

(٤) العصام: عصام القربة: حبل أو ما اشبهه تشد به.

(٥) السيرة النبوية: لابن هشام (ج١/ ٤٨٧).

الشاقة نطاقها، لمعصم قربة النبي ﷺ وعلاقها[1].

وإضافة إلى ذلك فقد اتصفت بحكمة بالغة ورجاحة عقل وقد ظهر هذا حين قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر معه احتمل أبو بكر ماله كله، ومعه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف، فانطلق بها معه، قالت: فدخل جدي أبو قحافة، وقد ذهب بصره، فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه!!؟ قلت: كلا يا أبتِ إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً!؟ قالت: فأخذت أحجاراً فوضعتها في كوةٍ في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوباً. ثم أخذت بيده، فقلت: يا أبتِ!! ضع يدك على هذا المال!! قالت: فوضع يده عليه، فقال: لا بأس! إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن!! وفي هذا بلاغ لكم! ولا والله ما ترك لنا شيئاً، ولكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك[2]!!

ولما استقر رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق، بعثا بإحضار أهلهما، وتمت هجرة أسماء رضي الله عنها. إلى المدينة لتستقبل هناك المولود الأول من المهاجرين، فقد أنجبت أسماء في دار الهجرة ولدها عبدالله بن الزبير الذي أذن جده أبو بكر في أذنيه، وحنكه رسول الله ﷺ. فرحت أسماء بولدها كثيراً على الرغم من معاناتها الشديدة مع زوجها فقد كان صعباً عليها غيوراً فشكت ذلك إلى ابيها فقال لها: يا بنية اصبري فإن المرأة إذا كان لها زوج صالح ثم مات عنها فلم تزوج بعده جمع بينهما في الجنة[3]، وجاءت أسماء النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله: ليس في بيتي

---

(١) أبو نعيم: الحافظ الكبير، محدث العصر، أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني الشافعي الصوفي صنف كتباً مشهورة منها. حلية الاولياء (ج٢/ ٥٥)، دلائل النبوة، معرفة الصحابة، وصفة الجنة، والطب، وتاريخ أصبهان والمستخرج على البخاري ومسلم، (طبقات الحفاظ للسيوطي ص٤٢٣)، ومعجم المؤلفين (ج١/ : ٢٨٢و٢٨٣).

(٢) السيرة النبوية: لابن هشام (ج١/ ٤٨٨).

(٣) الطبقات: لابن سعد (ج٨/ ٢٥٠،٢٥١)، السمط الثمين (ص٢٠٤).

شيء إلا ما أدخل علي الزبير، فهل علي جناح في أن أرضخ مما يدخل عليّ به؟ فقال: ارضخي بما استطعت ولا توكي فيوكى عليك[1]، فكانت امرأة سخية النفس.

وقد روت لنا أسماء فقالت: جئت يوماً والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه، فدعا لي، ثم قال: «إخ إخ» أي للبعير، ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت غيرة الزبير، وكان من أغير الناس، فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت فمضى، فجئت الزبير، فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعرفت غيرتك؟ فقال: والله لحملك النوى أشد عليَّ من ركوبك معه؟ قالت: حتى أرسل إليَّ أبو بكر بعد ذلك بخادمٍ فكفتني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني[2]!!..

وفي مرة نشب بينها وبين الزبير خلاف، فضربها الزبير، فصاحت بابنها عبدالله، فلما رآه أبوه قال: أمك طالق إن دخلت؟ فقال عبدالله: أتجعل أمي عرضة ليمينك؟ فدخل فخلصها منه. فبانت منه وفي رواية: أن عبدالله قال لأبيه: مثلي لا توطأ أمُّهُ؟ فطلقها الزبير[3]، وأقامت عند ولدها عبدالله معززة مكرمة. ورسول الله ﷺ يطمئن عليها ويدعو لها بدعواته المباركة وذلك أنها أصيبت بورم في عنقها، فجعل النبي ﷺ يمسحها ويقول: «اللهم عافها من فحشه وأذاه»[4] فشفيت بإذن الله تعالى. وكانت كلما مرضت تعتق كل مملوك لها وتقول لبناتها ولأهلها: انفقوا أو أنفقن وتصدقن ولا تنتظرن الفضل فإنكن إن انتظرتن الفضل لم تفضلن شيئاً وإن تصدقتن لم تجدن فقده، هكذا كانت أسماء شبيهة لأبيها الصديق لا تدخر شيئاً.

---

(١) الطبقات (ج٨/ ٢٥٢)، ومعنى الحديث: لاتدخري ماعندك وتمنعي ما في يديك فتقطع مادة الرزق عنك.
(٢) الطبقات: لابن سعد (ج٨/ ٢٥٠ـ٢٥١).
(٣) أسد الغابة: لابن الأثير (ج٥/ ٣٩٢).
(٤) الطبقات: لابن سعد (ج٨/ ٢٥١).

وقد وصف ابنها عبدالله جودها وكرمها فقال: ما رأيتُ امرأةً قط أجود من عائشة وأسماء، وجودهما مختلف، أما عائشة فكانت تجمع الشيء إلى الشيء، حتى إذا اجتمع عندها وضعته في مواضعه، وأما أسماء فكانت لا تدخر شيئاً لغد[1].

وإضافة إلى كرمها وجودها، فقد كانت تتجنب دائماً ما تراه يميل عن الحق حتى تسأل وتتأكد من الأمر فتعمل ما يرضي الله عز وجل باتباع الحق وقد أوردت كتب السيرة والتراجم عن أسماء ـ رضي الله عنها ـ قالت: اتتني أمي راغبة وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله ﷺ فسألت النبي ﷺ أأصلها؟ فأنزل الله تعالى: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين» فقال: «نعم صلي أمك»[2]، وقد أحضرت أمها معها بعض الهدايا لها فأبت أن تأخذها إلى أن تسأل رسول الله ﷺ في ذلك، فأجابها رسول الله ﷺ بأن تقبل الهدية وتصل الرحم لأن صلة الرحم تدخل صاحبها الجنة.

شهدت أسماء وقعة اليرموك مع زوجها الزبير وأبلت فيها بلاءً حسناً. واتخذت خنجراً زمن سعيد بن العاص في الفتنة فوضعتها تحت مرفقها.

فقيل لها: ما تصنعين بهذا؟ قالت: إن دخل عليَّ لص بعجت بطنه. وبزمن الخلفاء الراشدين كانت لأسماء المكانة المرموقة عندهم فقد كان سيدنا عمر رضي الله عنه، قد فرض للمهاجرات الأول ألفاً ألفاً ومنهن أسماء بنت أبي بكر، وأسماء بنت عميس، وأم عبدالله بن مسعود[3].

وقد امتازت أسماء بحسن تعبيرها للرؤيا فقد ذكر أن سعيد بن المسيب

---

(١) سير أعلام النبلاء (ج٢/ ٢٩٢) وصفوة الصفوة (ج٢/ ٥٨، ٥٩) والحديث أخرجه البخاري.

(٢) الحديث أخرجه بخاري ومسلم وأبو داوود وأحمد، انظر تفسير الماوردي (ج٢/ ٢٢٣) وأسباب النزول للواحدي (ص٣٤٩).

(٣) فتوح البلدان للبلاذري (ص٥٨٨).

ـ رحمه الله ـ كان من أعبر الناس للرؤيا، وأخذ ذلك عن أسماء بنت أبي بكر، وأخذته أسماء عن أبيها[1]، أما ما أخذته عن رسول الله ﷺ فهو الكثير من هدي رسول الله ﷺ في الاستشفاء من المرض، فقد روت لنا فاطمة بنت المنذر أن أسماء كانت إذا أتيت بالمرأة قد حُمَّتْ تدعو لها أخذتِ الماء فصبته بينها وبين جيبها وقالت: إن رسول الله ﷺ كان يأمرنا أن نبردها بالماء، فقال: «أبردوها بالماء فإنها من فيح جهنم»[2].

وعلى الرغم من صفات أسماء الرائعة، ونفسها الطاهرة وقلبها الحاضر، ومراقبتها لنفسها سراً وعلانية إلا أنها كانت تتهمها دائماً بالتقصير، قال ابن ملكيه: كانت أسماء تصدع فتضع يدها على رأسها وتقول: بذنبي وما يغفره الله أكثر[3].

إن وعي أسماء وفهمها لدينها ولكلام الله عز وجل جعلها فصيحة اللسان تتدبر معاني القرآن الكريم بوعي تام، فقد سألها مرة حفيدها عبدالله بن عروة فقال لها: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون إذا قرىء عليهم القرآن؟ قالت: كانوا كما نعتهم الله: تدمعُ أعينهم وتقشعر جلودهم. قال: فإنَّ ناساً إذا قرىء عليهم القرآن خرّ أحدهم مغشياً عليه، قالت: أعوذ بالله من الشيطان.

من هنا تتضح لنا شخصية أسماء ـ رضي الله عنها ـ في فهمها لمعاني القرآن الكريم، وتدبرها أحكامه، وقد قال الزبير زوجها: دخلت على أسماء وهي تصلي فسمعتها وهي تقرأ هذه الآية: ﴿فمنَّ الله علينا ووقانا

---

(١) طبقات ابن سعد (ج٦/ ١٢٤)، وسير أعلام النبلاء (ج٢/ ٢٩٣) وتهذيب الأسماء واللغات (ج٢/ ٣٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (ج١٠/ ١٧٤) في الطب، باب الحمة من فيح جهنم، ومسلم (٢٢١١) في السلام باب لكل داء ودواء، واستحباب التداوي (جيبها) هو ما يكون مفرجاً من الثوب كالكم والطوق.

(٣) سير أعلام النبلاء (ج٢/ ٢٩٠)، تهذيب الأسماء واللغات (ج٢/ ٣٢٩).

عذاب السموم﴾[1] فاستعاذت، فقمت وهي تستعيذ، فلما طال علي أتيت السوق ثم رجعت وهي في بكائها تستعيذ[2].

وكما كانت صلتها بكلام الله عز وجل وثيقة، فقد وثقت صلتها أيضاً بالحديث النبوي الشريف، فكانت حافظة راوية واعية، حيث روت ثمانية وخمسين حديثاً، اتفق لها البخاري ومسلم على ثلاثة عشر حديثاً، وانفرد البخاري بخمسة أحاديث، ومسلم بأربعة[3].

ومن مروياتها عن رسول الله ﷺ قوله: «إني على الحوض أنظر من يردُ عليَّ منكم»[4].

لقد كانت أسماء من النساء اللواتي يحرصن على التبرك بآثار رسول الله ﷺ ولهذا نجدها قد احتفظت بثوبه ففي الصحيح عن أسماء رضي الله عنها أنها أخرجت جبةً طيالسة فقالت: هذه جبة رسول الله ﷺ وكان يلبسها فنحن نغسلها للمرض يستشفى بها[5].

وقد تبركت أيضاً بماء زمزم.

ولننتقل بحديثنا عن أسماء العابدة الحافظة لكتاب الله عز وجل المراعية أحكامه وتعاليمه والراوية لحديث رسول الله ﷺ، المتبركة فيه، إلى أسماء ذات المنطق والبيان، الشاعرة الناثرة حيث قالت في زوجها الزبير لما قتله عمر بن جرموز المجاشعي بوادي السباع[6] وهو منصرف من وقعة الجمل:

---

(١) الطور: (٢٧).
(٢) الحلية (ج٢/ ٥٥)، والدر المنثور (ج٧/ ٦٣٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (ج٢/ ٢٩٦).
(٤) سير أعلام النبلاء (ج٢/ ٢٨٩).
(٥) رواه مسلم في (اللباس والزينة) والنسائي وابن ماجة وأحمد، وانظر الشفا (ج١/ ٤٦٣) وتاريخ الإسلام للذهبي (ج١/ ٥٠٣)، وزار المعاد (ج١/ ١٤٠)، والطبقات (ج١/ ٤٥٤).
(٦) وادي السباع: بينه وبن البصرة خمسة أميال.

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم الهياج وكان غير مُعرد[1]
يا عمرو لو نبهته لوجدته لا طائشاً رعش الجنان ولا اليد
ثكلتك أمك إن قتلت لمسلماً حلت عليك عقوبة المتعمد[2]

وقالت وهي ترقص ولدها عبدالله بن الزبير:

أبيض كالسيف الحسام الأبريق بين الحواري[3] وبين الصديق[4]
ظني به ورب ظن تحقيق والله أهل الفضل أهل التوفيق

وقالت لما قتل ابنها عبدالله بن الزبير:

ليس لله محرم بعد قوم قتلوا بين زمزم والمقام
قتلتهم جفاة عك ولخم وصداء وحمير وجذام

وقد حدث هشام بن عروة عن أبيه قال: دخلت أنا وعبدالله بن الزبير على أسماء قبل قتل ابن الزبير بعشر ليال وإنها وجعة. فقال عبدالله: كيف تجدينك؟ قالت وجعة. قال: إن في الموت لعافية، قالت: لعلك تشتهي موتي، فلذلك تتمناه، فلا تفعل.

فالتفت إليَّ عبدالله فضحكت، فقالت: والله ما أشتهي أن أموت حتى يأتي عليَّ أحد طرفيك: إما أن تقتل فأحتسبك، وإما أن تظفر فتقر عيني عليك، وإياك أن تعرض خطة لا توافق، فتقبلها كراهية الموت.

ودخل ابنُ الزبير[5] على أمه وحين رأى من الناس ما رأى من

---

(١) المعرد: المنهزم.
(٢) قيل: إن هذه الابيات لقائلتها عاتكة بنت زيد زوج الزبير.
(٣) الحواري: زوجها الزبير بن العوام، فقد كان الحواري رسول الله ﷺ.
(٤) الصديق: والدها أبو بكر الصديق رضي الله عنما.
(٥) عبد الله بن الزبير بن العوام، طلب الخلافة بعد موت يزيد بن معاوية، وبويع له في الحجاز والعراق واليمن، ومكث خليفة تسع سنوات، ثم حاصره الحجاج بمكة وقتل سنة ٧٣هـ، وهذه المحاورة كانت حين حاصر الحجاج ابن الزبير في مكة وحين خذل عبد الله أعوانه.

خذلانهم، فقال: يا أُمَّه، خذلني الناس حتى ولدي وأهلي، فلم يبق معي إلا اليسير ممن ليس عنده مع الدفع أكثر من صبر ساعة، والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك؟ فقالت: أنت والله يا بني أعلم بنفسك، إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض له، فقد قتل عليه أصحابك، ولا تمكن من رقبتك يتلعب بها غلمان بني أمية، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت! أهلكت نفسك وأهلتك من قُتل معك. وإن قلت: كنتُ على حق، فلما وهن أصحابي ضعفت، فهذا ليس فعل الأحرار، ولا أهل الدين وكم خلودك في الدنيا! القتل أحسن والله لضربةٌ بالسيف في عز أحبُّ إليَّ من ضربة بسوط في ذلٍّ، قال: إني أخاف إن قتلوني أن يمثلوا بي! قالت: يا بني إن الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها.

فدنا ابن الزبير، فقبل رأسها، وقال: هذا والله رأيي والذي قمت به داعياً إلى يومي هذا، ما ركنت إلى الدنيا، ولا أحببت الحياة فيها، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب أن الله تستحل حرمه، ولكني أحببت أن أعلم رأيك، فزدتني بصيرة مع بصيرتي، فانظري يا أمّه، فإني مقتول من يومي هذا، فلا يشتد حزنك، وسلمي لأمر الله، فإن ابنك لم يعتمد إتيان منكر ولا عملاً بفاحشةً، ولم يَجُرْ في حكم الله، ولم يغدر في أمان ولم يتعمد ظلم مسلم ولا مُعاهَد ولم يبلغني ظلمٌ عن أعمالي فرضيتُ به، بل أنكرته، ولم يكن شيءٌ آثر عندي من رضا ربي، اللهم إني لا أقول هذا تزكيةً مني لنفسي، أنتَ أعلم بي ولكني أقوله تعزيةً لأمي لتسلو عني، فقالت أمه: إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسناً إن تقدمتني، وإن تقدمتك ففي نفسي حرجٌ حتى أنظر إلامَ يصير أمركَ قال: جزاكِ الله يا أمَّه خيراً فلا تدعي الدعاء لي قبل وبعدُ، فقالت: لا أدعه أبداً، فمن قتل على باطل فقد قُتلتَ على حق، ثم قالت: اللهم ارحم طولَ ذلك القيام في الليل الطويل، وذلك النحيب والظمأ في هواجر المدينة ومكة، وبره بأبيه وبي، اللهم قد سلمته لأمرك فيه، ورضيتُ بما قضيت فأثبني في عبدالله ثواب الصابرين الشاكرين ثم ودعها وخرج، ولم يلبث أن قتل رحمه الله.

توفيت أسماء رضي الله عنها بعد وفاة ولدها بأيام سنة ثلاث وسبعين هـ وقد بلغت من العمر مائة سنة لم يسقط سن ولم ينكر لها عقل وقد أوصت أهلها قبل موتها بوصية فقالت: أجمروا ثيابيْ ـ بخروها بالطيب ـ إذا متُّ ثم حنطوني، ولا تذروا على كفني حنوطاً، ولا تتبعوني بنار، ولا تدفنوني ليلاً.

قال الذهبي رحمه الله: كانت خاتمة المهاجرين والمهاجرات وفاة.

إذن فهذه هي أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهم، المهاجرة الصادقة لدينها البارة لوالديها، والزوجة المخلصة والمحبة المضحية لرسول الله ﷺ والأم الحنون القوية التي لا يمنعها حنانها عن دفع ولدها لملاقاة عدوة ومجابهة مصيره ليكتب عند الله عز وجل مع الشهداء الأبرار: إنك حقاً الأم المثالية والشجاعة التي يفخر بها التاريخ الإسلامي على مر الزمان. رحمك الله يا أسماء وجعلك مع العليين.

* * *

أسماء بنت عميس

هي أسماء بنت عميس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة بن خثعم، أمها هند بنت عوف بن زهير، وأختها ميمونة زوج رسول الله ﷺ.

عالمة عاقلة، صابرة عابدة، وقد كانت صاحبة بصيرة بتأويل الرؤيا، حيث كان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يسألها عن تفسير المنام[١].

أسلمت أسماء ـ رضي الله عنها ـ قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم بمكة. وبايعت رسول الله ﷺ. ثم كانت الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة، فهاجرت مع زوجها (جعفر بن أبي طالب). ابن عم رسول الله ﷺ. وهو أحد السباقين إلى الإسلام[٢]. ولم تكن الهجرة إلا بعد المقاطعة التي أجمعت عليها قريش لكل من أسلم، أو آزر مسلماً، فكان من جملة الذين قصدوا في هذه المقاطعة الجائرة آل أبي طالب، وآل هاشم. وقد وجد رسول الله ﷺ وأصحابه الألم والجوع فلم تكن المقاطعة كحرب اقتصادية فقط، بل اتخذوا معها حرباً نفسية فنال من ذلك ما نال (أسماء وزوجها جعفر) من الأذى والاضطهاد، مما جعل الرسول ﷺ يأذن لهما ولأمثالهما من المسلمين بالهجرة إلى أرض الحبشة، فخرج جعفر رضي الله عنه بزوجته أسماء إلى أرض الحبشة، فأقامت معه في منزل متواضع، وأنجبت له ثلاثة أولاد: عبدالله ومحمداً، وعوناً، وبقيت أسماء مع زوجها إلى أن جاء وفد قريش إلى النجاشي يرجونه بإرجاع المسلمين إلى قومهم في مكة. فكلم جعفر ملك الحبشة عن نبيه العظيم وعدد عليه أمور الإسلام

---

(١) الاصابة: لابن حجر (ج١٢/ ١١٧).

(٢) الطبقات: لابن سعد(ج٨ / ٢٨٠)، الاصابة: لابن حجر (ج١٢/ ١١٦)، وأسد الغابة: لابن الأثير (ج٥/ ٣٩٥).

وقرأ عليه شيئاً من القرآن الكريم، وذكر له أن هؤلاء الكفار يريدون أذيتهم، ولما سمع النجاشي تلك الآيات الكريمة بكى النجاشي ومن ثم أعلن إسلامه كما وأسلم أناس كثيرون، وبذلك كانت الهجرة إلى الحبشة دعوة وفتحاً، كما أننا لا ننسى (أسماء) والمهاجرات معها، اللواتي كن داعيات إلى الله تعالى، قولاً وعملاً وسلوكاً، وأيضاً المهاجرون معهن، كانوا دعاة إلى الله تعالى، وإلى دينه.

بعد ذلك عادت أسماء ومن معها من الحبشة إلى المدينة، وكانت هجرة بعد هجرة.

روى أبو نعيم بإسناده إلى أبي موسى الأشعري[1]: قال رضي الله عنه: قدمنا على رسول الله ﷺ أي: من الهجرة ـ فوافقناه حين فتح خيبر، فأسهم لنا، أي: فأعطانا منها ـ وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر شيئاً، إلا لمن شهد معنا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه، قسم لها معهم فكان جماعةٌ من الناس يقولون لنا: سبقناكم بالهجرة قال: ودخلت أسماء بنت عميس، فقال لها عمر: سبقناكم بالهجرة نحن أحق برسول الله ﷺ فغضبت وقالت: كلا والله: كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم، وكنا في دار البعداء، في الحبشة وذلك في الله ورسوله، وأيم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً، حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ، فنحن كنا نؤذى ونخاف؟ وسأذكر ذلك لرسول الله ﷺ وأسأله والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد على ذلك؟ فلما جاء النبي ﷺ، قالت: يا نبي الله إن عمر قال كذا وكذا؟ قال رسول الله ﷺ «فما قلت» قالت: قلت كذا وكذا؟ قال ﷺ: «ليس بأحق بي منكم، له ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم يا أهل السفينة هجرتان» وفي رواية «لكم الهجرة مرتين، هاجرتم إلى النجاشي! . وهاجرتم إليّ»[2] فكانت بشكواها هذه إلى رسول الله ﷺ قد أثلجت صدور

---

(١) حلية الأولياء: لأبي نعيم الأصبهاني (ج٢/ ٧٤ـ٧٥).
(٢) حلية الأولياء: لأبي نعيم الأصبهاني (ج٢/ ٧٤ـ٧٥).

المهاجرات والمهاجرين، فطابت أنفسهم بهذه الخصوصية التي خصهم بها رسول الله ﷺ فأنستهم عناء غربتهم، وكربة بعدهم عن الأهل والوطن، رضي الله عنها وعنهم.

وقد قالت أسماء: فلقد رأيت أبا موسى، وأصحاب السفينة يأتوني أرسالاً يسألوني عن هذا الحديث وما من الدنيا شيء هم أفرح به ولا أعظم في أنفسهم مما قال رسول الله ﷺ، وقالت: رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد مني هذا الحديث: «ولكم الهجرة مرتين، هاجرتم إلى النجاشي وهاجرتم إليّ».

وما ألقت أسماء متاع الترحال، حتى مضت إلى آل رسول الله ﷺ تزور نساءه وبناته، ملازمة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، أما زوجها جعفر فقد كان مصاحباً لرسول الله ﷺ ليشهد معه كل المشاهد إلى أن استشهد بمعركة مؤتة وقال النبي ﷺ «رأيت جعفراً يطير في الجنة مع الملائكة».

وقد حزن عليه حزناً شديداً ولما ذهب إلى زوجته أسماء كي يخبرها دخل عليها وقال: «يا أسماء! أين بنو جعفر»؟ فجاءت بهم إليه، فضمهم، وشمهم، ثم ذرفت عيناه فبكى فقالت أسماء: أي رسول الله!! لعله بلغك عن جعفر شيء قال ﷺ: «نعم! قتل اليوم» فقامت تصيح، فاجتمع إليها النساء يهدئن من روعها وجزعها على خبر نعي زوجها، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «يا أسماء لا تقولي هجراً وتضربي صدراً». ثم قال: «على مثل جعفر فلتبك الباكية». «اصنعوا لآل جعفر طعاماً، فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم»[1].

وعن ابن عباس[2]: فبينما رسول الله ﷺ جالس، وأسماء بنت عميس قريبة منه، إذ قال «هذا جعفر بن أبي طالب قد مر مع جبريل وميكائيل» فرد

---

(١) الطبقات: لابن سعد (ج٨/ ٢٨٢).
(٢) الاصابة: لابن حجر (ج٢/ ٨٧).

عليه السلام، ثم قال عليه الصلاة والسلام: «فعوضه الله من يديه جناحين يطير بهما حيث شاء». رضي الله عنه، وعن زوجه أسماء، وأرضاهما.

لم يكن حزن أسماء على جعفر الذي نال شرف الشهادة من أعلى أبوابها، حزناً عميقاً، لأنه استشهد بل لفراقه لها، فقد كانت تجد فيه سعادتها وحبها وأنسها، فصبرت لأمر الله تعالى، فلم ينسها الله سبحانه من كبير فضله وإكرامه، فما أن مضتْ أيام عدتها حتى رزقها الله تعالى زوجاً كريماً فاضلاً يفوق جعفر بفضله وكرمه، ألا وهو أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، فيبعث إليها يخطبها فتقبل منه الزواج ليسكنها في بيته بالمدينة، وقد أنجبت له (محمداً)[1] وبقيت في كنفه إلى أيام خلافته وعندما اشتكى أبو بكر من مرض موته أوصى أسماء أن تغسله لما يرى من فضلها وتقواها: رضي الله عنها فغسلته رضي الله عنه، وكانت يومها صائمة فخرجت تسأل من حضرها من المهاجرين، فقالت: إني صائمة وهذا يوم شديد البرد، فهل علي غسل فقالوا[2]: لا وذلك أنها كانت تعلم أن من غسل ميتاً لزمه الغسل، ولذلك سألت، ولم تكن تعلم أنه سنة، ثم أقامت في دارها حزينة على فراق زوجها الكريم وخليفة المسلمين أبي بكر الصديق، وما أن انتهت عدتها حتى تقدم إلى خطبتها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فتزوجها، فولدت له (يحيى وعوناً)[3] وأقامت أسماء عند علي رضي الله عنه معززة مكرمة وهي تعلم من الله تعالى عظيم لطفه وكبير رحمته بها، رضي الله عنها، عاشت أسماء إلى أيام خلافة زوجها (علي بن أبي طالب) وشهدت تلك الأحداث الجسام، التي كان آخرها استشهاده، ثم توفيت بعده[4].

---

(١) الطبقات: لابن سعد (ج٨/ ٢٨٤/ ٢٨٥) وفي الاصابة: لابن حجر (ج١٢/ ١١٧): أن النبي ﷺ زوج أبا بكر اسماء يوم حنين.

(٢) الطبقات: لابن سعد (ج٨/ ٢٨٤_٢٨٥).

(٣) الطبقات: لابن سعد (ج٨/ ٢٨٥).

(٤) سير أعلام النبلاء: للذهبي (ج٢/ ٢٨٧).

وقد روى ابن سعد[1]: أن ابنها محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر تفاخرا، فقال كل واحد منهما أنا أكرم منك، وأبي خير من أبيك! فقال لها علي: أقضي بينهما يا أسماء، فقالت: ما رأيت شاباً من العرب خيراً من جعفر!! وما رأيت كهلاً خيراً من أبي بكر!! فأرضتهما، وهذا يدل على وافر عقلها وحكمتها في تدبير أمرها رضي الله عنها.

ويقال: إنها لما بلغها قتل ولدها (محمد بن علي) بمصر، قامت إلى مسجد بيتها، وكظمت غيظها، حتى شخب ثدياها دماً!![2]..

روت أسماء بنت عميس عن النبي ﷺ ستين حديثاً، وقال الدارقطني: انفرد بالإخراج عنها مسلم ولم يذكر عدد ما أخرج لها.

وروى عنها ابناها عبدالله وعون ابنا جعفر بن أبي طالب وحفيدها القاسم بن محمد بن أبي بكر وحفيدتها أم عون بنت محمد بن جعفر، وسعيد بن المسيب، وعبيد بن رفاعة، وأبو بردة بن أبي طالب، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن شداد، وأبو زيد المدني، وعمر بن الخطاب وعروة بن الزبير، وأبو موسى الأشعري.

أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكان يسأل أسماء بنت عميس عن تفسير المنام كما ذكر ونقل عنها أشياء في ذلك، وقد فرض لها عمر ألف درهم. رضي الله عنها، وأرضاها، وأسكنها الله فسيح جناته إنه سميع مجيب.

* * *

---

(١) الطبقات: لابن سعد (ج٨/ ٢٨٥).
(٢) الاصابة: لابن حجر (ج١٢/ ١١٧).

أسماء بنت يزيد الأنصارية

هي أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع بن امرىء القيس الأنصارية الأوسية ثم الأشهلية[١]، كانت تكنى بأم سلمة ويقال أم عامر[٢]، ويلتقي نسبها مع نسب سيدنا سعد بن معاذ رضي الله عنه في جدهما امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل فأكرم بهذا النسب! زوجها أبو سعيد الأنصاري، واسمه سعيد بن عمارة[٣] وأمها أم سعد بن خزيم بن مسعود الأشهلية. اشتهرت بالفصاحة وفصل الخطاب، وأتيت من الشجاعة نصيباً وافراً حتى عدّت في جملة المجاهدات، وأخذت مكاناً كريماً في مجال العبادة والرواية، وهي من المبايعات لرسول الله ﷺ، لقد كانت أسماء بنت يزيد من ذوات العقل والدين، والصبر والإيمان، ومن راويات الحديث النبوي فكان لها ذكر، وأثر مبارك، وسبق طيب في مجال المكارم. وممن أوصل النور النبوي إلينا خلال مروياتها عن رسول الله ﷺ، وجدير بنا أن نذكر أنها كانت من السباقين إلى الإسلام على يد مصعب بن عمير وهي من أوائل المبايعين لرسول الله ﷺ، فكانت أسماء ـ رضوان الله عليها ـ تفخر بهذه الأولية وهذا السبق إلى المبايعة فتقول: أنا أول من بايع رسول الله ﷺ، وفي هذه المبايعة تبرهن أسماء على طاعتها لله ورسوله الكريم، عندما شاهد رسول الله ﷺ في يدها سوارين حين جاءت تبايعه فبصر بصيصهما فقال: «ألقي السوارين يا أسماء، أما تخافين أن يسورك الله بأساور من نار»؟ فبادرت أسماء بسرعة إلى إلقاء سواريها ولا تدري من أخذهما[٤].

---

(١) انظر تهذيب التهذيب (ج١٢/ ٣٩٩)، والاصابة (ج٤/ ٢٢٩).

(٢) ذكر معظم الذين ترجموا لأسماء أنها تكنى بالكنيتين ومعظم الروايات تقول: إن أم عامر وأم سلمة هما أسماء بنت زيد.

(٣) الاصابة (ج٤/ ٨٩).

(٤) حلية الأولياء (ج٢/ ٧٦).

إن هذا دليل واضح على أن الصحابية الجليلة قد توضحت صورة الإسلام في ذهنها وعلمت أن السعادة ليست بالحلي وإنما بالتقى والإيمان الحقيقي الذي به يتجنب النار، ليحظى برضوان الله تعالى وطاعة رسوله الكريم ﷺ. وعلى هذا لقد حازت أسماء بنت يزيد رضي الله عنها شهادة الفصاحة من الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - وحسن المنطق - وسحر الكلام، في قوة البيان حتى أنها لقبت بـ خطيبة النساء وهذا ما جعل لها مكانة متميزة بين نساء الأنصار، فبعد المبايعة وسماع حديث رسول الله ﷺ ألقت أسماء خطبة تدل على ذكائها وحسن أدبها، وبلاغتها، وقد روى أصحاب التراجم والسير خطبة أسماء البليغة، الآسرة، المؤثرة.

وقد ذكروا أنها أتت النبي ﷺ فقالت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله، أنا رسول مَنْ ورائي مِنْ جماعة نساء المسلمين كلهن يقلن قولي، وعلى مثل رأيي. «إن الله بعثك إلى الرجال والنساء، فآمنا بك واتبعناك، ونحن معاشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت، ومواضع شهوات الرجال وحاملات أولادهم، وإن الرجال فضلوا بالجمعة والجماعات، وشهود الجنائز والجهاد في سبيل الله، وإذا خرجوا إلى الجهاد حفظنا لهم أموالهم، وربينا أولادهم، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟».

فالتفت رسول الله ﷺ بوجهه إلى أصحابه فقال: «هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه»؟

فقالوا: لا والله يا رسول الله، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا. فالتفت النبي ﷺ فقال: انصرفي يا أسماء واعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها لرضائه واتباعها لموافقته، يعدل كل ما ذكرت للرجال». فانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبر استبشاراً بما قال لها رسول الله ﷺ[(١)].

---

(١) انظر الاستيعاب (ج٤/ ٢٣٣)، وأسد الغابة ترجمة رقم (٦٧١١) والدر المنثور (ج٢/ ٥١٨) بروايات متقاربة.

وروت أسماء بنت يزيد ـ رضي الله عنها ـ قالت: مرَّ بي النبي ﷺ وأنا في جوار أتراب لي، فسلم علينا وقال: «إياكن وكفر المنعمين». وكنت من أجرئهن على مسألته، فقلت: يا رسول الله، وما كفران المنعمين؟. قال: «لعل إحداكن تطول أيمتها بين أبويها، ثم يرزقها الله زوجاً ويرزقها منه ولداً، فتغضب فتكفر فتقول ما رأيت منك خيراً قط»[1].

لقد كانت أسماء النموذج الرائع من النساء اللواتي كن يسألن رسول الله ﷺ عن دقائق الأمور، لتصل إلى طريق الصواب وهذا يدل على عقلها الراجح. لقدوصفها أبو نعيم الأصبهاني بقوله: اسماء بنت يزيد السكن، النابذة لما يورث الغرور والفتن[2]. أما ابن عبد البر رحمه الله فقد وصفها بقوله: كانت من ذوات العقل والدين[3]. وهاتان الصفتان ـ العقل والدين ـ جعلتا أسماء من النساء الفاضلات النجيبات في مدرسة النبوة، ومن فقيهات نساء الأنصار. فقد أتت النبي ﷺ، وسالته عن طريق تطهير المرأة من الحيض، فقال: (تأخذ سدرتها[4] وماءها فتغسل رأسها، وتدلكه دلكاً شديداً حتى يصل الماء إلى فروة رأسها، ثم تأخذ فرصة ممسكة[5] فتطهر بها) قالت: كيف أتطهر بها؟ فقال النبي ﷺ (سبحان الله العظيم! تطهرين)! قالت عائشة تشير إليها: تتبعين آثار الدم[6]. لقد امتدحت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ـ نساء الأنصار فقالت: نعم النساء نساء الأنصار، لم يكن يمنعهن الحياء أن يسألن عن الدين ويتفقهن فيه. وفي حديث أمنا عائشة رضي الله عنها ثناء عطر على نساء الأنصار، وثناء حسن مبارك،

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المغرد (١٠٤٧)، والامام أحمد في المسند (٤/٣٥٧).

(٢) حلية الاولياء (٢/ ٧٦).

(٣) الاستيعاب (٤/ ٢٣٣).

(٤) (السدرة): شيء من شجر النبق يساعد على تنقية الأعضاء عند الغسل.

(٥) (فرصة ممسكة): خرقة أو قطنة مطيبة.

(٦) انظر: كتاب (الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة) للخطيب البغدادي (ص٢٨).

وشهادة صدق لمن جعلتهن في الذروة العليا من المكارم والفقه. نلاحظ أن لأسماء مكانة خاصة في قلب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وكيف لا وهي التي زينتها يوم زفافها على رسول الله ﷺ، وأدخلتها عليه، وبعد ذلك أصبحت تدعى ـ أسماء مقيّنة عائشة[1] وها هي تروي لنا الحديث السعيد فتقول:

إني قيّنت ـ زيّنت ـ عائشة ـ رضي الله عنها ـ لرسول الله ﷺ، ثم جئته فدعوته لجلوتها، فجاء فجلس إلى جانبها، فأتى بعس لبن ـ قدح ـ فشرب، ثم ناولها النبي ﷺ، فخفضت رأسها واستحيت قالت أسماء: فانتهرتها وقلت لها: خذي من يد النبي ﷺ، قالت: فأخذت فشربت شيئاً، ثم قال لها النبي ﷺ: «أعطي تربك». قالت أسماء: فقلت يا رسول الله بل خذه فاشرب منه ثم ناولنيه من يدك، فأخذه فشرب منه ثم ناولنيه. قالت: فجلست ثم وضعته على ركبتي ثم طفقت أديره وأتبعه بشفتي لأصيب مشرب النبي الكريم ﷺ ثم قال لنسوة عندي: «ناوليهن». فقلن: لا نشتهيه. فقال النبي ﷺ: (لا تجمعن جوعاً وكذباً)[2].

إنها لنعم الصحابية الجليلة والتي نضيف إلى صفاتها الكثيرة الكرم التي كانت تتمتع به هي والأنصار اللواتي شهد لهن رسول الله ﷺ حين أشرف على بيوتهن فقال: «ماذا في هذه الدور من الخير! هذه خير دور الأنصار»[3] وممن حاز في السبق بهذا المضمار أسماء فكانت كريمة الطبع سخية. وقد أكرمها الله سبحانه فطرح البركة في طعامها الذي قدمته للنبي ﷺ، وقد روت هذه المكرمة بنفسها فقالت: رأيت رسول الله ﷺ، صلى في مسجدنا المغرب، فجئت بعرق ـ اللحم بعظمه ـ وأرغفة فقلت: بأبي

---

(١) انظر أسد الغابة ترجمة رقم (٨٧٠٤)، والاصابة (ج٤/ ٢٤٠)، والمقينة: التي تزين المرأة ليوم زفافها.

(٢) انظر الفتح الرباني (ج٢١/ ١٦).

(٣) طبقات ابن سعد (ج٨/ ٣١٩).

أنت وأمي تعشّ، فقال لأصحابه: «كلوا باسم الله» فأكل هو وأصحابه الذين جاؤوا معه ومن كان حاضراً من أهل الدار، فوالذي نفسي بيده لرأيت بعض العرق لم يتعرقه وعامة الخبز وإن القوم أربعون رجلاً، ثم شرب من ماء عندي في شجب - قربة - ثم انصرف، فأخذت ذلك الشجب، فدهنته وطويته، فكنا نسقي منه المريض ونشرب منه في الحين رجاء البركة[1].

ومرة ثانية يكرم الله سبحانه وتعالى أسماء بنت يزيد ببركة طعامها وزيادته، كان هذا في غزوة الخندق حيث أرسلت بقعبة فيها حيس - تمر وسمن - إلى رسول الله ﷺ وهو عند أم سلمة أم المؤمنين - رضي الله عنها - فأكلت أم سلمة حاجتها، ثم خرج بالقعبة فنادى منادي رسول الله ﷺ إلى عشائه، فأكل أهل الخندق حتى نهلوا وهي كما هي[2]. وتكثير الطعام إحدى المعجزات التي أيد الله بها النبي الكريم، وقد حدثت هذه المعجزة مع بعض من الصحابة والصحابيات. لم ينس القرآن الكريم الصحابية الكريمة أسماء فلقد كان لها نصيب فيه حين أنزل الله قوله الكريم ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾[3] فقد طلقت ولم يكن وقتها للمطلقة عدة فكانت هذه الآية تفرض على أسماء العدة لتكون هي أول من أنزلت فيها العدة للمطلقات وهذا إكرام من الله سبحانه وتعالى للمرأة عامة ولأسماء خاصة - رضي الله عنها - كانت أسماء بنت يزيد واعية للحديث النبوي الشريف وذلك بسبب ملازمتها لبيت النبوة وقتاً طويلاً. فأخذت كل ما تعيه أذناها من حديث رسول الله ﷺ، وزيادة على ذلك حبها للعلم والسؤال، وجرأتها في الاستفسار وسؤال النبي ﷺ، لذلك كانت من أكثر نساء الأنصار رواية للحديث النبوي، فقد روت عن النبي الكريم ﷺ (٨١

---

(١) طبقات ابن سعد: (ج٨/ ٣١٩-٣٢٠)، الاصابة (ج٤/ ٢٥٠)، وكتاب (حجة الله على العالمين) للنبهاني (ج٢/ ٢١١).

(٢) المغازي: (ج٢/ ٤٤٧).

(٣) من سورة البقرة: (٢٢٨).

حديثاً)[١] فهي من أكثر المسلمات رواية للحديث بعد أمنا عائشة، وأمنا أم سلمة ـ رضي الله عنهما ـ أما من روى عنها فهم ثلةٌ من أجلاء التابعين، وأصحاب السنن الأربعة أبو داود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجه[٢] وخرج بها البخاري[٣] في الأدب المفرد، وشهد لأسماء بحسن الرواية ابن عساكر فقال: روت عن النبي ﷺ أحاديث صالحة.

لم تكن أسماء راوية حديث **فقط** بل كانت في صحيفة المجاهدات الخالدات، وكيف لا وهي التي وهبت نفسها للدفاع عن رسول الله ﷺ، ففي غزوة أحد وفي ساعة العسرة احتدم العراك حول رسول الله ﷺ، فانتدب نفر من الأنصار وفيهم آل السكن، واستشهد بهذه المعركة يزيد بن السكن ـ أبوها ـ، وابنه عامر، وعمها زياد وأخوها عمارة الذي مات وخده على قدم رسول الله ﷺ، ورغم ذلك من استشهاد أفراد أسرتها زاد حبها للجهاد حيث شهدت بعض المشاهد مع رسول الله ﷺ، وحضرت بيعة الرضوان وبايعت يومئذٍ تحت الشجرة، وشهدت فتح مكة، وخيبر، واليرموك، وقتلت وقت ذاك تسعة من الروم بعمود فسطاطها[٤]، وعاشت بعد ذلك دهراً بدمشق، توفيت أسماء في خلافة عبد الملك بن مروان الأموي، ودفنت بمقبرة باب الصغير[٥] بعد أن حظيت ببشارة رسول الله ﷺ أنها بالجنة أكثر من مرة فقد قال: «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة»[٦]

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (جزء٤/ ٢٧).

(٢) ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة الربعي القزويني الحافظ، صاحب كتاب السنن والتفسير.

(٣) البخاري: ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة الجعفي صاحب الصحيح.

(٤) فسطاطهاـ: عمود خيمتها.

(٥) سير أعلام النبلاء (ج٢/ ٢٩٧).

(٦) أخرجه الترمذي في المناقب، باب ما جاء في فضل من بايع تحت الشجرة.

رضي الله عنك يا أسماء أيتها العاقلة، والمجاهدة المؤمنة، الكريمة الخيرة، نضر الله قبرك وجزاك خيراً عما فعلته وقدمته للمسلمين والإسلام وأسكنك الله فسيح جنانه.

* * *

أم معبد

هي أم معبد الخزاعية، من ربات الفصاحة والبلاغة، وقد أجادت في بلاغة كلامها، حينما أفصحت بوصف رسول الله ﷺ فبرعت بالتحدث عن صفاته لزوجها أبي معبد الخزاعي، عندما سألها عنه، ويروي لنا تلك الحادثة الحر بن التياح النخعي عن أبيه عن معبد الخزاعي، فيقول: صاحب النبي ﷺ ليلة هاجر من مكة إلى المدينة أبا بكر رحمه الله تعالى، وعامر بن فهيرة، وكان دليلهما الليثي عبدالله بن أريقط، فمروا على خيمة أم معبد الخزاعية وقد كانت امرأة برزة جلدة تحتبي بفناء الكعبة ثم تسقي وتطعم[1] فسألوها لحماً وثمراً ليشتروه منها فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك وكان القوم مرملين مسنتين[2] فنظر رسول الله ﷺ إليَّ في كسر الخيمة[3] فقال: ما هذه يا أم معبد، قالت: شاة خلفها الجهد[4] عن الغنم. قال: هل بها من لبن، قالت: هي أجهد من ذلك. قال: أتأذنين لي أن أحلبها، قالت: بأبي وأمي أنت، نعم إن رايت بها من حلب فاحلبها، فدعا رسول الله ﷺ بالشاة، فمسح ضرعها، وسمى الله ودعا لها في شاتها، فتفاجت عليه ودرت واجترت[5] ودعا بإناء يربص الرهط[6] فحلب فيه ثجا حتى غلبه

---

(١) امرأة برزة: أي كهلة جليلة تبرز للناس في عفاف وجلدة: أي قوية. واحتبى بالثوب: استمل. وفناء الكعبة: ما اتسع أمامها.

(٢) أي محتاجين مجدبين.

(٣) أي في ناحية منها.

(٤) من أجهدها المرض فهزلها.

(٥) تفاجت: أسرعت. اجترت: من الاجترار. وهو ما يفيض به البعير ونحوه من معدته فيأكله ثانياً وهذا دليل الصحة.

(٦) أي يكفيهم، والربص ما يكفي الإنسان من اللبن. والرهط من سبعة إلى عشرة.

الثمال[1] ثم سقاها حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا ثم شرب آخرهم وقال: ساقي القوم آخرهم شرباً فشربوا جميعاً عللاً بعد نهل[2]، ثمَّ أراضوا[3]، ثم حلب فيه ثانياً عوداً على بدء حتى ملأ الإناء ثم غادره[4] عندها وبايعها[5]، وارتحلوا عنها، فقال: ما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً حيلاً[6] عجافاً هزالاً مخهن قليل، ولا نقي بهن[7] فلما رأى أبو معبد اللبن عجب! وقال: من أين هذا يا أم معبد والشاة عازبة حيال[8]، ولا حلوبة في البيت؟ فقالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك، كان من حديثه كيت وكيت. قال: صفيه لي يا أم معبد، فقالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حسن الخلق لم تعبه ثجلة، ولم تزر به صقلة وسيماً، قسيماً[9]، في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف[10]، وفي صوته صحل، وفي عنقه سطع، وفي لحيته كثاثة[11]، أحور أكحل، أزج

(١) ثجا: من ثلج الماء، سال. والثمال: الرغوة، يقال: لبن مثقل، أي: ذو رغوة.
(٢) النهل: أول الشرب، والعلل: الشرب بعد الشرب تباعاً.
(٣) طابت نفوسهم.
(٤) أبقاه وتركه عندها.
(٥) أخذ عليها عهد دخولها في الإسلام وطاعتها له.
(٦) من حال يحيل، تغيير، أو من صارت إبله حائلاً فلم تحمل.
(٧) عجافاً: أي نحافاً. مخهن: لعله من امخت الشاة سمنت. والنقي: المخ. أو من أنقت الإبل: سمنت. ويلوح لي: أن المراد أنهن هزيلات قليلات الدهن الذي يكون داخل العظم أي في تجويفه، فإن قلته لاتكون إلا مع هزال وضعف.
(٨) لم تحمل.
(٩) الوضاءة: رونق الحسن، ابلج الوجه: أي مشرقة أو طلقة، والثجلة: عظم البطن واسترخائه، والصقلة خفة اللحم، المراد أنه متوسط الجسم والوسامة كالقسامة، بمعنى الحسن أو أثر الحسن.
(١٠) الدعج: سواد العين. سعتها، والأشفار: أصول منبت الشعر في الجفن والوطف: كثرة شعر العينين.
(١١) الصحل: خشونة الصوت، سطح العنق: طوله. وكثاثة اللحية: كثرة شعرها.

أقرن[١] إن صمت فعليه الوقار وإن تكلم سماه وعلاه البها[٢]. فهومن أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر[٣]، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ربعه ولا تشنؤه من طول ولا تقتحمه العين من مقر[٤]، غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظراً وأحسنهم قداً له رفقاء يحفون به[٥]، إن قال أنصتوا لقو له، وإن أمر تبادروا إلى أمره محفود محشود، لا عابس ولا مفند[٦] (ﷺ) قال أبو معبد، هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره بمكة ما ذكر ولو كنت وافقته[٧] لالتمست صحبته ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً.

قال معبد: وأصبح صوت بمكة عالياً بين السماء والأرض يسمعون الصوت ولا يدرون من يقوله وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين قالا خيمة أم معبد[٨]

هما نزلا بالبر وارتحلا به ... ففاز الذي أمسى رفيق محمد[٩]

فيا لقصي ما زوى الله عنكم ... به من فعال لا يجارى وسؤدد[١٠]

---

(١) الأحور: من الحور، وهو شدة سواد العين في شدة بياضها، والأزج: من الزجج وهو دقة الحواجب في طول، والأقرن: لعله الغزير الشعر.

(٢) الحسن.

(٣) الفصل: الحق من القول ـ لا نذر ولا هذر: أي لا قليل الكلام ولا كثيره.

(٤) الربعة: ماكان متوسطاً في جسمه وقامته بين الطويل والقصير، ولا تشنؤه: أي لا تستقبحه، ولا تقتحمه: أي لا تحتقره.

(٥) أي يحدقون به ويلتفون حوله. أنضر أي أحسن.

(٦) تبادروا: أسرعوا، محفود: أي مخدوم ومحشود، أي في حشد، أي جماعة يحفون به لخدمته، والعابس: كالح الوجه، والمفند من فنده: عجزه أو أخطأ رأيه وكذبه، والمراد أنه بشوش الوجه لا يسيء محدثه.

(٧) صادفته.

(٨) قالا: من القيلولة، وهي الاستراحة في الظهيرة أو من القيل وهو اللبن يشرب في القيلولة.

(٩) البر بكسر الباء: الخير.

(١٠) قصي بن كلاب أبو قبيلة من العرب، زوى: نحى وأبعد، فقال: كسحاب اسم =

ليهن بني كعب مقام فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصد[١]

سلوا أختكم عن شاتها وإنائها فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد

دعاها بشاة حائل فتحلبت له عن صريح ضرة الشاة مزبد[٢]

فغادرها رهناً لديها لحالب يرددها في مصدر ثم مورد[٣]

قال فأصبح الناس قد فقدوا نبيهم ﷺ، وأخذوا على خيمة أم معبد حتى لحقوا النبي ﷺ فأجابه حسان بن ثابت:

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم وقدس من يسري إليهم ويغتدي[٤]

ترحل عن قوم فضلت عقولهم وحل على قوم بنور مجدد

هداهم به بعد الضلالة ربهم وأرشدهم من يتبع الحق يرشد

وهل يستوي ظلال قوم تسفهوا بهاد ويقتدي به كل مهتدي[٥]

وقال ابن مسعود في روايته: بكسا عمي وهداه يقتدي كل مقتدي (كذا ورد).

وقد نزلت منه على أهل يثرب ركاب هدى علت عليهم بأسعد[٦]

نبيٌّ يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مشهد

فإن قال في يوم مقالة غائب فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغد

ليهن أبا بكر سعادة جده بصحبته من يسعد الله يسعد[٧]

= الفعل الحسن والكرم والسؤدد السيادة.

(١) بني كعب: هم عشيرة أم معبد، المرصد: الطريق.

(٢) الحائل: التي لم تحمل منذ سنين، ضرة الشاة: ضرعها، والمزيد: من الزبد وهو رغوة اللبن وغيره.

(٣) غادرها: تركها وابقاها، رهناً: من أرهن الطعام لهم ادامه.

(٤) زال: المراد ارتحل، قدس: ظهر بالبناء للمجهول فيهما، يسري: من السري وهو سير عامة الليل، يغتدى: يبكر، الغدوة: البكرة أو مابين الفجر وطلوع الشمس.

(٥) تسفهوا: من نفسه حملها على السفه وهو الجهل نقيض الحلم، وقد قال ابن أبي سعد في روايته: بكساعكمي وهداه يقتدي كل مقتدي (كذا ورد).

(٦) يثرب: المدينة.

(٧) الجد: البخت والحظ..

ويهـن بنـي سعـد مقـام فتـاتهـم ومقعـدهـا للمـؤمنيـن بمـرصـد

وعن أبي عبد الله محمد بن زياد الأغرابي، فقال: قيل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، كيف لم يصف أحد النبي ﷺ كما وصفته أم معبد، فقال: لأن النساء يصفن الرجال بأهوائهن[1] فيجدن في صفاتهن.

حقاً إن أم معبد أجادت في الوصف وأحسنت التعبير، أجل إن أم معبد أحبت رسول الله ﷺ واطمأنت سريرتها عندما رأته لذلك خرجت منها تلك الكلمات الصادقة فأجادت فيها بالوصف وأحسنت بها التعبير.

رحمك الله يا أم معبد ورحم زوجك ورضي عنكما.

* * *

(١) المراد بعواطفهن وانفعالاتهن النفسية فيكون ذلك أدعى للإجابة وقوة التأثير.

حفصة بنت عمر بن الخطاب

(أم المؤمنين)

هي حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، أبوها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ أمها زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن حمح، أما أخوها فهو عبدالله بن عمر رضي الله عنه.

ولدت حفصة بمكة في قريش قبل مبعث رسول الله ﷺ بخمس سنين، عندما كانت قريش منشغلة ببناء الكعبة المشرفة، حيث بشر وقتها النبي ﷺ بولادة ابنته فاطمة ـ رضي الله عنها ـ وأما عمر بن الخطاب فقد بشر بولادة ابنته حفصة الذي اسود وجهه واكتظ غيظاً، فهو في حينها كان من اشد القرشيين عداوة للدين الجديد، ومن عادات العرب في الجاهلية أنهم لا يستبشرون خيراً بولادة الأنثى.

وحين سطع نور الإسلام ودخل قلب عمر بن الخطاب، دخل بيته متهلل الوجه، منشرح الصدر، بإيمانه وإسلامه، فكانت ابنته حفصة من أشد أهله فرحاً وسروراً بإسلام والدها، فقد كانت تخافه كثيراً وتتجنب محادثته قبل ذلك.

لقد نالت حفصة المكانة المرموقة في قريش بسبب والدها الذي كانت جبابرة قريش ترهبه وتخشاه قبل الإسلام وبعده، وقد قالت عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ فيه: إذا شئتم أن يطيبَ المجلسُ فعليكم بذكر عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وعاشت حفصة ـ رضي الله عنها ـ تنهل من أبيها العلوم والبيان والفصاحة، إلى حين اكتملت أنوثتها ونضارتها،

فتقدم إلى خطبتها خنيس بن حذافة، فتزوجها وعاشا معاً عيشاً رغيداً هانئاً، لكن مشركي قريش لم يتركوا أحداً من المسلمين ينعم بحياته، فأذن رسول الله ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى المدينة، وهاجرت حفصة مع زوجها كما أمرها رسول الله ﷺ، إلى أن كانت غزوة بدر وأحد حيث اشترك بها زوجها خنيس الذي كان من أصحاب الهجرتين، وعندما عاد خنيس من معركة أحد إلى المدينة توفي فيها من آثار جراح كانت قد أصابته في المعركة.

مات خنيس وترك وراءه زوجته المخلصة في ريعان شبابها وزهو عمرها فقد ترملت ولها من العمر عشرون سنة، وهذا ما أوجع قلب عمر بن الخطاب وأحزنه، فكان كلما دخل عليها وجدها تعاني من آلام الوحدة والترمل وهي في عز صباها وعنفوان شبابها، ويخرج من عندها دامع العين باكياً، رغم ما عرفنا من قوة وصلابة، ولما عرض الزواج منها على صديقه الحبيب عثمان بن عفان رضي الله عنه وكانت زوجته رقية قد توفيت، قال له: ما لي حاجة إلى النساء، فكتم عمر حزنه وغضبه ومضى إلى صديقه الثاني الحبيب أبي بكر الصديق ليعرض عليه تزويجه من ابنته حفصة، لكن الصديق سكت ولم يجبه، فانكسر قلب عمر وغضب كثيراً فقد كان عثمان بن عفان وأبو بكر الصديق من أحب الأشخاص إلى قلبه بعد رسول الله ﷺ، وذهب عمر إلى رسول الله ﷺ ليبث له آلامه ويشكو له همه، فأجابه رسول الله ﷺ بعد أن طيب خاطره قائلاً: «يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة»، وما هي إلا أيام حتى قدم رسول الله ﷺ منزل عمر ـ رضي الله عنه ـ خاطباً منه ابنته حفصة، ففرح عمر فرحاً عظيماً، وأصدق رسول الله ﷺ حفصة أربعمائة درهم سنة (٣ هـ) وزوج رسول الله ﷺ عثمان ـ رضي الله عنه ـ من ابنته (أم كلثوم)، ولما لقي عمر أبا بكر ـ اعتذر أبو بكر له وقال: لا تجد عليَّ، فإن رسول الله ﷺ كان قد ذكر حفصة، فلم أكن لأفشي سره، ولو تركها لتزوجتها[1]!؟ لقد عاشت حفصة في بيت رسول الله ﷺ معززة مكرمة،

---

(١) الطبقات: لابن سعد (ج٨/ ٨٢) والبخاري في كتاب النكاح باب عرض الإنسان =

فكانت من خيار النساء الصالحات المؤمنات الصائمات، القائمات، حيث قالت عنها أم المؤمنين عائشة: هي التي كانت تُساميني من أزواج النبي ﷺ[1]. وقد كانت إحدى زوجاته ﷺ الخمس من قريش وهن: عائشة.. وحفصة.. وأم حبيبة.. وأم سلمة.. وسودة بنت زمعة[2].. وقد كن أمهات مؤمنات على مستوىً عالٍ من الأخلاق وحسن الإسلام بالعبادة والعلم والتقوى، ولكن كان لا بد من وجود غَيرة بينهن وكيف لا.. وكلهن يحببن رسول الله ﷺ ويُردّن الاستئثار به، وهنا تروي لنا عائشة أم المؤمنين بعض الأحداث التي جرت بينها وبين حفصة مع رسول الله ﷺ وكانت بدافع الغيرة فتقول:

«كان رسول الله ﷺ مع أصحابه، فصنعت له طعاماً وصنعت له حفصة ـ رضي الله عنها ـ طعاماً، فسبقتني حفصة، فقلت للجارية: انطلقي فاكفئي[3] قصعتها، فأهوت أن تضعها بين يدي النبي ﷺ فكفأتها، فانكفأت القصعة، فانتشر الطعامُ، فجمعها النبي ﷺ وما فيها من الطعام على الأرض فأكلوا، ثم بعث بقصعتي فدفعها النبي ﷺ إلى حفصة، فقال: «خذوا ظرفاً فكان ظرفكم وكلوا ما فيها»[4]..

وأما هذه الحادثة الأخرى فقد كانت سبباً لطلاقها لكنها طلقة واحدة رجعية ـ بسبب إفشاء سر استكتمها إياه رسول الله ﷺ، وذلك أن النبي ﷺ خلا بمارية القبطية ـ رضي الله عنها ـ في بيت حفصة فلما انصرفت (مارية) دخلت حفصة حجرتها وقالت للنبي ﷺ: «لقد رأيت من كان عندك، يا نبي الله لقد جئت إليَّ شيئاً ما جئت إلى أحدٍ من أزواجك في يومي.. وفي

= ابنته أو أخته لأهل الخير (ج٧/ ١٨).

(١) سير أعلام النبلاء (ج٢/ ٢٢٧).

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي (ج١/ ٥٩٣).

(٣) اكفئي: اقلبي قصعتها ليصب ما فيها.

(٤) حياة الصحابة: (ج٢/ ٥٣٦).

دوري.. وعلى فراشي؟ ثم بكت، فأخذ رسول الله ﷺ باسترضائها فقال: «ألا ترضين أن أحرِّمها فلا أقربُها»؟! قالت: بلى فحرمها. وقال لها: «لا تذكري ذلك لأحدٍ»[1] وسعدت ليلتها حفصة بقرب النبي ﷺ، حتى إذا جاء اليوم التالي ذهبت حفصة لعند عائشة وأعلمتها بالأمر. فأنزل الله تعالى قوله الكريم معلماً ومرشداً وهادياً ومؤدباً لحفصة خاصة وبقية نساء النبي ﷺ عامة: ﴿وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير﴾[2] فطلق رسول الله ﷺ حفصة طلاقاً رجعياً. وعلم بالأمر عمر بن الخطاب فقال: (ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها) لقد حذر عمر ابنته قبل ذلك من مراجعتها لرسول الله ﷺ فقد راجعت حفصة مرة رسول الله ﷺ في حديث الحديبية وبيعة الرضوان ويرويه لنا ابن سعد في (الطبقات) فيقول: إن رسول الله ﷺ، ذكر عند حفصة أصحابه الذين بايعوه تحت شجرة الحديبية فقال: «لا يدخل النار إن شاء الله أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها». فقالت حفصة: «بلى يا رسول الله. فانتهرها.. فتلت الآية الكريمة: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً﴾[3] فقال ﷺ: قال الله تعالى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونَذَرُ الظالمين جثياً﴾[4] وعلا صوت عمر على ابنته وهو يزجرها وقال: «تعلمين أني أحذرك عقوبة الله وغضب رسول الله ﷺ.. يا بنية! لا يغرنك هذه التي أعجبها حسنها وحبُّ رسول الله ﷺ إياه، والله لقد علمت أن رسول الله ﷺ لولا أنا لطلقك»[5]، وها قد وصلت حفصة إلى الطلاق، وحزن لذلك حزناً شديداً،

---

(١) تفسير ابن كثير: (ج٤/ ٣٨٦).
(٢) سورة التحريم (آية/ ٣).
(٣) سورة مريم: (آية/ ٧١).
(٤) سورة مريم: (آية/ ٧١). تفسير ابن كثير (ج٣/ ١٣٣).
(٥) سيدات بيت النبوة: للدكتورة عائشة عبد الرحمن (ص٣٠٥)، تفسير ابن كثير (ج٤/ ٣٨٨).

فنزل جبريل عليه السلام من الغد على النبي الكريم ﷺ فقال: «إن الله يأمرك أن تُراجع حفصة رحمة لعمر»[1] وفي رواية أخرى أن جبريل عليه السلام قال «أَرجع حفصة، فإنها صوامةٌ قوامةٌ، وإنها زوجتك في الجنة»[2] وذهب عمر مسرعاً إلى ابنته بالخبر فوجدها تبكي، فقال: «لعل رسول الله ﷺ قد طلقك مرة، ثم راجعك من أجلي، فإن كان طلقك مرة أخرى لا أكلمك أبداً» أخرجه أبو يعلى.

فبكت حفصة بكاءً شديداً، أما عمر ـ رضي الله عنه ـ فقد ذهب إلى الرسول ﷺ وقد كان معتكفاً في مشربةٍ[3] معتزلاً النساء شهراً، وشاع الخبر أن النبي ﷺ طلق نساءه ولم يكن أحد من الصحابة يجرؤ على الكلام معه.. صلى الله عليه وسلم في ذلك وقد وضع على الباب غلاماً يدعى رباح فلما قدم عمر ـ رضي الله عنه ـ استأذن عدة مرات ليدخل فلا يؤذن له إلى أن رفع صوته وقال: استأذن لي على رسول الله، فإني أظن أن رسول الله ﷺ ظن أني جئت من أجل حفصة، والله لئن أمرني رسول الله بضرب عنقها لأضربن عنقها. فأشار إليه رباح وقال: ادخل فقد أذن لك. وفرح عمر كثيراً بدخوله لعند رسول الله، وما زال يحادثه حتى تبسم، ثم سأله: أطلقت يا رسول الله نساءك! فقال رسول الله ﷺ. «لا». فقال عمر: الله أكبر. ثم ذكر له الحديث الذي دار بينه وبين حفصة فتبسم ثانية ﷺ، ولما رأى عمر ـ رضي الله عنه ـ سرور النبي الحبيب ﷺ طلب الإذن بالجلوس ليحادثه ولكن رسول الله ﷺ أقسم أن لا يدخلن عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن، حتى عاتبه الله تعالى في قوله: ﴿يا أيها النبيُ لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم﴾[4]. وأنزل الله

---

(١) الاصابة لابن حجر: (ج١٢/١٩٨و١٩٩).
(٢) الاصابة لابن حجر: (ج٢١/١٩٩).
(٣) غرفة يصعد إليها بدرج.
(٤) سورة التحريم.

تعالى مخوفاً ومحذراً نساء نبيه (حفصة وعائشة) في قوله تعالى: ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾ ونزلت آية في سائر أمهات المؤمنين ﴿عسى ربه إن طلقكنَّ أن يُبدله أزواجاً خيراً منكن﴾.

لقد كانت تلك الآيات المباركات درساً حكيماً وبليغاً لأمهات المؤمنين فما كان منهن إلا أن قلن «سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير». وبهذا عادت السعادة والاستقرار إلى حياة حفصة وسائر زوجات النبي رضي الله عنهن فقد وعت حفصة كلام الله عز وجل وتأدبت به فعكفت على تلاوته وتدبر أحكامه فلفت ذلك أنظار أبيها عمر لذلك أوصى بالمصحف الشريف الذي كتب على عهد أبي بكر بعد وفاة النبي ﷺ إلى ابنته (حفصة) أم المؤمنين وبزمن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ أرسل في طلبه من عند حفصة وحلف ليردَّنه إليها، فأعطته إياه، وعندما رد المصحف إليها طابت نفسها فحفظت الأمانة وحمتها بحرص شديد. لقد وصلت حفصة ـ رضي الله عنها ـ إلى مكانة كريمة بعلمها وفقهها وتقواها عند رسول الله ﷺ وحتى زمن الخلفاء الراشدين وخاصة في خلافة والدها حيث كان يسألها ويحب رأيها في الأحكام الفقهية، فقد سألها مرة كم أكثر ما تصبر المرأة عن زوجها؟ فقالت ـ رضي الله عنها ـ ستة أو اربعة أشهر[1] وإضافة إلى ذلك فقد كانت مرجعاً لكثير من الصحابة في مجال الحديث النبوي الشريف وأما أخوها عبدالله فكان يتلقى عنها ما رأته في بيت رسول الله ﷺ وأما ما امتازت به فهو أنها كانت تتقن القراءة في عهدها وقد قل على ذلك الرجال فكيف بالنساء وهذا ما ساعدها على تعلمها لكتاب الله تعالى وحفظه روايتها لحديث رسول الله ﷺ فقد روت عنه ﷺ ستين حديثاً، اتفق لها الشيخان على أربعة أحاديث، وانفرد مسلم بستة أحاديث[2] ومن مروياتها ما رواه عبدالله بن عمر عن أخته حفصة أن رسول الله ﷺ (كان إذا سكت

(١) حياة الصحابة (ج١/ ٤٧٦)، والدر المنثور (ج١/ ٦٥٢).
(٢) سير أعلام النبلاء (ج٢/ ٢٣٠)، والمجتبي لابن الجوزي (ص٣٩).

المؤذن من الأذان لصلاة الصبح صلى ركعتين خفيفتين قبل أن تقام الصلاة)[١].

وقد ذكر لنا ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ صوم أمنا حفصة ـ رضي الله عنها ـ فقال: ماتت حفصة حتى ما تفطر[٢]. أما أبو نعيم الأصبهاني فقد افتتح ترجمتها بقوله: (الصوامة، القوامة، المزرية بنفسها اللوامة، حفصة بنت عمر بن الخطاب، وارثة الصحيفة الجامعة للكتاب ـ رضي الله تعالى عنها ـ[٣].

هذه هي حفصة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ العالمة العابدة، التقية الزاهدة الصائمة القائمة، المتعهدة للقرآن الكريمن المتأدبة بأدب النبوة إن هذا كله جعلها امرأة كاتبة فصيحة بليغة، تنطق بأجمل الكلام، وأحلى الألفاظ، هذا وسنورد شيئاً من كلامها حين قالته في مرض أبيها عمر يومَ طعن غدراً بخنجر: (يا أبتاه ما يحزنك وفادتك[٤] على رب رحيم ولا تبعة[٥] لأحد عندك ومعي لك بشارة لا أذيع السر مرتين ونعم الشفيع لك العدل لم تخفَ على الله عز وجل خشنة عيشتك وعفاف نهمتك[٦] وأخذك بأكظام[٧] المشركين والمفسدين في الأرض ثم أنشأت تقول:

اكظم الغلة المخالطة القلـ ـب وأعزى وفي القرآن عزائي[٨]

---

(١) أسد الغابة ترجمة رقم (٦٨٤٥).
(٢) الإصابة (ج٤/ ٢٦٥).
(٣) الحلية (ج٢/ ٥٠).
(٤) قدومك.
(٥) شبه ظلامه.
(٦) شهوتك.
(٧) كظم مخرج النفس والجملة كناية عن تضيقه على المشركين.
(٨) الغلة: حرارة الحزن وكظمها حبسها وردها وفي القرآن عزائي تريد قوله تعالى: ﴿وبشر الصابرين﴾.

لـم تكـن بغتـة وفـاتـك واحـداً   إن ميعــاد مــن تــرى للفنــاء[١]

ولما مات والدها بكته ابنته حفصة ورثته شعراً ونثراً ويذكر في بعض الكتب أنها خطبت خطبة كانت تمتاز بالأدب الرفيع، والبلاغة، وصدق العاطفة والإحساس. فقالت: الحمد لله الذي لا نظير له والفرد الذي لا شريك له وأما بعد فكل العجب من قوم زين الشيطان أفعالهم وارعوى[٢] إلى صنيعهم ورب في الفتنة لهم ونصب حبائله لختلهم حتى همَّ عدو الله[٣] بإحياء البدعة ونبش الفتنة وتجديد الجور بعد دروسه وإظهاره بعد دثوره[٤] وإراقة الدماء وإباحة الحمى[٥] وانتهاك محارم الله[٦] عز وجل بعد تحصينها فأضرى وهاج وتوغر وثار[٧] غضباً لله ونصرة لدين الله فأخسأ الشيطان ووقم كيده وكفف إرادته وقدع محنته وأصعر خده[٨] لسبقه إلى مشايعة أولى الناس[٩] بخلافة رسول الله ﷺ الماضي على سنته[١٠] المقتدي بدينه المتقصي[١١] لأثره فلم يزل سراجه

---

(١) بغتة: فجأة.

(٢) ارعوى إلى كذا نزع إليه أي زاد ولزم.

(٣) لختلهم: أي لخداعهم وعدو الله تريد به الشيطان كما يقتضيه سياق الكلام ونسقه الآتي.

(٤) انمحائه.

(٥) الحمى: ما حمى وحفظ من الشيء وإباحته ضد حمايته.

(٦) أي المبالغة في ارتكاب ما حرم الله، ولعلها تشير في كل ذلك إلى ما كان بعد وفاة النبي من الخلاف على الخلافة ثم ارتداد العرب عن بعض أركان الدين الخ. ويدل على ذلك اشارتها فيما يأتي إلى سبق أبيها في مبايعة أبي بكر جسماً للفتنة.

(٧) اضرى: أسرع، وتوغر: توقد غيظاً، وثار: هاج، تشير بذلك إلى حماسة أبيها وحزمه في ملا فاة ما لافاه من أمور العرب في الخلافة وغيرها.

(٨) يقال اخسأه طرده وأبعده ـ وقمه رده اقبح رد ـ وكفف ارادته: منعها، وقدعه: كفه ـ واصعر خده: أي أذهب كبره.

(٩) المشايعة: المناصرة والمتابعة وأولى الناس بكذا أي أحقهم به تريد أبا بكر.

(١٠) المتقدم على طريقته.

(١١) المتتبع.

زاهراً[1] وضوءه لامعاً ونوره ساطعاً له من الأفعال الغرور من الآراء المصاص[2] ومن التقدم في طاعة الله اللباب إلى أن قبضه الله إليه قالياً لما خرج منه[3] شانياً لما ترك من أمره شيقاً لمن كان فيه[4] صبا إلى ما صار إليه وائلاً[5] إلى ما دعى إليه عاشقاً لما هو فيه[6] فلما صار إلى التي وصفت وعاين لما ذكرت أومأ بها إلى أخيه في المعدلة ونظيره في السيرة وشقيقه في الديانة[7] ولو كان غير الله أراد لأمالها إلى ابنه ولصيرها في عقبه[8] ولم يخرجها من ذريته فأخذها بحقها وقام فيها بقسطها[9] لم يؤده ثقلها ولم يبهظه[10] حفظها مشرداً للفكر عن موطنه ونافراً له عن وكره[11] ومثيراً له عن مجثمه[12] حتى فتح الله عز وجل على يديه أقطار البلاد[13] ونصر الله بقدمه[14] وملائكته تكنفه[15] وهو بالله معتصم[16] وعليه متوكل حتى تأكدت عرى الحق عليكم عقداً واضمحلت عرى الباطل عنكم حلا

---

(١) المتلألأ.

(٢) الخالص.

(٣) أي كارهاً للدنيا، شانياً: مبغضاً.

(٤) لمن كان فيه: أي في الأمر أمر سياسة الدين وأهله تريد النبي، وتقصد أنه شيق إلى رسول الله فهو لاحق به. والصب: المشوق.

(٥) مبادراً.

(٦) أي ماصار إليه أبو بكر من أمر الموت.

(٧) تريد عمر وكان أبو بكر عهد له بالخلافة رضي الله عنهما.

(٨) أي في أولاده.

(٩) فاعل أخذ وقام أبوها، القسط: العدل.

(١٠) لم يؤده من الوئيد وهو الأبطأ، يثقله.

(١١) مشرداً: طارداً ومفرقاً، ونافراً: مهيجاً له عن عشه.

(١٢) مكانه الذي لزمه.

(١٣) نواحيها.

(١٤) يقال رجل له قدم أي مرتبة في الفضل أو الخير.

(١٥) تحيط به.

(١٦) ممتنع.

نوره في الدجنات[١] ساطع وضوءه في الظلمات لامع قالياً للدنيا إذ عرفها لافظاً لها إذ عجمها[٢] وثانياً لها إذ سبرها تخطبه ويقلاها وتريده ويأباها لا تطلب سواه بعلاً ولا تبغي سواه نحلاً[٣] أخبرها أن التي يخطب أرغد[٤] منها عيشاً وأنضر منها حبوراً وأدوم منها سروراً وأبقى منها خلوداً[٥] وأطول منها أياماً وأغدق[٦] منها أرضاً وأنعت[٧] منها جمالاً وأتم منها بلهنية وأعذب منها رفهنية[٨] فبشعت[٩] نفسه بذلك لعادتها واقشعرت منها لمخالفتها فعركها بالعزم الشديد حتى أجابت وبالرأي الجليد[١٠] حتى انقادت فأقام فيها دعائم الإسلام وقواعد السنة الجارية ورواسي الآثار الماضية[١١] وأعلام أخبار النبوة الطاهرة وظل خميصاً[١٢] من بهجتها قالياً لأثاثها[١٣] لا يرغب في زبرجتها[١٤] ولا تطمح نفسه إلى جدتها حتى دعي فأجاب ونودي فأطاع على تلك من الحال فاحتذى[١٥] في الناس

---

(١) الظلمات.

(٢) قالياً: كارهاً أشد الكراهية، ولا فظاً: رامياً وعجمها: جربها من عجم العود عضه ليختبره، وشانياً: مبغضاً، وسبرها: أي اختبرها.

(٣) بعلاً: زوجاً، نحلاً: عطاء.

(٤) أخصب وأطيب.

(٥) بقاء.

(٦) أخصب وأروى.

(٧) أفضل منها وصفاً.

(٨) البلهنية والرفهنية: رفاهة العيشة ورغدها.

(٩) بشعت: عبست لعاتها، الضمير راجع للدنيا.

(١٠) اقشعر: أخذته قشعريرة اي رعدة وعركها فركها ليخضعها، والجليد: القوي الشديد.

(١١) الدعائم: ج دعامة وهي عماد البيت ونحوه والرواسي: الثوابت.

(١٢) جائعاً أو خالياً.

(١٣) متاعها.

(١٤) زينتها.

(١٥) اقتدى.

بأخيه[1] فأخرجها من نسله وصيرها شورى بين إخوته[2] فبأي أفعاله تتعلقون[3] وبأي مذاهبه تتمسكون أبطرائقه القويمة في حياته أم بعد له فيكم عند وفاته ألهمنا الله وإياكم طاعته (وإذا شئتم ففي حفظ وكلاأته[4]). لقد اعتكفت حفصة بعد مقتل أبيها على العبادة، ولما كانت الفتنة الكبرى بمقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ وقفت حفصة موقفاً محايداً ولم تتدخل في النزاع متبعة قوله تعالى ﴿وقرن في بيوتكن﴾ ولكن لا تمتنع عن الإجابة في استشارة دينية أو دعوة للخير، أو إصلاح ذات بين، وتأليف القلوب بين المسلمين، داعية لهم بالتوفيق ونزع حب السلطان من قلوبهم وظلت هكذا إلى أن استشهد الإمام علي كرم الله وجهه.

وفي سنة خمس وأربعين من الهجرة[5] النبوية وفي شهر شعبان لحقت السيدة حفصة ـ رضي الله عنها ـ بالرفيق الأعلى ولها من العمر ثلاثاً وستين سنة شاع خبرها بالمدينة وأقبل الصحابة الكرام لتشييع جنازتها وكانت قد أوصت أخاها عبدالله بمال وصدقة كما فعل أبوها عمر ـ رضي الله عنه ـ ودفنت بالبقيع مع أمهات المؤمنين ـ رضي الله عنهنَّ ـ وكان دفنها أول عهد معاوية بن أبي سفيان.

رحمك الله يا حفصة ورضي عنك وأرضاك، لتكوني مع الأبرار والصالحين.

* * *

(١) تريد أبا بكر.
(٢) تريد كبار الصحابة.
(٣) تختصمون.
(٤) حفظه.
(٥) اختلف الرواة في تاريخ وفاتها ففي رواية أخري توفيت سنة ٤١ هـ وقيل ٢٧ هـ.

خولة بنت الأزور

هي خولة بنت الأزور الكندي، من أشجع الناس في عصرها، وقد ملكت من القوة والفروسية ما جعلها تخترق رحى الحروب بين المسلمين والروم ببسالة فائقة، حيث كانت تخرج مع أخيها ضرار بن الأزور محاربة إلى الشام، وفي إحدى الوقعات أسر أخوها ضرار، فحزنت لذلك حزناً شديداً وقالت:

ألا مخبرٌ بعد الفراق يخبرنا ... فمن ذا الذي يا قوم أشغلكم عنّا
فلو كنت أدري أنه آخر اللقا ... لكنّا وقفنا للوداع وودّعنا
ألا يا غراب البين هل أنت مخبري ... فهل بقدوم الغائبين تبشرنا
ألا قاتل الله النّوى ما أمرّه ... وأقبحه ماذا يريد النّوى منا
ذكرت ليالي الجمع كنّا سويّة ... ففرّقنا ريب الزمان وشتّتنا
لئن رجعوا يوماً إلى دار عزهم ... لثمنا خفافاً للمطايا وقبّلنا
ولم أنس إذ قالوا ضرار مقيّد ... تركناه في دار العدو ويمّمنا
فما هذه الأيام إلاّ معارة ... وما نحن إلاّ مثل لفظ بلا معنى
أرى القلب لا يختار في النّاس غيرهم ... إذا ما ذكرهم ذاكر قلبي المضني
سلام على الأحباب في كل ساعة ... وإن بعدوا عنا وإن منعوا منّا

وقالت أيضاً:

أبعد أخي تلذُّ الغمض عيني ... فكيف ينام مقروح الجفونِ
سأبكي ما حييت على شقيق ... أعزّ عليَّ من عيني اليمين
فلو أني لحقت به قتيلاً ... لهان عليّ إذ هو غير هون
وكنت إلى السُّلُوّ أرى طريقاً ... وأعلقُ منه بالحبل المتين
وإنَّا معشرٌ مَنْ مات مِنَّا ... فليس يموتُ موتَ المستكين

وإنـي أن يقـالَ مضـى ضِـرارٌ لبـاكيـةٌ بِمنْسجِـمٍ هتـون
وقـالـوا لِـمَ بكـاكِ فقلـتُ مَهْـلاً أمـا أبكـي وقـد قطعـوا وتينـي

لقد شعرت خولة بأسر أخيها بالأسى والحزن، فلم يكن ذلك إلا مصيبة حلت بها، وقد قسمت ظهرها، إلا أنها لم تقف باكية تندب حظها، بل ركبت فرسها ملثمة وحملت السيف وكأنها شعلة من نار، لتحارب في معركة كان يقودها خالد بن الوليد ضد الروم، عازمة على فك أسر أخيها الغالي، ولمع من بين الجنود، فارس طويل لا يبين منه إلا الحدق، والفروسية تلوح من شمائله وعليه ثياب سود، تظاهر بها من فوق لامته، وقد حزم وسطه بعمامة خضراء سحبها على صدره ومن ورائه، نظر إليه خالد قائلاً: ليت شعري من هذا الفارس؟ وايم إنه لفارس شجاع، فاتبعه خالد والجنود، وكان هذا الفارس أسبق إلى المشركين. الذي حمل على عساكر الروم كأنه النار المحرقة فزعزع كتائبهم وحطم مواكبهم، ثم غاب في وسطهم، فما كانت إلا جولة الجائل حتى خرج وسنانه ملطخ بالدماء، وقد قتل رجالاً، وجندل أبطالاً، معرضاً نفسه للهلاك، ثم اخترق القوم غير مكترث بهم، ولا خائف وعطف على كراديس الروم. فقلق المسلمون على هذا الفارس، وقال رافع بن عميرة: ليس هذا الفارس إلا خالد بن الوليد. ثم أشرف في وقتها خالد عليهم: فقال رافع: من الفارس الذي تقدم أمامك فلقد بذل نفسه ومهجته؟ فقال خالد: والله إنني أشد إنكاراً منكم له، ولقد أعجبني ما ظهر منه ومن شمائله. فقال رافع: أيها الأمير إنه منغمس في عسكر الروم يطعن يميناً وشمالاً. فقال خالد: يا معاشر المسلمين احملوا بأجمعكم وساعدوا المحامي عن دين الله. فأطلقوا جميعاً الأعنة، وقوموا الأسنة، والتصق بعضهم ببعض وأميرهم خالد أمامهم ناظر إلى الفارس، ليجده شعلة من النار والخيل في أثره وكلما لحقت به الروم لوى عليهم وجندل فحمل خالد ومن معه. ووصل الفارس البطل إلى جيش المسلمين. فتأملوه فرأوه وقد تخضب بالدماء. فصاح خالد والمسلمون، لله درك من فارس بذل مهجته في سبيل الله، ظاهراً شجاعته على الأعداء، اكشف لنا

عن لثامك. فحال عنهم ولم يخاطبهم، وانغمس في الروم. فتصايحت به الروم من كل جانب وكذلك المسلمون، وقالوا: أيها الرجل الكريم أميرك يخاطبك وأنت تعرض عنه، اكشف عن اسمك وحسبك لتزداد تعظيماً. فلم يرد عليهم جواباً، فلما بعد الفارس عن خالد سار إليه بنفسه وقال له: ويحك لقد شغلت قلوب الناس وقلبي بفعلك من أنت، فلما ألح خالد، رد عليه الفارس من تحت لثامه بلسان التأنيث وقال: إنني يا أمير لم أعرض عنك إلا حياء منك لأنك أمير جليل وأنا من ذوات الخدور، وبنات الستور. فقال لها: من أنت؟ فقالت: أنا خولة بنت الأزور، كنت مع بنات العرب، وقد أتاني الساعي بأن ضراراً أسير، فركبت وفعلت ما فعلت. قال خالد: نحمل بأجمعنا ونرجو من الله أن نصل إلى أخيك فنفكه. قال عامر بن الطفيل: (كنت عن يمين خالد بن الوليد حين حملوا وحملت خولة أمامه وحمل المسلمون، وعظم على الروم ما نزل بهم من خولة بنت الأزور، وقالوا: إن كان القوم كلهم مثل هذا الفارس فما لنا بهم طاقة. وجعلت خولة تجول يميناً وشمالاً بينهم لا تطلب إلا أخاها وهي لا ترى له أثراً ولا وقفت له على خبر إلى وقت الظهر. وافترق القوم بعضهم عن بعض، وقد أظهر الله المسلمين على أعدائهم وقتلوا منهم عدداً عظيماً. ثم أقبلت خولة على المسلمين وجعلت تسألهم رجلاً رجلاً عن أخيها، فلم ترَ من المسلمين من يخبرها أنه نظره أو رآه أسيراً أو قتيلاً. وعندما أيست منه، بكت بكاءً شديداً، وجعلت تقول: يا ابن أمي ليت شعري في أي بيداء طرحوك، أم بأي سنان طعنوك، أم بالحسام قتلوك. يا أخي أختك لك الفداء لو أني أراك أنقذتك من أيدي الأعداء، ليت شعري أترى أني أراك بعدها، أبداً فقد تركت يا ابن أمي في قلب أختك جمرة لا يخمد لهيبها. ليت شعري لحقت بأبيك المقتول بين يدي النبي ﷺ، فعليك مني السلام إلى يوم اللقاء. فلما سمع المسلمون قولها بكوا جميعاً، وبكى خالد أيضاً، فهموا أن يعاودوا بالحملة، لولا كردوسة من الروم، التي تأهب الناس لحربهم، وتقدم خالد وحوله أبطال المسلمين. فلما قربوا من القوم رموا

رماحهم من أيديهم والسيوف وترجلوا ونادوا بالأمان.

فقال خالد: اقبلوا أمانهم وائتوني بهم، فأتوا إليه. قال خالد: من أنتم؟ قالوا: حبذا هذا الرجل وردان ومقامنا بحمص وقد تحقق عندنا، أنه ما يطيقكم، ولا يستطيع حربكم، فأعطونا الأمان واجعلونا في جملة من صالحتم من سائر المدن، حتّى نؤدي لكم المال الذي أردتم في كل سنة، فكل من في حمص يرضى بقولنا.

فقال خالد: إذا وصلت إلى بلادكم يكون الصلح إن شاء الله تعالى، إن كان لكم فيه أرب، ولكن نحن ههنا لا نصالحكم، ولكن كونوا معنا إلى أن يقضي الله ما هو قاضٍ. ثم قال لهم: هل عندكم علم من صاحبنا الذي قتل ابن صاحبكم يعني ضرار بن الأزور؟ قالوا: لعله عاري الجسد الذي قتل منا عدداً عظيماً وفجع صاحبنا في ولده. قال خالد: عنه سألتكم. قالوا: بعثه وردان عندنا أسيراً على بغل، ووكل به مائة فارس، وأنفذه إلى حمص ليرسله إلى الملك ويخبره بما يفعل. ولما سمع خالد قولهم فرح كثيراً، ثم دعا برافع بن عميرة وقال: ما أعلم أحداً أخبر منك بالمسالك، وأنت الذي قطعت بنا المفازة من أرض السماوة[1]، وأنت أوحد وحد أهل الأرض في الحيل والتدبير فخذ معك من أحببت، واتبع أثر القوم فعليك أن تلحق بهم وتخلص صاحبنا من أيديهم فلئن فعلت ذلك لتكونن الفرصة الكبرى. فقال رافع: حباً وكرامة. وانتخب مائة فارس شداداً من المسلمين وعزم على المسير. وبشرت خولة بمسير رافع ومن معه في طلب أخيها ضرار، فتهلل وجهها فرحاً فأسرعت إلى تقلد سلاحها واعتلاء جوادها، وأتت إلى خالد بن الوليد، فقالت له: يا أيها الأمير سألتك بالطاهر المطهر محمد ﷺ، سيد البشر إلا ما سرحتني مع من سرحت فلعلي أن أكون مشاهدة لهم، فقال خالد لرافع: أنت تعلم شجاعتها فخذها معك. فقال له رافع:

---

(١) السّماوة: بادية بين الكوفة والشام.

السمع والطاعة. وارتحل رافع ومن معه، وسارت خولة في أثر القوم ولم تختلط بهم، وسار إلى أن قرب من سلمية[1]، نظر رافع فلم يجد للقوم أثراً، فقال لأصحابه: أبشروا فإن القوم لم يصلوا إلى ههنا. وكمن بمن معه في وادي الحياة فبينما هم إذا بغبرة قد لاحت. فقال رافع لأصحابه: أيقظوا خواطركم وانتبهوا. فأيقظ القوم هممهم، وبقوا في انتظار العدو، وإذا بهم قد أتوا وهم محدقون بضرار. فلم يكن غير ساعة حتى خلصوا ضراراً وقتلوهم جميعاً وأخذوا سلبهم، وعادت جيوش المسلمين إلى أميرهم فرحين بضرار وأخته البطلة.

لم تكن تلك الحادثة الوحيدة في حياة الفارسة الشجاعة خولة بنت الأزور بل أظهرت في الوقعات التي دارت بين العرب والروم بسالة فائقة، ومن وقعاتها الشهيرة التي ظهرت فيها شجاعة الفارسة العظيمة، والبطلة المقدامة، وقعة (صحوراً) من أعمال الشام، وقد أسرت فيها النسوة وكانت من بينهنَّ، وكالعادة لم تكن خولة من النساء الضعيفات التي تستسلم لعدوها، أو تسكت على ضيمها فما كان منها إلا أن جمعت النساء وقامت بهن خطيبة قائلة: يا بنات حمير وبقية تبع، أترضين لأنفسكن علوج الروم، ويكون أولادكن عبيداً لأهل الروم، أين شجاعتكن وبراعتكن التي تتحدث بها عنكن أحياء العرب ومحاضر الحضر، وإني أراكن بمعزل عن ذلك، وإني أرى القتل عليكن أهون من هذه الأسباب، وما نزل عليكن من خدمة الروم. فقالت لها عفراء بنت غفارة الحميرية: صدقت والله يا بنت الأزور، ونحن في الشجاعة كما ذكرت وفي البراعة كما وصفت غير أن السيف يحسن فعله في مثل هذا الوقت، وإنما دهمنا العدو على حين غفلة، وما نحن إلا كالغنم بدون سلاح. فقالت خولة: يا بنات التتابعة، خذوا أعمدة الخيام وأوتاد الأطناب، ونحمل بها على هؤلاء اللئام فلعل الله ينصرنا عليهم فنستريح من معرة العرب. فقالت عفراء بنت غفار: والله

---

(١) سلمية: بلدة من أعمال حماة.

ما دعوت إلا ما هو أحب إلينا مما ذكرت. ثم تناولت كل واحدة عموداً من أعمدة الخيام، وصحن صيحة واحدة، وألقت خولة على عاتقها عموداً وسعت من ورائها عفراء أم أبان بنت عتبة، ومسلمة بنت زراع، وروعة بنت عملون، وسلمة بنت النعمان وغيرهن. فقالت لهن خولة: لا ينفك بعضكن عن بعض وكن كالحلقة الدائرة ولا تفترقن، فتملكن فيقع بكن التشتيت، وأحطمن رماح القوم واكسرن سيوفهم. وهجمت خولة، وهجمت النساء وراءها، وقاتلن قتالاً شديداً، حتى استخلصت النسوة من أيدي الروم. تلك هي خولة بنت الأزور فتاة العرب التي لا تعرف للخوف طريقاً، ولا تأبه بمواجهة عدو، قوياً كان أو ضعيفاً إنها حقاً فارسة شجاعة تستحق أن يخلد التاريخ اسمها في سجل الأبطال البواسل، وأن تفخر بها العرب على مر الزمان. فتكون الأسوة الحسنة التي تقتدى بها كل امرأة عربية، وقد توفيت أواخر خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

رحم الله خولة بنت الأزور وأخاها ضراراً، ورضي عنهما، وأدخلهما فسيح جناته... ـ اللهم آمين ـ.

* * *

خولة بنت ثعلبة

هي خولة بنت ثعلبة بن أصرم الأنصارية الخزرجية[1]، واحدة من فصيحات نساء الأنصار، فقد أوتيت نصيباً من البلاغة وحسن المنطق وفصل الخطاب، ولها من الفصاحة وصلاح الدين والجرئة في الكلام ما جعلها تحظى بالمكانة الكبيرة لدى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ومن ذلك ما روي «أن عمر رضي الله عنه مرَّ بخولة في أيام خلافته، ومعه الجارود العبدي[2]، فسلم عمر عليها، فردت عليه السلام وقالت: قف يا عمر. فوقف لها ودنا منها، وأصغى إليها، فأطالت الوقوف وأغلظت القول ووعظته، فقالت له: هيهات يا عمر، عهدتك وأنت تسمى عميراً، في سوق عكاظ ترعى الضأن بعصاك، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمراً، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين، فاتق الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الموت خشي الفوت. فقال لها الجارود: قد أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين، فقال عمر: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات، أسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر!. وعمر والله أحق أن يسمع لها هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف عني إلى الليل

---

(١) الطبقات (ج٨/ ٣٨٧)، وأسد الغابة (ج٥/ ٤٤٢)، وتهذيب التهذيب (ج١٢/ ٤١٤) وقيل: إن اسمها خويلة بالتصغير.

(٢) الجارود بن المعلى العبدي صحابي، كان سيد عبد القيس، قدم سنة عشر في وفد عبد القيس الأخير، فأسلم وكان نصرانياً، فسرّ النبي ﷺ بإسلامه، فكرمه وأدناه، ولما أسلم الجارود قال:

شهدت بأن الله حق وسامحت — بنات فؤادي بالشهادة والنهض

فأبلغ رسول الله عني رسالة — بأني حنيف حيث كنت من الأرض

الاصابة (ج١/ ٢١٧و٢١٨).

ما انصرفت حتى تقضي حاجتها[1]».

تلك هي خولة المرأة التي أضاء الإيمان جوانحها، وصقل نفسها، فغدت لا ترى شيئاً إلا من منظار الإسلام، حتى أمورها الخاصة، أو فيما يدور بحياتها الزوجية، كان لا بد لها من عرضه على الدين ليقول فيه حكمه.

أسلمت خولة قديماً، وكذلك أهلها، شأنهم شأن الأبرار الذين هداهم الله عز وجل ومنّ عليهم بالإيمان، وقد بايعت رسول الله ﷺ حين قدومه المدينة.

تزوجت من أوس بن الصامت[2] أخي عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنهما ـ فولدت له الربيع بن أوس.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ[3]: (أول من ظاهر من امرأته أوس بن الصامت، وامرأته خولة[4] بنت ثعلبة). وقد عرفت المظاهرة بالجاهلية، فإذا ظاهر أحدهم من امرأته قال لها: أنت عليّ كظهر أمي، (أي طالق) بل هو عندهم أشد من الطلاق، وإذا ظاهر الرجل من امرأته لا يرجع إليها أبداً[5]. وعندما جاء الإسلام، رخّص الله عز وجل الظهار بالكفارة،

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير (ج٣/ ٣٥٨)، وتفسير الصاوي على الجلالين (ج٤/ ١٥٢)، والاستيعاب (ج٤/ ٢٨٣و٢٨٤)، وأسد الغابة (ج٥/ ٤٤٤)، والاصابة لابن حجر (ج٤/ ٢٨٣)، والسيرة الحلبية (ج٢/ ٧٢٤).

(٢) أوس بن الصامت بن قيس الانصاري الخزرجي، صحابي شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ، وأوس هو الذي ظاهر من امرأته، وكان شاعراً سكن بيت المقدس، وتوفي بالرملة في خلافة عثمان سنة «٣٢هـ». (الطبقات ج٣/ ٥٤٧). و(تهذيب الاسماء واللغات ج١/ ١٢٩).

(٣) المعارف لابن قتيبة (ص٢٥٥).

(٤) (الخولة): الظبية، وبه كانت العرب تسمي المرأة.

(٥) السيرة الحلبية (ج٢/ ٧٢٢، ٧٢٣).

لما سمع خولة تشتكي لرسول الله وتجادله في أمر زوجها وتبكي خشية أن يكون قد وقع الطلاق، طالبة الفرج من الله عز وجل على لسان نبيّه الكريم ﷺ وها هي خولة تروي لنا قصتها فتقول: لقد كنت عند أوس بن الصامت وهو شيخ كبير قد ساء خلقه وضجر، فدخل عليَّ يوماً فراجعته بشيء فغضب، وقال: أنت عليّ كظهر أمي. ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل عليّ يريدني عن نفسي، فقلت له: كلا والذي نفسي بيده، لا تخلص إليَّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا. وتركته وخرجت حتى أتيت رسول الله ﷺ، فجلست بين يديه، وذكرت له ما لقيت من زوجي، وقلت له: إنه أبو ولدي، وابن عمي، وأحب الناس إليَّ، وقد عرفت ما يصيبه من اللمم وعجز مقدرته، وضعف قوته، وعي لسانه وأحق من عاد عليه أنا بشيء إن وجده هو. وقد قال: (طلحة) (والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقاً). قال: أنت علي كظهر أمي. فقال رسول الله ﷺ: ما أراك إلا قد حرمت عليه. فجادلته مراراً، ثم قلت: اللهم إني أشكو إليك شدة وجدي، وما شق عليّ من فراقه، اللهم أنزل على لسان نبيك لنا فيه فرجاً. قالت عائشة رضي الله عنها: لقد بكت خولة وبكى من كان معنا من أهل البيت رحمة لها ورقة عليها. وبينما هي كذلك بين يدي رسول الله ﷺ تكلمه وتجادله، إذ نزل الوحي على رسول الله ﷺ، فأخذ يغط في رأسه، ويتربد وجهه، ويجد برداً في ثناياه، ويعرق، حتى ينحدر منه الجمان. قالت عائشة: يا خولة إنه لينزل عليه الوحي وما هو إلا فيك. قالت خولة: اللهم خيراً فإني لم أبغ من نبيك إلا خيراً. قالت عائشة: فما يرى عن رسول الله ﷺ حتى ظننت أن نفسها تخرج فرقاً من أن تنزل الفرقة. فسرى عن رسول الله ﷺ الوحي وهو يبتسم فقال: يا خولة، قالت: لبيك. ونهضت قائمة فرحاً، فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: أنزل الله فيك وفيه ثم تلا عليها الآية الكريمة[1] (قد سمع الله قول التي تجادلك في

---

(١) سورة المجادلة: نزلت الآية الكريمة بخولة بنت ثعلبة وليس بغيرها، هذا ما ثبت.

زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما).

ثم قال: مريه أن يعتق رقبة. فقالت: وأي رقبة، والله ما يجد رقبة وما له خادم غيري. ثم قال: مريه فليصم شهرين متتابعين. فقالت: والله يا رسول الله ما يقدر على ذلك إنه ليشرب في اليوم كذا وكذا مرة، وقد ذهب بصره مع ضعف بدنه، وإنما هو كالخرشافة. قال: فمريه فليأت أم المنذر بنت قيس فليأخذ منها شطر وسق تمر، فيتصدق به على ستين مسكيناً. فنهضت ورجعت إلى زوجها فوجدته جالساً على الباب ينتظر قدومها بفارغ الصبر، آملاً أن تحمل معها الخبر المفرح في عودتها من عند رسول الله ﷺ فلما رآها، قال: يا خولة، ما وراءك؟ قالت: خيرٌ وأنت دميم. قد أمرك رسول الله ﷺ أن تأتي أم المنذر بنت قيس فتأخذ منها شطر وسق تمراً فتتصدق به على ستين مسكيناً. فلما سمعها قالت خولة: ذهب من عندي يعدو حتى جاء به على ظهره وعهدي به لا يحمل خمسة أصول. فجعل يطعم مدين من التمر لكل مسكين. وقال أوس: لولا خولة لهلكت. تلك هي خولة بنت ثعلبة الصحابية الجليلة، إحدى نساء الأنصار المؤمنات التي حافظت على كرامة المرأة المسلمة أبد الدهر، والتي قال عليه الصلاة والسلام فيها: (يا خويلة، قد أنزل الله فيك وفي صاحبك ـ زوجك ـ قرآناً).

عاشت خولة رضي الله عنها معظم خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أما وفاتها فتدل المؤشرات على أنها توفيت في العهد الراشدي، والله أعلم. وتنتهي حياة خويلة المجادلة العامرة بالمواقف الرائعة، رضي الله عنك يا خولة بنت ثعلبة وأحسن مثواك، إنه السميع العليم لكي تكوني مع الأبرار المتقين.

* * *

الرباب بنت امرىء القيس

هي الرباب بنت امرىء القيس بن عدي، شاعرة من شواعر العرب، وقد كانت من أفضل نساء عصرها وخيارهن، والدها امرؤ القيس سيد بني كلب، أسلم والدها على يد سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وحسن إسلامه، فلفت أنظار الجميع بذلك، حتى أن سيدنا عليَّ بن أبي طالب ـ كرَّم الله وجهه ـ عرض عليه المصاهرة فيه وبولديه الحسن والحسين ابني فاطمة الزهراء ابنة رسول الله ﷺ فسر امرؤ القيس بهذا الخبر وكان له من البنات ثلاث، المحياة، وسلمى والرباب فقال: مرحباً بابن عم رسول الله ﷺ وقد زوجتك المحياة والحسن له سلمى، أما الحسين فله الرباب وبذلك نال امرؤ القيس بالمصاهرة من أكرم بيت في الدنيا.

هنيئاً لك يا رباب بنت امرىء القيس الكلبية[1] إذ حظيت بالاقتران من ريحانة رسول الله ﷺ، ودخلت بيت أشراف قريش المحلي بالآداب النبوية فازددت بذلك سؤدداً وعزة وكرامة. لقد كانت رباب حادة الذكاء فطنة تملك على لسانها ملكة الشعر وفصاحة اللسان وعذوبة الكلام، وقد مسحت على حياتها الزوجية طابع الحب والوفاء والإخلاص، وهذا ما زاد في قلب زوجها حباً واحتراماً لها ـ رضي الله عنها ـ أنجبت الرباب من زوجها الحسين ـ رضي الله عنه ـ سبط رسول الله ﷺ عبدالله بن الحسين وآمنة التي لقبت بـ سكينة[2].

وبهذه الثمار الطيبة كبرت المحبّة لدى الحسين لزوجته وولديها فعاتبه

---

(١) نسب قريش (ص٥٩)، ونوادر المحفوظات (ج١/ ٤٦)، والأعلام (ج٣/ ١٣).

(٢) نسب قريش (ص٥٩).

في ذلك بعض المقربين فأنشد يقول:

لعمـــرك إننـــي لأحـــبُّ داراً تحـلُّ[1] بهـا سُكينـة والـرَّبـابُ
أحبُّهمـا وأبـذلُ جُـلَّ مـالـي وليـس لـلائمـي فيهـا عتـابُ[2]
ولسـتُ لهـم وإن عتبـوا مطيعـاً حيـاتـي أو يغيبنـي التُّـرابُ[3]

إن الرباب لتستحق مثل هذه الكلمات لأنها كانت مثال الزوجة المطيعة التي تحفظ حقوق زوجها عليها. وقد قال الحسين أيضاً في الرباب وابنتها سكينة:

كـأن الليـلَ مـوصـولٌ بليـلِ إذا زارتْ سكينـةُ والـربـاب[4]

هكذا عاش ذلك الزوجان المحبان إلى أن كانت وقعة كربلاء في العراق وقبل ذهاب الحسين إلى المعركة أوصى زوجته وبعض نساء بني هاشم أن لا تعلو أصواتهن ولا يخمشن وجوههن إذا ما قتل هناك، وكما توقع الحسين استشهد هناك على أرض كربلاء، وحين علمت الرباب بالخبر بكته بكاءً شديداً وقامت ترثيه بقولها:

إنَّ الـذي كـان نُـوراً يُستَضَـاءُ بـه بكـربـلاءَ قتيـلٌ غَيـرُ مـدفُـونِ[5]
سِبْـطَ النَّبـي جَـزَاكَ الله صَـالحَـةً عَنَّـا وجُنِّبـت خُـرانَ المـوازيـنِ
قد كُنتَ لي جبلاً صَعْباً ألُوذُ به وكُنْتَ تصحَبُنَا بـالـرُّحْـمِ والـديـنِ
مَنْ لِليَتَامَى ومَنْ للسَّائلينَ ومَنْ يُعفى ويأوي إليه كُلُّ مِسْكينِ[6]

---

(١) وردت في أعلام لكحالة «تكون».
(٢) ورد البيت في الاعلام لكحالة:
أحبهمـا وابـذل كـل مـالـي وليـس لعـاتـب عنـدي عتـاب
(٣) نسب قريش (ص٥٩). البداية والنهاية (ج٨/ ٢١).
(٤) ويعني البيت أنه لا يستطيع فراقها وإذا ما فارقت البيت قاصدة زيارة أهلها، وهم بنو عليم بن جنتاب بن كليب، يشعر بأن أيامه قد طالت وكلها مظلمة فإذا ما عادت الرباب وسكينة تبددت الظلمة وانقشعت ليظهر الفجر.
(٥) الابيات في الأغاني: (ج١٦/ ٩٢).
(٦) يعفى: يطلب معروفه، من عفى فلانا: أتاه يطلب معروفه. وقد وردت في أعلام النساء (ج١/ ٣٧٥) يغني.

والله لا أبتغي صهراً بصهركُمُ حتى أُغَيَّبَ بَيْنَ الرملِ والطينِ

وقالت تدعو على المكان الذي قتل فيه:

واحسيناً فلا نسيتُ حسيناً أقصدَتْهُ أَسِنَّةُ الأعداءِ
غادروه بكربلاءَ صريعاً لا سقى الله جانبي كربلاءِ

ولم تبكه زوجته فقط بل ابنته وأخته ونساء آل هاشم وقد قالت في حزنهم رباب:

ابكِ حسيناً ليوم مصرعه بالطّفِّ بين الكتائب الخُرْس
أضحتْ بناتُ النَّبيِّ إذ قتلوا في مأتم والسباعُ في عُرْسِ[1]

أقامت الرباب في المدينة المنورة، وأقبلت عليها الخطاب تتمنى الزواج منها لما كانت عليه من صفات وأخلاق تحسدها عليها بنات عصرها فما كان جوابها إلا الرفض قائلة لهم: (والله ما كنت لأتخذ حمواً بعد رسول الله ﷺ)[2] ولن ترضى زوجاً غير الحسين. ولذلك قال عنها هشام بن السائب الكلبي[3] رحمه الله: (كانت الربابُ من خيار النساء وأفضلهن). وهكذا ظلت الرباب وفية للحسين بعد مقتله قرابة العام إلى أن توفيت حزناً عليه وعلى ابنها عبدالله الذي قتل صغيراً مع أبيه. لقد ذكر ابن كثير ـ رحمه الله ـ محدداً وفاة الرباب في سنة (٦٢هـ). وقال: وفيها توفيت الرباب امرأة الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ[4].

---

(١) عيون الأخبار (ج١/ ٢١٢). (الطف): مكان في العراق. (الخرس): خرست الكتيبة: رزنت فلم يسمع لسلاحها قعصعة ولا لرجالها جلبة.
(٢) الأغاني (ح١٤/ ١٥٨)، والكامل في التاريخ (ج٤/ ٨٨).
(٣) هشام بن محمد بن السائب الكلبي، أبو المنذر، عالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها ومن بعض كتبه (جمهرة الأمثال) و(الأصنام) و(ألقاب قريش) توفي بالكوفة سنة (٢٠٤هـ)، (الأعلام) (ج٨/ ٨٧).
(٤) البداية والنهاية (ج٨/ ٢٢٠).

وأما ما قاله الزركلي ـ رحمه الله ـ في الأعلام[1]: وبقيت الرباب بعد الحسين سنة لم يظلها سقف بيت حتى بليت، وماتت كمداً ـ رحمها الله تعالى هي وزوجها الحسين وجمعهما الله في الجنة ـ.

* * *

(١) الأعلام (ج٣/ ١٣)، والخبر مذكور بشكل موسع في الكامل لابن الاثير (ج٤/ ٨٨).

زينب بنت رسول الله ﷺ

هي زينب بنت سيد البشر محمد ﷺ بن عبدالله بن عبد المطلب القرشية الهاشمية، أمها خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله عنها وهي كبرى بنات رسول الله ﷺ.

ولدت زينب سنة (٣٠) من مولد والدها ﷺ، وشبت على الأخلاق الكريمة فتأدبت بآداب والدها وطهر وعفاف والدتها فبلغت بذلك مبلغ الفتيات التقيات الطاهرات، تزوجها قبل بعثة رسول الله ﷺ ابن خالتها أبو العاص بن الربيع، وأنجبت منه علياً وأمامة أما علي فقد مات وهو صغير، وأمامة تزوجها علي بن أبي طالب أمير المؤمنين بعد وفاة فاطمة الزهراء.

لقد امتازت زينب عن نساء عصرها بفصاحة وبلاغة لسانها، وحبها ووفائها لزوجها، فعاشا الزوجين الكريمين حياة هانئة سعيدة فقد أصاب أبو العاص باختياره الزوجة الصالحة الكريمة التي أحبها حباً شديداً وكان كلما عزم على السفر ينشد وهو بعيد عنها:

ذكـرتُ زينـب لمـا وركـتُ أرمـاً   فقلت سُقيا لشخصٍ يسكن الحرما

بنـت الأميـن جزاهـا الله صـالحـة   وكـل بعـلٍ سثنـي بـالـذي عَلِمَـا[1]

ولما نزل الوحي على سيدنا محمد مبلغاً إياه نبأ النبوة، علمت بالأمر زينب فلبثت في مكانها ولم تتكلم، فسألتها أختها فاطمة، أو ما يسرك يا أختي أنك بنت نبي هذه الأمة؟ فأجابتها زينب: أجل يا فاطمة! وأيُّ فتاة لا يزدهيها ذلك الشرف الذي ما بعده شرف؟ ولكنه الذي سمعتُ وسمعتِ

---

(١) طبقات ابن سعد: (ج٨/ ٢٠)، والاستيعاب لابن عبد ربه (ج٤/ ١٨٥).

من قولي خالي «ابن ورقة»: «ليكذَّبنَّ، وليؤذينَّ، وليخرجنَّ، وليقاتلنَّ»[1]؟!

ولما حملت الخبر لزوجها أبي العاص زجرها وهو يردد قول المشركين لكنها لم تسكت على ذلك وقالت: والله ما كنت لأكذب أبي وإنه والله لكما عرفت أنت وقومك أنه: الصادق الأمين.

ثم قالت: وإني والله قد آمنت بما جاء وأسلمت، وكذلك أمي وأخواتي وعلي ابن عمي وأبو بكر الصديق، وأسلم من قومك ابن عمك عثمان بن عفان وابن خالك الزبير بن العوام، وكما آمن وصدقه ابن خالك «ورقة بن نوفل» الذي توفاه الله منذ عهد قريب، فليس لك إلا أن تؤمن وتسلم.

لكنه أبى ذلك وثبت على شركه، أما والدها فقد لقي كما توقعت الأذى والعذاب من مشركي قريش فأخذت ترقبه بعين الأسى والحزن، محاولة تخفيف حزنه وأساه، إلى أن حان وقت الهجرة إلى المدينة، حيث هاجرت أخواتها، أما هي فقد بقيت عند زوجها أبي العاص بمكة ولم تمضِ أيام إلا وخرجت جيوش قريش محاربة رسول الله ﷺ وأصحابه بالمدينة، وكان الملتقى في عين بدر، وفي تلك المعركة أعز الله فيها الإسلام فنصر رسوله الكريم ﷺ والمؤمنين، خاذلاً الكفار المشركين، وقد حظي المسلمون بالأسرى الكثر من المشركين، ومن بينهم أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت محمد ﷺ.

ترى ما هو موقفها هل تؤدب زوجها غضباً وثأراً لأبيها أم تبعث له بالفدية؟ إن أخلاق زينب التي نهلتها من أبيها ومن تربيتها الإسلامية ألحت عليها بإرسال الفدية لزوجها، وليكون ذلك درساً واعظاً لزوجها المشرك، وفعلاً أرسلت زينب فداء أبي العاص بمال وبعثت فيه بقلادة لها كانت أمها خديجة رضي الله عنها، أدخلتها بها على ـ أبي العاص ـ حين بنى عليها، قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ تحدثنا بذلك: فلما رآها رسول الله ﷺ رقَّ

---

(١) السيرة الهاشمية: (ج١/ ٢٧٤). تاريخ الطبري (ج٢/ ٢٠٧).

لها رقة شديدة، وقال: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا»؟!.

قالوا: نعم يا رسول الله! فأطلقوه وردوا عليها الذي لها.

على شرط أن يخلّي سبيل زينب إليه فلما خُلِّيَ سبيل أبي العاص وقدم مكة أمر زينب باللحاق بأبيها بعد تجهيز متاعها، وكم كانت تتمنى لو أن زوجها يسلم فيذهبا سوية.

خرجت زينب في هودجها يقوده لها حماها (كنانة بن الربيع) أخو زوجها، ولما علم بالأمر رجال من قريش[1]، خرجوا في طلبها وأدركها هبار بن الأسود، فروعها بالرمح وكانت حاملاً فأسقطت وبرك حماها كنانة ونثر كنانته قائلاً: والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهماً فرجع الناس عنه، فقدم إليه أبو سفيان يرجوه أن يعيدها إلى مكة ثم يخرجها سراً حتى لا ينتشر بين الناس أن ذلاً قد أصابنا بعد مصيبتنا ـ أي معركة بدر ـ، إذ أنك أخرجتها علانية على رؤوس الناس، فعادا إلى مكة ليهاجرا سراً، ولما وصلت مكان أبيها سرت به كثيراً وكذلك هو وأهل المدينة وأقامت بالقرب من أبيها وإخوتها حتى القرن السادس للهجرة، حيث وقع أبو العاص في أسر بعض الصحابة بعد أن تعرضوا لقافلته وأخذ ماله فدخل أبو العاص على زينب مستجيراً بها فأجارته ثم سألت أباها ﷺ أن يرد عليه متاعه ففعل[2] وأمرها ألا يقربها ما دام مشركاً ورجع أبو العاص إلى مكة، وأعطى كل ذي حق حقه ثم قال: يا معشر قريش، هل بقي لأحدٍ منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا، فجزاك الله خيراً، فقد وجدناك وفياً كريماً، قال: **فأنا** أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ووالله ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوّف أن تظنوا أني إنما أردت أن آكل أموالكم، فلما

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (ج١/ ٦٥٤/ ٦٥٥).
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (ج٢/ ٢٤٩).

أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ مسلماً مهاجراً سنة (٧ هـ) فرد رسول الله ﷺ زينب بذلك النكاح الأول دون تغير أو شرط[١] وهكذا يتحقق أمل زينب لتعود إلى زوجها الحبيب فتنعم بقربه وبإسلامه. وبعد مضي سنة واحدة توفيت زينب أول سنة ثمان من الهجرة[٢] فحزن رسول الله ﷺ حزناً عظيماً وكذلك زوجها أبو العاص وابنتها أمامة وأختاها على فراقها.

قالت أم عطية: لما ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ، قال: «اغسلنها وتراً، ثلاثاً أو خمساً، واجعلن في الآخرة كافوراً، أو شيئاً من كافور، فإذا غسلتنها فأعلمنني».

فلما غسلناها، أعطانا حقوة فقال: «أشْعِرْنها إياها»[٣].

وهذا كان تعبيراً صادقاً عن عظيم محبته لبكره زينب وشديد حزنه عليها.

صلى عليها رسول الله ﷺ في مسجده وشيعها مع أصحابه إلى مثواها الأخير في أرض البقيع.

فرحمها الله تعالى ـ رضي الله عنها ـ وأرضاها هي وسائر المسلمين أجمعين.

* * *

---

(١) سيرة ابن هشام (ج١/ ٦٥٩).
(٢) الاصابة لابن حجر (ج١٢/ ٢٤٧).
(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (ج٢/ ٢٥٠) والحقوة: الإزار، وأشعرنها: أي أجعلنه مما يلي الجسد.

صفية بنت هشام المنقرية

من ربات الفصاحة والبلاغة، اشتهرت بكلامها الذي قالته عند قبر ابن عمها الأحنف حين توفي، ويحدثنا عن ذلك أبو الحسن بن الأعرابي الكوفي فيقول: حدثني أبو خالد يزيد بن يحيى الخزاعي عن محمد بن مسلمة عن أبيه قال: توفي الأحنف في دار عبدالله بن أبي العصيفير بالكوفة، وكان مصعب بن الزبير إذ ذاك أميراً على الكوفة من قبل أخيه عبدالله بن الزبير قال: فشيع[1] مصعب بن الزبير جنازة الأحنف فخرج متسلباً[2] في قميص بغير رداء[3]، وكانت الأمراء تفعل ذلك بالسيد إذا مات قال: فلما دفن الأحنف أقبلت صفية بنت هشام المنقرية على نجيب لها متخصرة[4] وكانت بنت عم الأحنف، حتى وقفت على قبره فقالت: لله درك من مجن في جنن ومدرج في كفن[5]، إنا لله وإنا إليه راجعون جعل الله سبيل الخير سبيلك ودليل الرشد دليلك، أما والذي أسأله أن يفسح لك في مدخلك وأن يبارك لك في محشرك ووالذي كنت من أجله في عدة ومن الكآبة في مدة ومن الأثرة[6] إلى نهاية ومن الضمار[7] إلى غاية، لقد كنت

---

(١) شيع الجنازة: خرج فيها.
(٢) متسلباً: من سلب بكسر اللام لبس السلاب وهي الثياب السود.
(٣) الرداء: الثوب الذي يلبس فوق سائر اللباس.
(٤) النجيب: وصف من أوصاف الناقة الجيدة، متخصرة: أي بيدها مخصرة وهي ما يمسكه الخطيب إذا خطب.
(٥) مجن: أي مستور، والجنن: القبر، ومدرج: مطوي.
(٦) الأثرة: هنا الحال الغير مرضية.
(٧) لعله من الضمر وهو الهزال.

صحيح الأديم[١] منيع الحريم، عظيم السلم، فاضل الحلم واري الزناد[٢]، رفيع العماد، وإن كنت لمسوَّداً[٣]، وإلى الملوك لموفداً[٤] وفي المحافل شريفاً، وعلى الأرامل عطوفاً، وكانت الملوك لقولك مستمعة ولرأيك متبعة ولقد عشت حميداً ودوداً، ومت شهيداً فقيداً، ثم أقبلت على الناس بوجهها فقالت: عباد الله إن أولياء الله في بلاده شهود على عباده وإنا لقائلون حقاً ومثنون صدقاً وهو أهل لطيب الثناء، فعليه رحمة الله وبركاته وما مثله في الناس إلا كما قال الشاعر في قيس بن عاصم:

عليك سلام الله يا قيس بن عاصم ... ورحمته ما شاء أن يترحما

فما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما

سلام امرىء أودعته منك نعمة ... إذا زار عن شحط بلادك سالماً[٥]

قال: فتعجب الناس من كلامها، وقال: فصحاؤهم، تالله ما رأينا كاليوم قط ولا سمعنا أفصح ولا أبلغ من هذه، قال: فبعث مصعب بن الزبير فخطبها إلى نفسه، فأبت عليه فما زال يتعاهدها[٦] ببره حتى قتل[٧].

* * *

---

(١) الجلد.

(٢) واري: أي متقد.

(٣) من السيادة.

(٤) موفداً من أوفد أقدمه.

(٥) زاره: من الزورة بمعنى البعد أي يعد والشحط البعد.

(٦) يتعاهدها: أي يتفقدها ويرعاها بدون طلب منها.

(٧) بلاغات النساء لطيفور (ص٥٥).

عائشة بنت أبي بكر

هي عائشة بنت أبي بكر الصديق عبدالله بن أبي قحافة.

صاحب رسول الله ﷺ وأول من صدقه، وقد كان مؤمناً متواضعاً فقيهاً زاهداً، أمها أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية، أختها أسماء ذات النطاقين، ولدت عائشة ـ رضي الله عنها ـ بمكة المكرمة قبل الهجرة بسبع سنوات. فكانت تقول: لم أعِ أبوايَ إلا وهما يدينان الدين. وهذا ما ساعد عائشة أن تنشأ ضمن أسرة إسلامية ينبع منها الإيمان الصادق، والمحبة الخالصة لله تعالى ولنبيه الكريم، فكانت الصديقة بنت الصديق وقد كناها رسول الله ﷺ «بالحميراء» لشدة بياضها مع احمرار في الوجه.

إذن فقد رضعت عائشة منذ صغرها لبان الإسلام واشتهرت في عصرها بالذكاء والفصاحة والبلاغة، فأصبحت من المحدثات الجريئات، والأديبات، وإضافة إلى ذلك فهي شاعرة فقيهة مجتهدة، عالمة بالطب، وقد أُخذ منها الدين، (القرآن والفرائض والسنة والفتوى). وبرعت في ذلك، وكانت تحفظ أحاديث العرب وأخبارهم وأنسابهم وإذا خطبت ملكت على الناس مسامعهم، وهذا التأثير العميق ساعدها على نشر تعاليم رسول الله ﷺ.

ولتكتمل تلك الصفات الطيبة عند عائشة ـ رضي الله عنها ـ، فقد أصبحت أم المؤمنين، وذلك عندما تزوجها النبي الكريم ﷺ بوحي من الله تعالى.

فقد جاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لأمنا عائشة: «أُريتُكِ في المنام ثلاث ليالٍ، جاءني الملك في خرقةٍ من حرير ـ وهو الحرير الأبيض ـ فيقول: هذه امرأتك، فأكشف عن وجهكِ، فإذا أنت هي! فأقول: إن يكُ

هذا من عند الله يمضه»[1].

وبهذه الخطبة ازدادت أواصر المحبة والصداقة والأخوة بين رسول الله ﷺ وصديقه أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وفي السنة الثانية للهجرة وبعد غزوة بدر بنى عليها النبي الكريم وهي بنت تسع سنين وقد أصدقها أربعمئة درهم، وسعد الصديق وزودته بهذا النسب المشرف لهم. ورغم اكتمال أنوثة عائشة لكنها كانت ما تزال تحمل في تصرفاتها طابع الطفولة، فقد دخل عليها رسول الله ﷺ يوماً فوجدها وقد صفت العرائس وجعلت لبعضها أجنحة فسألها عما تصنع، فقالت له: إنَّهنَّ خيول سليمان. فتبسم عليه الصلاة والسلام وعاد يسألها: وما هذه الأجنحة؟ فقالت: ألم تكن لسليمان خيول ذوات أجنحةٍ يطرن بها؟ فضحك صلى الله عليه وسلم ولم يمنعها من اللعب مع أترابها مراعياً بذلك صغر سنها، فهو الأب الحنون، والوالد العطوف ونبي الرحمة وهو القائل: «استوصوا بالنساء خيراً».

كبرت عائشة ببيت النبوة ونهلت منه العلم والدين والفضيلة، فكانت مثال الزوجة المطيعة التي ترعى شؤون زوجها وتحرص عليه، وقد عرف عنها الذكاء والوفاء والوعي والفهم، ولذلك كانت من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ بعد أمنا خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنهما ـ والدليل على ذلك قوله ﷺ حين سأله عمرو بن العاص: أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال: عائشة. قال: ومن الرجال؟ قال: أبوها. قال: ثم من؟ قال: عمر[2].

وقال أبو نُعيم في وصفها: الصديقة بنت الصديق، العتيقة بنت العتيق، حبيبة الحبيب، وأليفة القريب، سيد المرسلين محمد الخطيب، المبرأة من

---

(١) البخاري: فضائل الأنصار (ص٤٤). ومسلم: فضائل الصحابة (ص٧٩).
وقوله ﷺ «إن يكُ من عند الله يمضه» إخبار على التحقيق، وهو نوع من البديع عند أهل البلاغة يسمونه: تجاهل العارف، أو مزج الشك باليقين.

(٢) أخرجه أحمد والترمذي وقال: الترمذي حديث حسن.

العيوب، المعراة من ارتياب القلوب، عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ.

وأما الإمام الذهبي فيقول فيها: «ولا أعلم في أمة محمد ﷺ، بل ولا في النساء مطلقاً امرأة أعلم منها.. ونشهد أنها زوجة نبينا ﷺ في الدنيا والآخرة فهل فوق ذلك مفخر[1]»؟ ومن شديد محبته ﷺ لعائشة ـ رضي الله عنها ـ دعى لها قائلاً: (اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر، وما أعلنت) فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجرها من الضحك. فقال لها: أيسرك دعائي؟ فقالت: وما لي لا يسرني دعاؤك؟ فقال: إنه لدعائي لأمتي في كل صلاة.

وفي رواية أنه قال: أما والذي بعثني بالحق ما خصصتك بها من بين أمتي وإنها لصلاتي لأمتي بالليل والنهار في من مضى منهم ومن بقي إلى يوم القيامة وأنا أدعو لهم والملائكة يؤمنون على دعائي. وعن أنس رضي الله عنه أنه قال: أول حب كان في الإسلام، حب النبي عليه الصلاة والسلام لعائشة. التي سألته مرة قائلة: كيف حبك لي؟ فقال لها: كعقدة الحبل.. قالت: كيف العقدة يا رسول الله؟ قال: هي حالها. وزاع حب رسول الله ﷺ لزوجته عائشة بين المسلمين فكان أحدهم إذا أراد الهدية لرسول الله ﷺ قصد اليوم الذي يكون فيه عند عائشة ـ رضي الله عنها ـ وهذا مما أثار غيرة بقية زوجات النبي عليه الصلاة والسلام، فقلن لأم سلمة أن تذكر ذلك لرسول الله ﷺ، ولما فعلت أعرض عنها النبي الكريم، وأعادت عليه ذلك ثلاثاً فقال لها: «يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل عليَّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها». ثم قال معلناً مكانة زوجته عائشة: «إنها ابنةُ أبي بكر[2]».

وكما كانت زوجات النبي ﷺ يغرن من عائشة، كانت هي تغار منهن

---

(١) سير أعلام النبلاء (ج٢/ ١٤٠).
(٢) صحيح مسلم: فضائل الصحابة (باب: ٣١).

أيضاً، وأكثر ما أثارت الغيرة في قلبها عندما تزوج من أم سلمة، فشكت غيرتها لضرتها حفصة التي اتخذتها صديقة بعد أن علمت مكانة أبيها عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في قلب زوجها عليه الصلاة والسلام فصاحبتها واصطفتها لنفسها، فقالت لها: لقد رأيتها ـ أي أم سلمة ـ أجمل ما تقوله النسوة عن جمالها، بل أضعاف ما وصفت. فتعاطفت معها حفصة وهونت عليها لشدة ما رأت عليها من حزن، على الرغم من حب النبي ﷺ لها وسروره منها.

فقد روى لنا الزبير ـ رضي الله عنه ـ عن عائشة ـ أم المؤمنين ـ أنها قالت: كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يخصف نعله وكنت أغزل. فنظرت إليه وإذ جبينه يعرق وعرقه يتولد نوراً، قالت فبُهتُّ. فنظر إليَّ قائلاً: ما لكِ بهتِّ؟ فقلت: يا رسول الله، نظرت إليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نوراً. فلو رآك أبو كبير الهذليُّ لعلم أنك أحق بشعره. قال: «وما يقول يا عائشة أبو كبير الهذليُّ»؟ فقالت: يقول:

ومُبَـرَّأً مـن كـلِّ غُبَّـرِ حَيْضَـةٍ وفسـادِ مُـرْضِعـةٍ وداءٍ مُغْيـلِ[1]
وإذا نظـرتَ إلـى أسِـرَّةِ وجهـهِ بَرَقَتْ كَبرقِ العارضِ المتهلِّلِ[2]

قالت: فوضع رسول الله ما كان في يده وقام إليَّ فقبَّل ما بين عينيَّ وقال: «جزاك الله يا عائشة خيراً. ما سُرِرتِ مني كسروري منك».

كما أنه صلى الله عليه وسلم قد كناها بأم عبدالله نسبة لولد بن الزبير، لأنها حنكته لما ولد بتمرةٍ.

وقد كانت تفخر على أزواج النبي عليه الصلاة والسلام فتقول: لقد أعطيت تسعاً ما أعطيتها امرأة بعد مريم بنت عمران، وهي أنني صورت لرسول الله ﷺ قبل أن أصور في رحم أمي، وتزوجني بكراً ولم يتزوج بكراً

---

(١) الغبر: البقية، الحيضة: المرّة من الحيض. والمغيل: من أغيلت المرأة ولدها فهو مغيل: إذا أرضعته على حبل، يقول: إنها لم تحمل عليه فتسقيه الغيل وليس به داء شديد معضل.

(٢) أسرة الوجه: طرائفه. والعارض: الذي يجيء معارضاً في السماء. والمتهلل: المطر.

غيري، وكان ينزل عليه الوحي وهو بين سحري ونحري، ونزلت براءتي من السماء، وكنت أحب الناس إليه، وكان يصلي وأنا معترضة بين يديه ولم يكن يفعل ذلك بأحد من نسائه غيري، ولم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيري، وكنت أغتسل أنا وهو من إناء واحد ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه، وقبض الله نفسه ورأسه في حجري وقبره في بيتي.

وقد قالت في ذلك قصيدة لطيفة:

إنّي خصصت على لسان محمّدٍ — بصفـاتٍ بسـرٍّ تحتهـن معـانـي
وسبقتهـنَّ إلـى الفضـائـل كلِّهـا — فـالسَّبْقُ سبقـي والعنـان عنـانـي
زوجي رسول الله لـم أرَ غيره — الله زوَّجنـي بـه وحَبَـانـي
وأتاه جبريلُ الأمينُ بصورتي — فـأحبَّنـي المختـارُ حيـن رآنـي
وأنا ابنةُ الصديق صاحب أحمدٍ — وحبيبـهُ فـي السـرِّ والإعـلان

ومن فضائلها أن جبريل عليه السلام أهداها السلام، بقول من زوجها صلاة الله عليه وسلامه «يا عائشة هذا جبريل وهو يقرأ عليك السَّلام». قالت: وعليه السلام ورحمة الله، ترى ما لا نرى يا رسول الله[1].

وقال ﷺ: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[2].

ويحدثنا عنها الزهري قائلاً: «لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل».

وروى هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: «ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن، ولا بفريضة، ولا بحلال ولا بحرام، ولا بشعر، ولا بحديث العرب، ولا بنسبٍ من عائشة».

ويقول عروة بن الزبير لعائشة: يا أماه! لا أعجب ممن فقهك وأنت

---

(١) الحديث رواه البخاري في بضعة مواضع من صحيحه، ورواه الإمام مسلم والترمذي وأبو داوود، وفي الدر المنثور للسيوطي (ج٦/ ١٧٠).
(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

زوجة رسول الله وابنة أبي بكر، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس وأنت ابنة أبي بكر وهو أعلم الناس، ولكن أعجب من علمك بالطب!. كيف هو؟ ومن أين هو؟ وما هو؟ قال: فضربت على منكبي ثم قالت: أي عُرَيَّه! إن رسول الله ﷺ كان يسقم في آخر عمره، فكانت تقدم عليه الوفود من كلِّ وجه فتنعت له، فكنت أعالجه، فمن ثُمَّ.

وإضافة على علم عائشة ـ رضي الله عنها ـ بالطب والشعر والفقه، علمها بالنجوم وأسمائها وأحوالها. عاشت أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ في كنف رسول الله عليه الصلاة والسلام سعيدة بقربه تنهل منه العلم وأصول الدين وتحفظ عنه الحديث قولاً وعملاً حتى أن أصحاب النبي الكريم والأشياخ الأكابر يسألونها عن الفرائض وكلما أشكل عليهم يلجؤون إليها فيجدون عندها الجواب الكافي والعلم الوافي.

ولم يعكر صفو حياة أم المؤمنين سوى أمرين قد أثرا فيها وحزنت بسببهما كثيراً أما الأول: فعندما اعتزل رسول الله ﷺ نساءه جميعاً وشاع الخبر أنه قد طلقهن. ولما استكمل الهجر شهراً كان أول ما نزل عند عائشة ـ رضي الله عنها ـ فتزاح عنها غمة الهجر وألم الفراق وتمضي المحنة الأولى على خير لتقدم على محنة أكبر وأعظم ألا وهي محنة حادثة الإفك المعروفة حيث دخل عليها نبي الله عليه الصلاة والسلام ليأخذ منها الخبر اليقين قائلاً: يا عائشة إنه قد كان ما بلغك من قول الناس، فاتقي الله، وإن كنت قارفتِ سوءاً مما يقول الناس، فتوبي إلى الله، فإن الله يقبل التوبة عن عباده. فما كان جوابها إلا أن قالت: والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً، والله لئن أقررت بما يقول الناس ـ والله يعلم أني منه بريئة ـ لتصدقني، لأقولن ما لم يكن، ولئن أنا أنكرت ما تقولون لا تصدقونني إنما أقول كما قال أبو يوسف: «فصبرٌ جميلٌ والله المستعانُ على ما تصفون»[1].

فقالت عائشة: فوالله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشاه من الله

---

(١) سورة يوسف (آية/ ١٨).

ما كان يتغشاه، فسجّي بثوبه، ووضعت له وسادة. ثم سُرِّي عن رسول الله ﷺ فجلس وإنه ليتحدر منه مثلُ الجمان[1] في يوم شاتٍ فجعل يمسح عن جبينه العرق، ويقول: «أبشري يا عائشة فقد أنزلَ الله براءتك». فقالت: الحمد لله.

ثم خرج إلى الناس وخطب فيهم، وتلا عليهم ما أنزل الله عز وجل من القرآن الكريم في براءة عائشة ـ رضي الله عنها ـ وقد أمر بإقامة الحد على كل من أفصح بالفاحشة.

وتمضي أيام تلك المحنة العسيرة على قلب سيدنا محمد ﷺ وزوجته الكريمة بالفرح والنصر من الله سبحانه وتعالى، فلتفخر تلك السيدة الطاهرة بهذا الفضل إذ أنزل الله عز وجل فيها من القرآن ما يتلى إلى يوم القيامة. وتعود السكينة والسعادة إلى حياتهما وقد أنشأت تقول:

وتكلـم الله العظيـمُ بحُجَّتـي ... وبـراءتـي فـي مُحكـم القـرآنِ
واللهُ في القرآن قد لَعَنَ الذي ... بعـد البـراءة بـالقبيـح رمـانـي
والله فضَّلنـي وعظَّـمَ حُـرْمتـي ... وعلـى لسـان نبيِّـه بـرَّانـي
والله وبَّـخ مَـنْ أرادَ تنقُّصـي ... إفْكاً وسَبَّحَ نفسه في شاني[2]

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «هلكت قلادة عائشة بالأبواء، فأصبح رسول الله عليه الصلاة والسلام يلتقطها فلم يجدوا ماءً، فأنزل الله عز وجل قوله الكريم ﴿فتيمموا صعيداً طيباً﴾[3]. فكان نزول تلك الآية بسبب عائشة رضي الله عنها وببركتها جعل الله تلك الرخصة لهذه الأمة.

وفي رؤية عائشة لجبريل عليه السلام تخبرنا أم سلمة بذلك فتقول: عن عائشة قالت: «رأيتك يا رسول الله واضعاً يدك على معرفة فرسٍ، وأنت

---

(١) الجمان: حب من فضة يصنع في مثل الدر.
(٢) المحاسن المجتمعة: (ص/٩٣). وقيل: إن هذه القصيدة لأبي عمر بن موسى بن محمد بن عبد الله الأندلسي الواعظ في مدح عائشة ـ رضي الله عنها ـ.
(٣) سورة النساء (آية/٤٣).

قائم تكلم دحية الكلبي». قال عليه الصلاة والسلام: «أوقد رأيته». قالت: نعم. قال: «فإنه جبريل، وهو يقرؤك السلام».

قالت: وعليه السلام ورحمة الله وجزاه الله خيراً من زائر، فنعم الصاحب، ونعم الداخل.

ومرت الأيام والسنون وعائشة تنهل من بيت النبوة العلم والزهد والفقه إلى أن حان وقت الفراق. وكانت حجة الوداع، وشعر النبي بقرب اللحاق بالرفيق الأعلى، وقد داهمت الحمى جسده فاستأذن نساءه أن يمرّض في حجرة عائشة ـ رضي الله عنها ـ التي قامت على تمريضه والعناية به ومات الحبيب المصطفى صلوات الله عليه وسلامه في حجرة الصدِّيقة بنت الصديق ودفن في بيتها، فتنال بذلك شرف الدارين كما دفن فيها أيضاً أبو بكر الصديق وعمر ـ رضي الله عنهما ـ وبذلك تكون رؤياها قد تحققت حيث رأت في نومها كأن ثلاثة أقمار سقطن في حجرتها الشريفة التي أصبحت المدرسة الأولى في الدنيا ليؤخذ منها الحديث الشريف، فقد كانت عائشة ـ رضي الله عنها ـ من الرواة السبع الذين نقلوا عن نبي الله عليه الصلاة والسلام الحديث حيث أن مروياتها بلغت (٢٢١٠) أحاديث.

ونظم بأسماء هؤلاء السبعة أبيات تقول:

سبعٌ من الصَّحب فوق الألفِ قد نقلوا ... من الحديثِ عن المختارِ خير مُضَرْ
أبــو هــريــرة سعــدٌ جــابــرٌ أنــسٌ ... صِدِّيقةٌ وابنُ عبَّاسٍ كذا ابنُ عُمَرْ[1]

وبعد وفاة رسول الله ﷺ، حل زمن الخلفاء الراشدين، وقد كان أولهم أبا بكر الصديق أبا حبيبة الحبيب، التي استقلت في حجرتها تفتي كبار الصحابة في معضلات أمورهم، فيأخذون برأيها، ويتبعون نصحها.

وعندما علمت أن أناساً نالوا من أبيها بعثت إلى أزفلة منهم فعذلت

---

(١) شذارات الذهب (ج١/ ٢٦٤، ٢٦٥).

وقرعت ثم قالت: أبي ما ابيةْ[1] لا تعطوه الأيدي ذاك والله حصن منيف[2] وظل مديد أنجح إذا أكديتم[3] وسبق إذ ونيتم سبق الجواد إذا استولى على الأمد[4] فتى قريش ناشئاً وكهفها كهلاً[5] يريش مملقها[6] ويفك عانيها ويرأب صدعها[7] ويلم شعثها حتى حلته قلوبها[8] واستشرى في دينه فما برحت شكيمته[9] في ذات الله عز وجل حتى اتخذ بفنائه مسجداً يحيى فيه ما أمات المبطلون وكان رحمة الله عليه غزير الدمعة[10] وقيذ الجوانح شجي النشيج[11]، واستمرت في كلامها خطبة طويلة.

---

(١) الهاء في أبيه هاء السكت يوقف عليها ومنها في القرآن الحكيم ﴿ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه﴾. وقولها أبي ما أبيه تعظيم لشأنه ومن هذا الباب في القرآن ﴿الحاقة * ما الحاقة﴾. وقولها لا تعطوه الأيدي: أي لا تبلغه فتتناوله، وفي نسخة يروى أبي والله العظيم يدل أبي ما أبيه.

(٢) ويروى طود منيف أي عال مشرف.

(٣) انجح أيسر وأعطى واكديتم منعتم ويروى قبل هذه الجملة (هيهات هيهات كذبت الظنون انجح الخ).

(٤) أي إذا بلغ الغاية.

(٥) فتى القوم سيدهم وسخيهم والناشىء الغلام جاوز حد الصغر والكهف الملجأ والكهل من وخطه الشيب.

(٦) المملق المفتقر ويريشه يصلح حاله والعاني الأسير.

(٧) الصدع الشق في شيء صلب ويرأبه يصلحه والمراد أنه يصلح أمورهم والشعث المتفرق.

(٨) المراد أن قلوبهم أحبته وحلت منزلته فيها وقولها استشرى أي جد وقوي واهتم وقيل هو من شرى البرق واستشرى إذا تتابع لمعانه.

(٩) شكيمته أنفته والفناء ما اتسع أمام الدار وهو رحبة الدار.

(١٠) غزير الدمعة أي كثير الدموع من البكاء خشية من الله والوقيذ الموقوذ وهو في الأصل الضرب المثخن والكسر والجوانح الضلوع التي حول القلب والمعنى من قولها (وقيذ الجوانح) أنه محزون القلب كأن الحزن قد كسره وأضعفه والجوانح تجن القلب وتحويه فأضافت الوقوذ إليها.

(١١) النشيج من نشج الباكي غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب والشجي المشغول والمراد أنه حزين يختنق بالبكاء أو أنه يحزن من يسمعه باكياً.

وقد اشتد المرض بأبي بكر فقالت عائشة مستشهدة:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ربيعُ اليتامى عصمةٌ للأراملِ

وقالت: يا أبت أعهد إلى حامتك وأنفذ رأيك في سامتك[١] وانقل من دار جهازك إلى دار مقامك[٢] إنك محضور[٣] متصل بقلبي لوعك وأرى تخاذل أطرافك[٤] وانتقاع لونك[٥] وإلى الله تعزيتي عنك ولديه ثواب حزني عليك أرقاً فلا أرقى[٦] وابل فلا أنقى[٧] قال: فرفع رأسه إليها فقال يا أمه[٨] هذا يوم يجلى لي عن غطائي وأعاين جزائي إن فرح فدائم[٩] وإن ترح فمقيم إني أطعت بإمامة هؤلاء القوم حين كان النكوص إضاعة وكان الخطو تفريطاً فشهيدي الله ما كان هبلي إياه تبلغت[١٠]بصحفتهم وتعللت بدرة لقحتهم[١١]وأقمت صلاي[١٢]معهم في إدامتهم لا مختالاً أشراً ولا مكاثراً بطراً لم أعد سد الجوعة ووري العورة[١٣]وقوامة القوم حاضري الله من

(١) الحامة العامة وخاصة الرجل من أهله وولده والسامة الخاصة ويروى (اعهد إلى عامتك وانفذ رأيك في خاصتك).

(٢) أي من دنياك إلى آخرتك.

(٣) المحضور من حضرته منيته واللوعة حرقة الحزن.

(٤) أي ضعفها.

(٥) أي تغيره ويروى امتقاع.

(٦) اسكن فلا اسكن.

(٧) أي ارتشف الماء فلا اروى وذلك من مضض الحزن ولوعتها عليه.

(٨) هي وإن كانت بنته ولكنها أم المؤمنين كما سبق بيانها فهو يخاطبها على هذه النسبة.

(٩) هكذا بالرفع لعله على تقدير حذف كان التامة أي كان فرح الخ.

(١٠) التبلغ الاكفاء بايسر ما يلزم والصحفة قصعة الطعام.

(١١) التعلل كالتبلغ واللقحة الناقة ودرتها مايدر من لبنها.

(١٢) الصلا وسط الظهر وإقامة صلاة كناية عن استقامته.

(١٣) أي سترها ومراده من كل ذلك أنه اجتزأ واقتصر على أقل ما يكفي لقوته غير متانق ولا مستكثر.

طوى ممعض[1] تهفو منه الأحشاء[2] وتجب له المعا[3] واضطررت إلى ذاك اضطرار البرض[4] إلى المعتب الآجن[5] فإذا أنا متُّ فردي إليهم صحفتهم ولقحتهم وعبدهم ورحاهم ووثارة ما تحتي اتقيت به نز الأرض كان حشوها قطع السعف المشع[6]. ثم قال لها: (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد)[7] ثم أغمي عليه فقالت:

لعمركَ ما يغني الثراءُ عن الفتى إذا حشرجتْ يوماً وضاق بها الصدرُ

وقد ذكر أن عائشة لما قبض أبو بكر ودفن قامت على قبره وقالت: نضر الله يا أبت وجهك[8] وشكر لك صالح سعيك فلقد كنت للدنيا مذلاً باد باركاً عنها وللآخرة معزاً بإقبالك عليها ولئن كان أعظم المصائب بعد رسول الله ﷺ رزؤك[9] وأكبر الأحداث بعده فقدك فإن كتاب الله عز وجل ليعدنا بالصبر عنك حسن العوض منك[10] وأنا متنجزة من الله موعده فيك بالصبر عليك ومستعينة بكثرة[11] الاستغفار لك[12]. فسلام الله عليك توديع غير قالية لحياتك ولا زارية على القضاء فيك[13].

---

(١) أي من جوع محزن.
(٢) أي تضعف.
(٣) المعا واحد الأمعاء وهي المصارين وتجب تنقطع.
(٤) الفقير.
(٥) إلى الرديء المتغير من طعام وماء.
(٦) السعف سعف النخل معروف والمشع المنفوش أي الغير مضغوط.
(٧) سورة ق: (آية/ ١٩).
(٨) النضارة: الحسن في غضاضة.
(٩) الرزؤ: المصيبة.
(١٠) ويروى (ليعدنا بالصبر عنك وحسن العوض منك).
(١١) ويروى كثرة بدون باء.
(١٢) ويروى بعد ذلك (ام لئن كانوا قاموا بأمر الدنيا لقد قمت بأمر الدين فعليك سلام الله الخ).
(١٣) أي غير مبغضة ولا عائبة.

ثم قالت: إن أبي كان غمراً شاهده غمراً غيبه غمراً صمته إلا عن مفروض ذلله عند الحق إذا نزل به[١]، يتمخج الأمر هويناه ويريع إلى قصيراه[٢]، إن استغزز أسجع وإن تعزز عليه طامن[٣]، طيار بفناء المعضلة[٤]، بطيء عن مماراة الجليس[٥] منشىء لمحاسن قومه موقور السمع عن الأذاة[٦]، يا طول حزني وشجاي[٧]، لم ألع على مثكول بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام لوعي على أبي[٨]، طامن[٩]، المصائب رزؤه وكنت بعد النبي ﷺ لا رزء أحفله[١٠]، وعاء الوحي وكافل رضاء رب العالمين وشفيع من قال لا إله إلا الله ثم أنشأت تقول:

إن ماء الجفون ينزحه الهـ ... ـمّ وتبقى الهموم والأحزان[١١]

ليس يأسوا جوى المرازىء ماء ... سفحته الشؤون والأجفان[١٢]

---

(١) الغمر: الكريم الواسع الخلق وشاهده حاضره، تصف أباها بالكرم والتسامح في علانيته وسره ونطقه وصمته إلا عن أمر مفروض فإن الحق لا تسامح فيه.

(٢) تمخج الماء: حركه، وهويناه: الأمر السهل، ويريع: يرجع، وقصيراه: غايته، يروى أنه يأخذ الأمور بالرفق حتى تبلغ غايتها.

(٣) استفزز: أي لغضب ونحوه، أسجح: أي سهل ومنه المثل ملكت فأسجح، ويروى أن استغزر (بالغين بدل الفاء، وراء في آخرها بدل زاي)، واسجح: حينئذ يكون معنى اسجح سمح، تريد من ذلك كله أنه سمح الخلق لا يغضب إلا للحق، أي حق الدين.

(٤) الفناء: رحبة الدار استعارتها للمعضلة الكبرى، والمعضلة: الأمر الشديد والمعنى أنه سريع في تدبير الأمور.

(٥) المماراة: الشك أو مجاراة الإنسان جليسه بالباطل.

(٦) أي يتصامم عن سماع الأذية، والموقور: الذاهب السمع.

(٧) الشجا: قهر الحزن.

(٨) أي لم تجزع على حبيب مفقود بعد النبي جزعها على أبيها.

(٩) أي أنساها هذا الرزؤ لعظمه.

(١٠) أبالي به.

(١١) ماء الجفون: أي الدموع.

(١٢) يأسو: يداوي، الجوى: الحزن، والمرازىء: من مات خيار قومه، ومثله المرزأ (بتشديد الزاي) وسفحته صبته والشؤون هنا مجاري الدمع.

ولما مات أخوها عبد الرحمن بن أبي بكر بالحبيش[1]، وقفت عائشة على قبره ممتثلة بشعر متمم بن نويرة في أخيه مالك فقالت:

وكنّا كندماني جذيمة برهة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلمّا تفرقنا كأنّي ومالكاً ... لطولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا[2]

تولى الخلافة بعد أبي بكر عمر بن الخطاب ومن ثم عثمان، وفي مقتل عثمان خطبت عائشة ـ رضي الله عنها ـ خطبة طويلة وهذه مقتطفات منها حيث قالت: إن لي عليكم حرمة الأمومة[3]، وحق الموعظة لا يتهمني إلا من عصى ربه، وقبض رسول الله ﷺ بين سحري ونحري[4]، وأنا إحدى نسائه في الجنة، له ادخرني ربي وحصنني من كل بضع[5]، وبي ميز مؤمنكم من منافقكم[6]، وبي أرخص لكم في صعيد الأبواء[7]، وأبي رابع أربعة من المسلمين[8]، وأول من سمي صديقاً[9]، قبض رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو راضٍ عنه، وقد طوقه وهف الإمامة[10]، ثم اضطرب حبل الدين فأخذ أبي بطرفيه ورتق لكم أثناءه[11]، فوقذ

(١) جبل أسفل مكة.
(٢) البداية والنهاية (ج٧/ ٨٩)، أعلام النساء (ج٣/ ١٢٠).
(٣) لأنها من أمهات المؤمنين أزواج النبي قال الله تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾.
(٤) السحر: الرئة، والنحر: أعلى الصدرتريد أنه مات محضوناً بين يديها وصدرها.
(٥) أي من كل نكاح لأن النبي ﷺ تزوجها بكراً من بين نسائه.
(٦) تشير إلى حديث الإفك المعروف في كتب التواريخ.
(٧) أرخص اجاز، والصعيد: التراب، والأبواء: المفازة، ويروى صعيد الأقواء جمع قواء وهو القفر الخالي من الأرض، تريد أنها كانت سبباً في رخصة التيمم. صحيح البخاري.
(٨) تشير إلى أنه من الأوائل السابقين في التشرف بدخول الاسلام.
(٩) لأنه كان كلما تحدث النبي ﷺ بشيء أجابه (صدقت).
(١٠) أي ثقلها.
(١١) الرتق ضد الفتق ويروى ربق، وأثناء الشيء قواه، تريد لما اضطرب الأمر يوم الردة أحاط به من جوانبه وضمه.

النفاق[١]، وأغاض نبع الردة[٢]، وأطفأ ما تحش يهود[٣]، وأنتم يومئذٍ جحظ العيون العدوة وتستمعون الصيحة[٤] فرأب الثأي[٥]، ولوزم العطلة[٦]، وامتاح من المهواة[٧]، واجتحى دفين الداء[٨]، ثم انتظمت طاعتكم بحبله، فولي أمركم رجلاً شديداً في ذات الله عز وجل[٩]، مذعناً إذا ركن إليه[١٠]، بعيد ما بين اللابتين[١١]، عركة للأذاة بجنبيه[١٢]، فقبضه الله واطأً على هامة النفاق مذكياً[١٣]، نار الحرب للمشركين يقظان الليل في نصرة الإسلام صفوحاً عن الجاهلين خشاش المراة والمخبرة[١٤]فسلك مسلك السابقية[١٥]. إلخ.

---

(١) أي كسره ودمغه.

(٢) النبع العين التي يخرج منها الماء وأغاضه: أنقصه، تريد أنه لافى فورتها من أصلها.

(٣) ويروى ما حشت يهود: أي ما أوقدت من نيران الفتنة والحرب.

(٤) تريد أنهم في حالة جهد وبلاء/ اجحاظ عيونهم: أي ابرازها وهم ينظرون الوثبة عليهم ويسمعون للنصائح اليهم وقد اسقط في يدهم.

(٥) أي أصلح الفاسد.

(٦) العطلة: الدلو المعطلة عن الاستقاء لانقطاع وزمها: أي السيور التي بين آذانها أو عراها، وأوزمها: أي شدها وأصلحها.

(٧) امتاح: انتزع، والمهواة ارادت بها البئر العميقة.

(٨) اجتحى: استأصل ويروى (واجتهر دفن الرواء) وهذا مثل ضربته لاحكام الأمر بعد انتشاره وشبهته برجل اتى على آبار قد اندفن ماؤها فاخرج ما فيها والرواء بالفتح والمد: الماء الكثير وقيل العذب الذي فيه الواردون ري.

(٩) تريد عمر بن الخطاب الخليفة بعد أبيها.

(١٠) المذعن: المسرع في الطاعة.

(١١) اللابتين: مثنى اللابة نوع من أنواع الأرض تريد أنه واسع الصدر فاستعارت له اللابة كما يقال رحب الفناء واسع الجناب.

(١٢) أي يحتمله ويروى عركة للاذاة.

(١٣) الهامة: الرأس. ومذكياً: موقداً.

(١٤) تريد أنه لطيف الجسم والمعنى.

(١٥) أي سبقوه بالنظر في أمر المسلمين.

وقالت أيضاً: «أقتل أمير المؤمنين؟ قالوا: نعم، قالت: رحمه الله، وغفر له، أما والله لقد كنتم إلى تشييد الحق وتأييده وإعزاز الإسلام وتأكيده أحوج منكم إلى ما نهضتم إليه من طاعة من خالف عليه ولكن كلما زادكم الله نعمة في دينكم ازددتم تثاقلاً في نصرته طمعاً في دنياكم، أما والله لهدم النعمة أيسر من بناها وما الزيادة إليكم بالشكر بأسرع من زوال النعمة عنكم بالكفر[1]، وايم[2] الله لئن كان فنيّ أكله واخترمه أجله[3]، لقد كان عند الرسول كزراع البكرة الأزهر[4]، ولئن كانت الإبل أكلت أوبارها[5]، إنه لصهر رسول الله عليه الصلاة والسلام... إلخ».

ومرت الأعوام، وتتابعت الخلافات، وبقيت عائشة ـ رضي الله عنها ـ أفقه الناس وأعلمهم وأفصحهم متأثرة بذلك بالقرآن الكريم، والحديث الشريف، وما أخذته من رسول الله ﷺ من أقوالٍ وأفعال.

ومن أقوالها: من أكل التمر وتراً لم يضره. والمنزل بيد المرأة أحسن من الرمح بيد المجاهد في سبيل الله.

ولا سهر إلا لثلاثة: مصلٍّ، أو عروس، أو مسافر.

وأما قولها في التماس مرضاة الله: (إنكم لن تلقوا الله بشيء خيراً لكم من قلة الذنوب، فمن سره أن يسبق الدائب المجتهد فليكفّ نفسه عن كثرة الذنوب).

وأما قولها في مكارم الأخلاق: (إن لمكارم الأخلاق عشر خصال تكون في العبد دون سيده، وفي الخامل دون المذكور[6]، وفي المسود دون

---

(١) كفر النعمة: سترها أو عدم تصريفها في الوجوه المشروعة.
(٢) ايم: للقسم والتقدير يمين الله قسمي ومثله أما ويمين الله.
(٣) أي قطعته منيته.
(٤) البكرة: الفتية من الإبل ويروى البكر والأزهر الأقوى.
(٥) مثل يضرب لوقوع أشنع وأبعد ما يرتكبه المعتدي، تريد أنه وإن كان حصل فإنه هو عثمان صهر الرسول ﷺ لا ينكر فضله ولا يذهب دمه هدراً.
(٦) أي من نبه ذكره وهو ضد الخامل الذي لا ذكر له.

السيد: صدق الحديث، وأداء الأمانة، والصدق، والصبر في البأس، والتذمم للصاحب، والتذمم للجار[1]، والإعطاء في النائبة، وإطعام المسكين والرفق بالمملوك وبر الوالدين.

بتلك الفصاحة والبلاغة والرأي السديد أخذت عائشة أم المؤمنين ألباب من حولها، وعن ذلك قال موسى بن طلحة: ما رأيت أحداً أفصح من عائشة[2]. وقال معاوية: والله ما رايت خطيباً قد أبلغ ولا أفصح من عائشة[3].

لقد امتلأت حياة عائشة بالخطب والمواقف العظيمة وكان لا يحدث لها أمر إلا أنشدت فيه شعراً.

ويقال: إنها كانت تروي شعر لبيد بن ربيعة[4].

ومن كلماتها في الحث على تعلم الشعر: علموا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم[5].

وعن الزهدي يذكر لنا الزبير عن مصعب بن عبدالله أن عائشة أم المؤمنين رأت رجلاً متماوتاً[6] فقالت: ما هذا؟ فقالوا: زاهدٌ، قالت: قد كان عمر بن الخطاب ـ رحمه الله ـ زاهداً، وكان إذا قال أسمع، وإذا مشى أسرع وإذا ضرب في ذات الله أوجع[7].

ولما شعرت حبيبة الحبيب ـ رضي الله عنها ـ بالمرض يدخل إلى

---

(١) لعل المراد احتمالهما.
(٢) أخرجه الترمذي، وقال: حسن صحيح.
(٣) أخرجه الترمذي، وقال: حسن.
(٤) راجع العمدة (ج١/ ١٧).
(٥) راجع العقد الفريد (ج٦/ ٧).
(٦) خامد الحس والحركة.
(٧) أي إذا ضرب مذنباً تنفيذاً لحدود الله أوجع. تريد أن لا تنافي بين الزهد وقوة الإنسان.

أعضائها وقد اشتد عليها جوعت كثيراً فقيل لها: أتجزعين يا أم المؤمنين وأنت زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبي بكر الصديق. فقالت: «إن يوم الجمل[1] معترض في حلقي ليتني مت قبله أو كنت نسياً منسياً».

وذكر أنه لما دخل عليها ابن أختها عبدالله بن عبد الرحمن وجلس عند رأسها قال: أبشري فما بينك وبين أن تلقي محمداً ﷺ والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد.

وتوفيت عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - ليلة الثلاثاء (١٧ رمضان) بالمدينة المنورة سنة (٥٨هـ)[2] وهي ابنة ست وستين سنة ودفنت بالبقيع من ليلتها بعد صلاة الوتر حيث صلى عليها أبو هريرة - رضي الله عنه - ونزل في قبرها خمسة من محارمها وقد اجتمع على جنازتها أهل المدينة والعوالي، وقالوا: لم نرَ ليلة أكثر ناساً منها، حزناً وأسفاً على فراق أم المؤمنين، وبركة الإسلام والمسلمين رحمك الله وغفر لك، وكرّمك في الجنة.

أجل إن الجنة موعدك فقد بشرك بها رسول الله ﷺ قائلاً: «إنه ليهون عليَّ أني رأيت بياض كف عائشة في الجنة».

رضي الله عنك يا حبيبة الحبيب وأرضاك.

* * *

---

(١) هو يوم محاربتها لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وسمي بالجمل لأنها خرجت يومها راكبة عليه.

(٢) وفي رواية ٥٦هـ وأخرى ٦٩هـ.

عائشة بنت عثمان

هي عائشة بنت عثمان بن عفان، من ربات الفصاحة والبلاغة، وقد تمتعت بشخصية قوية جريئة، جعلتها تقف موقف الثبات عند مقتل أبيها عثمان بن عفان ـ رضي الله عنهما ـ لتقول كلمتها في الناس الذين خرجوا يسعون تشتد بهم دوابهم وقد استطاروا فرحاً، واستفزهم الجَدَل، بموته حتى قدموا علياً فبايعوه، ولتصرخ بأعلى صوتها قائلة:

يا ثارات عثمان، إنا لله وإنا إليه راجعون، أُفنيت نفسه وطل دمه في حرم رسول الله ﷺ، ومنع من دفنه، اللهم ولو يشاء لامتنع ووجد من الله عز وجل حاكماً، ومن المسلمين ناصراً، ومن المهاجرين شاهداً، حتى يفيء إلى الحق من صد عنه أو تطيح هامات وتفري غلاصم[1]. وتخاض دماء ولكن استوحش مما أنستم به واستوخم ما استمرأتموه. يا من استحل حرم الله ورسوله، واستباح حماه. لقد نقمتم عليه أقل مما أتيتم إليه فراجع فلم تراجعوه، واستقال فلم تقيلوه. رحمة الله عليك يا أبتاه. احتسبت نفسك وصبرت لأمر ربك حتى لحقت به، وهؤلاء الآن قد ظهر منهم تراوض الباطل وإذكاء الشنآن، وكوامن الأحقاد، وإدراك الأحن والأوتار وبذلك وشيكاً كان كيدَهم، وتبغيهم وسعي بعضهم ببعض فما أقالوا عاثراً ولا استعتبوا مذنباً، حتى اتخذوا ذلك سبباً في سفك الدماء وإباحة الحمى وجعلوا سبيلاً إلى البأساء والعنت فهلا أعلنت كلمتكم وظهرت حسكتكم[2]، إذا ابن الخطاب قائم على رؤوسكم، ماثل في عرصاتكم يرعد ويبرق بإرعابكم يقمعكم غير حذر من تراجعكم الأماني

(١) الغلاصم: جمع غلصمة وهي اللحم بين الرأس والعنق، وتفري: تقطع.
(٢) حقدكم وعداوتكم.

بينكم، وهلا نقمتم عليه عوداً وبدأ إذ ملك ويملك عليكم من ليس منكم بالخلق اللين والجسم الفصيل يسعى عليكم وينصب لكم لا تنكرون ذلك منه خوفاً من سطوته وحذراً من شدته، أن يهتف بكم متقسوراً[1]، أو يصرخ بكم متعذوراً[2]، إن قال صدقتم قالته، وإن سأل بذلتم سألته. يحكم في رقابكم وأموالكم كأنكم عجائز صلع وإماء قصع[3] فبدأ معلناً لابن أبي قحافة بإرث نبيكم على بعد رحمه وضيق بلده وقلة عدده. فوقاه الله شرها زعم لله دره ما أعرفه ما صنع، أو لم يخصم الأنصار بقيس، ثم حكم بالطاعة لمولى أبي حذافة يتمايل بكم يميناً وشمالاً، قد خطب عقولكم واستمهر وجلكم ممتحناً لكم ومعترفاً أخطاركم، وهل تسموا هممكم إلى منازعته، ولولا تيك لكان قسمه خسيساً وسعيه تعيساً، لكن بدر الرأي وثنى بالقضاء وثلث بالشورى ثم غدى سامراً[4] مسلطاً درته على عاتقه فتطأطأتم له تطأطأ الحقة[5]، ووليتموه أدباركم حتى علا أكتافكم، فلم يزل ينعق بكم في كل مرتع، ويشد منكم على كل محنق. لا ينبعث لكم هتاف، ولا يأتلف لكم شهاب يهجم عليكم بالسراء، ويتورط بالحوباء عرفتم أو نكرتم لا تألمون ولا تستنطقون حتى إذا عاد الأمر فيكم ولكم وإليكم في مونقة من العيش عرقها وشيج[6] وفرعها عميم وظلها ظليل تتناولون من كثب ثمارها أنى شئتم رغداً، وحليت عليكم عشار[7] الأرض درراً واستمرأتم أكلكم، من فوقكم ومن تحت أرجلكم في خصب غدق وأمق

---

(١) مستأسداً.

(٢) من أعذر في ظهره ضربه فأثر فيه.

(٣) قصعة: حقره.

(٤) من سمر الشيء شدّه.

(٥) الحقة: الناقة التي سقطت أسنانها كبراً.

(٦) مشتبك القرابة.

(٧) العشار: النوق قاربت الانتاج وهي هنا مجاز.

شرق[١] تنامون في الخفض وتستلينون الدعة، ومقتم زبرجة الدنيا، وحرجتها واستحليتم غضارتها ونضرتها وظننتم أن ذلك سيأتيكم من كثب[٢] عفواً، ويتحلب عليكم رسلاً[٣] فانتضيتم سيوفكم وكسرتم جفونكم وقد أبى الله أن تشام[٤] سيوف جردت بغياً وظلماً، ونسيتم قول الله عز وجل أن الإنسان خلق هلوعاً، إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً، فلا يهنيكم الظفر ولا يستوطنن بكم الحرص فإن الله بالمرصاد وإليه المعاد، والله ما يقوم الظليم إلا على رجلين، ولا ترن القوس إلا على سيتين[٥] فاثبتوا في الغرز[٦] أرجلكم فقد ضللتم هداكم في المتيهة الحرقاء كما ضل أدحية الحسقل[٧] وسيعلم كيف تكون إذا كان الناس عباديد[٨] وقد نازعتكم الرجال واعترضت عليكم الأمور وساورتكم[٩] الحروب بالليوث وقارعتكم الأيام بالجيوش وحمى عليكم الوطيس[١٠] فيوماً تدعون من لا يجيب ويوماً تجيبون من لا يدعو وقد بسط باسطكم كلتا يديه يرى أنهما في سبيل الله، فيد مقبوضة وأخرى مقصورة، والرؤوس تنزو عن الطلى والكواهل[١١] كما ينقف التنوم[١٢] فما أبعد نصر الله من الظالمين واستغفر الله مع المستغفرين.

---

(١) غدق: كثير، وومق: محبوب، وشرق: مضيء.
(٢) قرب.
(٣) سهلاً.
(٤) تغمد أو تسل ضد آخر والأول هو المراد.
(٥) جانبين.
(٦) موضع الرجل من الرجل.
(٧) الحسقل: الصغير من ولد كل شيء، والأدحى: بيض النعام في الرمل.
(٨) فرقاً.
(٩) واثبتكم.
(١٠) شدة الحرب.
(١١) تثب، والطلي: أصول الرؤوس.
(١٢) ينقف: من النقف وهو شق الحنظل، والتنوم: لم يذكره القاموس ولعله النومان وهو نبت.

وفي سنة ٤١ هـ أي بعد عام الجماعة قدم معاوية المدينة، فدخل دار عثمان بن عفان فصاحت عائشة بنت عثمان وبكت ونادت أباها. فقال معاوية: يا ابنة أخي إن الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أماناً وأظهرنا لهم حلماً تحته غضب، وأظهروا لنا ذلاً تحت حقد، ومع كل إنسان سيفه ويرى موضع أصحابه فإن نكثناهم نكثوا بنا ولا ندري أعلينا تكون أم لنا ولأن تكوني ابنة عم أمير المؤمنين خير من أن تكوني امرأة من عرض الناس.

وقد خطب أبان بن سعيد بن العاص[1] عائشة بنت عثمان بن عفان فقالت: لا أتزوج به والله أبداً. فقيل لها: ولم ذاك؟ قالت: لأنه أحمق له برذونان أشهبان فهو يتحمل مؤونة اثنين واللون واحد. وقالت: لما نزل بأيلة[2] وترك المدينة:

نزلت ببيت الضب لا أنزل ضائر عــدواً ولا مستنفعــاً أنــت نــافــع

* * *

---

(١) ورد في بلاغات النساء (ص١٣٩) أن الذي خطبها هو سعيد بن العاص.

(٢) ايلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام. وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام. وقيل: غير ذلك.

عاتكة بنت زيد

هي عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل القرشية العدوية[١]. أمها أم كريز بنت الحضرميّ، شاعرة من شواعر العرب، وقد اتصفت بالجمال والكمال، والخلق الحسن، والفصاحة والبلاغة، فكانت ذات عقل راجح ورأي جزل صائب. قال عنها ابن كثير ـ رحمه الله ـ (كانت من حسان النساء وعبَّادهن).

أسلمت عاتكة بمكة المكرمة، وبايعت رسول الله ﷺ، وهاجرت مع من هاجر إليه إلى المدينة المنورة[٢]. وقد تزوجت من عبدالله بن أبي بكر الذي أحبها حباً شديداً فشغل بجمالها وفصاحتها عن مغازيه وتجارته وأمور دينه. ففي يوم مر عليه أبوه (أبو بكر الصديق) وهو في علّية[٣] يناغيها في يوم الجمعة، وكان متوجهاً إلى صلاة يوم الجمعة، فصلى أبو بكر ثم رجع فوجده لا ينفك يناغيها فقال له: يا عبدالله. أجمعت[٤]؟ قال: أوصلى الناس؟ قال: نعم. قال له أبو بكر: قد شغلتك عاتكة عن المعاش والتجارة وقد ألهتك عن فرائض الصلاة طلقها. فطلقها تطليقة واحدة، وتحولت عاتكة إلى بيت أهلها، فحزن زوجها عليها حزناً عظيماً، وأنشد يقول:

يقُولون طَلِّقْهَا وخيّم مكانَها ... مقيماً تُمَنِّي النفسَ أحلامَ نائم

وإن فِراقي أهل بيتٍ جمعتهم ... على كَثْرة منّي لأحدَى العَظَائمِ

أراني وأهلي كالعُجُولِ تروّحتْ ... إلى بَوِّهَا قبلَ العِشار الرَّوائمِ

---

(١) الطبقات (ج٨/ ٢٦٥)، الاستيعاب (ج٤/ ٣٥٤)، وأسد الغابة (ج٥/ ٤٩٧) البداية والنهاية (ج٨/ ٢٥). الاصابة (ج٤/ ٣٤٩).

(٢) أسد الغابة لابن الاثير (ج٥/ ٤٩٧) الاصابة لابن حجر (ج١٣/ ٣٣).

(٣) العلية: بيت صغير يبنى على سطح بيت.

(٤) أجمعت: أي أشهدت الجمعة وصليت؟.

وبينما أبو بكر يصلي على سطح له في الليل إذ سمع ولده عبدالله وهو يقول:

أعاتكُ لا أنسى ما ذَرَّ شارقٌ[1] وما ناح قِمريّ الحمام المطوّقُ
أعَاتكُ قلبي كلَّ يومٍ وليلةٍ إليكِ بما تُخفي النفوس معلّقُ
ولم أرَ مثْلي طلّق اليومَ مثْلَها ولا مثلَها في غيرِ جُرْمٍ تُطَلَّقُ
لها خُلُقٌ جَزلٌ ورأيٌ ومنصبُ وخَلْقٌ سَويٌّ في الحياء ومصدقُ

فسمع أبوه (أبو بكر الصديق) ـ رضي الله عنه ـ فأشرف عليه وقد رق قلبه، فقال له: يا عبدالله، راجع[2] عاتكة، فقال: أُشهدك أني قد راجعتها. وكان له غلام يقال له أيمن، فقال له: يا أيمن، أنت حر لوجه الله تعالى، أشهدك أني قد راجعت عاتكة، ثم خرج إليها يجري إلى مؤخر الدار وهو يقول:

أعاتِكُ قد طُلِّقتِ في غير ريبةٍ ورُوجعتِ للأمر الذي هو كائِنُ
كذلك أمرُ الله غادٍ ورائح على النَّاس فيه أُلفَةٌ وتبايُنُ
وما زالَ قلبي للتفرق طائراً وقلبي لما قدْ قرَّبَ الله ساكنُ
ليُهنكِ أنِّي لا أرى فيه سَخطةً وأنكِ قد تمتْ عليكِ المحاسنُ
وأنّكِ ممّنْ زيّنَ الله وَجْهَهُ وليسَ لِوَجْهِ زَانَهُ الله شائنُ[3]

ولما راجع عبدالله عاتكة وهبها حديقة على ألا تتزوج بعده، وأقام عندها إلى أن كانت غزوة الطائف والتي شهدها عبدالله وقد رميَ بسهم واستشهد فيها، فحزنت عليه عاتكة حزناً كبيراً وأنشأت ترثيه قائلة:

رزئتُ بخير النَّاسِ بعد نبيّهم وبعد أبي بكرٍ ما كانَ قصرا

---

(١) أي ما طلعت شمس.
(٢) راجع عاتكة: عد إليها.
(٣) الاستيعاب لابن عبد البر، الإصابة (ج١٣/٧٥-٧٦) أسد الغابة لابن الأثير (ج٥/٤٩٨).

فآليت[1] لا تنفكُّ عيني حزينةً[2] عليكَ ولا ينفكُّ جِلْدي أغبرا
مدى الدَّهرِ ما غنّتْ حمامة أيكةٍ وما طردَ الليلُ الصَّباحَ المنورا[3]
فللّهِ عيناً من رأى مثله فتىً أكرم[4] وأحمى في الهياجِ[5] وأصبرا
إذا شرعتْ فيهِ الأسنَّة خَاضَها إلى الموتِ حتى يتركَ الرّمح[6] أحْمَرا

وعندما انقضت عدتها خطبها عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فذكرت له أن عبدالله بن أبي بكر أعطاها حديقة على أن لا تتزوج بعده، فقال لها عمر: استفتي، فاستفتت علي بن أبي طالب فقال رُدِّي الحديقة على أهله وتزوجي، فتزوجت عمر سنة ٢١هـ. وقد دعا عمر إلى عدة من أصحاب رسول الله ﷺ، وفيهم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم «يعني دعاهم». فقال له علي: إن لي إلى عاتكة حاجة أريد أن أذكرها إياها، فقل لها تستتر حتى أكلمها، فقال لها عمر: استتري يا عاتكة فإن ابن أبي طالب يريد أن يكلمك، فأخذت عليها مرطها[7] فلم يظهر منها إلا ما بدا من براجمها فقال يا عاتكة[8]:

فأقسمت لاتنفكُ عيني سخينةً عليكَ ولا ينفكُّ جلديَ أغبَرَا

فقال له عمر: ما أردت إلى هذا؟ فقال: وما أرادت إلى أن تقول ما لا تفعل، وقد قال الله تعالى: ﴿كَبُرَ مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا

---

(١) وردت في الأغاني وأعلام النساء لكحالة «فأقسمت». أما في شاعرات العرب وردت «وآليت».
(٢) وردت في شاعرات العرب وأعلام النساء لكحالة والأغاني «سخينة» وكذلك في نساء من عصر النبوة.
(٣) الأغاني (ج١٨/ ٩)، عيون الأخبار: (ج٤/ ١١٤)، الدر المنثور: (ص٣٢١)، أسد الغابة (ج٥/ ٤٩٨).
(٤) وردت في شاعرات العرب والأغاني وأعلام النساء لكحالة ونساء من عصر النبوة «وأكرّ».
(٥) وردت في نساء من عصر النبوة «الجهار».
(٦) وردت في شاعرات العرب «الموت».
(٧) المرط: الغطاء من صوف أخَز .
(٨) البراجم: مفاصل الأصابع.

تفعلون﴾[1] وهذا شيء كان في نفسي أحببت والله أن يخرج، فقال عمر: ما حَسَّنَ الله فهو حَسَنٌ[2].

وعاشت عاتكة عند عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنها ـ معززة مكرمة، وقد أخذت منه العلم والزهد، وكان محباً لها معجباً بها، ويروي لنا الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ في كتاب الزهد، عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص قال:

«قدم على عمر ـ رضي الله عنه ـ مسكٌ وعنبرٌ من البحرين، فقال عمر: والله، لوددتُ أنّي وجدت امرأةً حسنة الوزن تزن لي هذا الطيب حتى أقسمه بين المسلمين. فقالت امرأته عاتكة بنت زيد ـ رضي الله عنها ـ أنا جيدة الوزن فهلّم أزن لك. قال: لا، قالت: لِمَ؟ قال: إنّي أخشى أنْ تأخذيه فتجعليه هكذا ـ أدخل أصابعه في صدغيه ـ وتمسحين به عنقك فضلاً على المسلمين[3].

وهذا ليس بغريب على أمير المؤمنين وقد عرفناه الزاهد العابد العادل وما كان لعاتكة إلا أن تتمثل بأخلاق زوجها الكريمة، وأدبه الإسلامي فقد كانت لا تخرج مع عمر لصلاة الجماعة في المسجد إلا بعد أن تستأذنه فيجيبها قائلاً: قد عرفت هوايَ في الجلوس «يعني كراهية خروجها»، فتقول له: لا أدعُ استئذانك، فكان لا يمنعها من الخروج إذا استأذنته. وبقيت سعيدة بقربه إلى أن قتل عمر بن الخطاب في المسجد فرثته عاتكة قائلة:

عيْــنُ جُــودِي بِعَبــرةٍ ونحيــبِ لا تملـي علـى الإمـامِ النَّجيـبِ
فَجَعَتني[4] المنُونُ بالفَارِس المُعْـ ـلَـمِ يَـوْمَ الهِيـاجِ والتلبيـبِ
عِصْمَةُ النَّاسِ والمَعِين عَلَى الدَّهْـ ـرِ وَغَيْثُ المَحْرُومِ[5] والمَحْرُوبِ

---

(١) سورة الصف (آية/ ٣).
(٢) الأغاني وفي الاستيعاب: أن عمر قال: ما دعاك إلى هذا يا أبا الحسن كل النساء يفعلن هذا.
(٣) الزهد (ص١٤٨) طبعة دار الكتب العلمية.
(٤) وردت في كتاب الأغاني «فجعنا».
(٥) وردت في أعلام النساء لكحالة والأغاني «المنتاب».

قُلْ لأَهْلِ الضَرَّاء والبؤس مُوتوا ... قَدْ سَقتهُ المَنُونُ كَأسَ شَعُوبِ[1]

وقالت أيضاً:

وفجّعنـــي فَيْــروزُ[2] ألا دَرَّ دَرُّهُ ... بِـأَبيـضَ تـالِ للكتَـابِ مُنيـبِ

رَؤوفٌ على الأدنَى غليظ على العِدَى ... أخـي ثِقَـةٍ فـي النَّـائِبَـاتِ مُجيـبِ

متى ما يَقُلْ لا يكْذِبِ القَولَ فِعْلُهُ ... سَريع إلى الخيراتِ غَيْرِ قَطُوبِ[3]

وقالت ترثيه أيضاً:

مِـنْ لِنَفْـسٍ عَـادَهـا أحـزانُهَـا ... ولِعَيْـنٍ شَفَّهـا طُـولُ الشَّهْـدْ

جسـدٌ لُفِّـف فـي أكفـانِـه ... رَحْمَـةُ الله علـى ذاك الجَسَـدْ

فيــه تفجيــعٌ لمــولــى غــارِمٍ ... لَـمْ يَـدَعْـهُ الله يَمْشـي بسَبَـد[4]

وقالت ترثيه:

منِـعَ الـرُّقـاد فعـاد عَينـي عيـدُ[5] ... ممَّـا تضمَّـن قَلْبـي المَعمـودُ

يـا ليلـةً حُبسـت علـيَّ نُجُـومُهـا ... فَسْهِـرْتُهـا والشـامتُـون هُجـودُ

قـد كـان يُسهِـرُنـي حِـذارُك مَـرَّةً ... فـاليـوم حـقَّ لعينـيَ التسهيـدُ

أبكـي أميـرُ المـؤمنيـن ودُونَـه ... لِلـزَّائـريـن صَفـائِـحٌ وصَعيـدُ

وبعد أن انقضت عدتها[6] تقدم لخطبتها الزبير بن العوام[7] فتزوجها ولما

---

(١) أسد الغابة لابن الأثير (ج٥/ ٤٩٨) الحماسة البصرية (ص٩٨)، وشعوب: المنية.

(٢) فيروز: هو أبو لؤلؤة المجوسي قاتل عمر.

(٣) تاريخ الطبري (ج٢: ٥٧٥)، البداية والنهاية (ج٧/ ١٤٥)، شاعرات العرب (ص٢٣٤و٢٣٥).

(٤) السبد: القليل من الشعر، يقال «ماله سبد ولا لبد» أي لا شعر ولا صوف، يقال لمن لا شيء له، ولم يدعه الله يمشي بسبد: ظل فقيراً لاشيء له.

(٥) ورد في أعلام النساء لكحالة «عود». عيد حزن وهم ومرض.

(٦) عدة المرأة المطلقة أو المتوفى زوجها: هي ما تعده من أيام أقرائها أو أيام حملها أو أربعة أشهر وعشر ليال في الوفاة، وثلاثة قروء في الطلاق.

(٧) الزبير بن العوام: صحابي شجاع، أحد العشرة المبشرين بالجنة وأول من سل =

تمَّ زواجهما قال: يا عاتكة لا تخرجي إلى المسجد وكانت امرأة عجزاء بادنة، فقالت: يا ابن العوام أتريد أن أدع لغيرتك مصلى صليت مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر فيه؟ قال: فإني لا أمنعك، فلما سمع النداء لصلاة الصبح توضأ وخرج، فاختبأ لها في سقيفة بني ساعدة، فلما مرَّت به ضرب بيده على عجيزتها، وهي لا تدري من هو ـ فقالت: ما لك قطع الله يدك ورجعت إلى بيتها واسترجعت(١)، فلما رجع من المسجد قال: يا عاتكة، ما لي لم أرك في مصلاك، قالت: يرحمك الله أبا عبدالله، فسد الناس بعدك، الصلاة اليوم في القيطون(٢) أفضل منها في البيت، وفي البيت أفضل منها في الحجرة.

وعندما كان يوم الجمل قتل الزبير بن العوام على يد عمرو بن جرموز سنة ٦٣ هـ بوادي السباع(٣) فرثته قائلة:

غـدَرَ ابـنُ جُـرمُـوزٍ بفـارس بهمـةٍ ... يَـومَ اللقـاءِ وكـانَ غَيْـرَ مُعَـرِّدِ(٤)

يـا عَمْـرُ ولَـوْ نَبَّهتَـهُ لَـوَجَـدْتَـهُ ... لا طائشاً رَعْشَ الجنانِ(٥) لا اليَدِ

شُلَّت يمينُكَ(٦) إنْ قتلتَ لمُسلماً ... حَلَّـتْ عليـكَ عُقُـوبَـةُ المتعمِّـدِ(٧)

إنَّ الـزُّبيـرَ لَـذو بـلاءٍ صـادقٍ ... سَمْـحٌ سجيَّتُـه كـريـمُ المشهـدِ

كـم غمـرةٍ قَـدْ خـاضهـا لـم يثنـهِ ... عَنْها طِرادك يا ابنَ فقعِ القِردَدِ(٨)

= سيفه بالإسلام وهو ابن عمة النبي ﷺ توفي سنة ٣٦٥هـ.

(١) قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٢) القيطون: المخدع.

(٣) يقع الوادي بين البصرة ومكة، يبعد عن البصرة خمسة أميال.

(٤) ابن جرموز: قاتل الزبير، وقد قتله غيله يوم الجمل، وقد وردت كلمة غير في نساء من عصر النبوة «خير». و«البهيمة» واحدة البهم وهي معضلات الأمور «المعرد»: من التعريد: وهو الفرار والهرب.

(٥) وردت في الأعلام لكحالة والأغاني «اللسان».

(٦) وردت في الأغاني «ثكلتك أمك». أما في الصحابيات لخالد العك «والله ربك». وثكلتك أمك: هبلتك أمك سب كان يجري على الالسنة قديماً.

(٧) وردت في الأعلام لكحالة «المستشهد».

(٨) الفقع: البيضاء الرخوة من الكمأة والقردد: ما ارتفع وغلظ من الأرض.

فاذْهَبْ فما ظفِرت يداك بمثلهِ   فيمنْ مَضَى مِمَّنْ يَرُوحُ ويغتدي[1]

وبعد مقتل الزبير تقدم لخطبتها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عند انقضاء عدتها فأرسلت إليه تقول: إني لأضنُّ بك يا ابن عم رسول الله عن القتل - أي والله أشفق عليك من القتل فهي لم تتزوج رجلاً إلا قتل.

فكان علي بن أبي طالب يقول: من أحب الشهادة الحاضرة فليتزوج عاتكة. ثم تزوجت الحسين بن علي بن أبي طالب، وعندما قتل كانت أول من رفع خده من التراب، ثم تأيمت[2] بعده، ويقال: إن مروان خطبها بعد الحسين فامتنعت عليه وقالت: ما كنت لأتخذ حماً بعد رسول الله ﷺ وقالت ترثي الحسين:

واحُسَيْنَا ولا نَسِيتُ حُسَيْناً   أَقْصَدَتْهُ[3] أسنَّةُ الأعداء
غادَرَوه بكَربَلاءَ صَريعاً   جَادَت المُزْنُ في ذُرَى كَرْبلاء[4]

عاشت عاتكة بعد ذلك عابدة زاهدة إلى أن توفيت سنة[5] ٤٠ هـ تقريباً.

---

(١) ورد في الصحابيات لخالد العك:
ثكلتك أمك إن ظفرت بمثله   ممن مضى ممن يروح ويغتدي
الأغاني وفي الاستيعاب أنها قالت:
غدر ابن جرموز بفارس بهمة   يوم اللقاء وكان غير معرد
ياعمرو لو نبهته لوجدته   لا طائشاً رعش الجنان ولا اليد
كم غمرة قد خاضها لم يثنه   عنها طرادك ياابن فقع القردد
والله ربك إن قتلت لمسلماً   حلت عليك عقوبة المتعمد
(٢) تأيمت: فقدت زوجها ولم تتزوج.
(٣) أقصدته: أصابته.
(٤) الأغاني: وفي معجم البلدان: أنها قالت:
وحسينا فلا نسيت حسينا   أقصدته أسنة الاعداء
غادروه بكر بلاء صريعاً   لا سقى الغيث بعده كربلاء
(٥) الأعلام للزركلي.

فاطمة البتول

هي فاطمة بنت محمد رسول الله ﷺ بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، أمها السيدة الكريمة خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب.

ولدت فاطمة ـ رضي الله عنها ـ بمكة المكرمة حيث كانت قريش تبني الكعبة المشرفة وذلك قبل النبوة بخمس سنين[1]، وهي أصغر بنات رسول الله عليه الصلاة والسلام وقد لقبها بالزهراء.

عاشت فاطمة الزهراء في بيت النبوة بظل أب عظيم وأم طاهرة كريمة فنشأت ـ رضي الله عنها ـ صابرة دينة شاكرة حامدة الله عز وجل، متخذة أباها ﷺ المثل الأعلى والقدوة الحسنة في حياتها فتأدبت بأدب النبوة وتميزت بالفصاحة وجزالة الكلام وقوة الرأي ولما بلغ رسول الله ﷺ بالرسالة من الله تعالى كانت فاطمة وأمها وأخوتها أول الناس تصديقاً له وقد شهدت العذاب والبلاء والإيذاء الذي واجهه والدها الكريم عليه الصلاة والسلام من قبل مشركي قريش فكانت تحاول قدر الإمكان دفع الأذى عنه، ففي إحدى المجالس الوثنية اتفق نفرٌ من أجلاف قريش أن يلقوا السّلا[2] على ظهر محمد ﷺ وهو ساجد، وتبرع عقبة بتنفيذ هذه المهمة ولما وصل الخبر إلى فاطمة البتول لحقت بأبيها وأخذت الأقذار عن ظهره وغسلت ما لحق به من أذى ثم أقبلت على العصبة الفاجرة، فسبتهم وشتمتهم.

---

(١) طبقات ابن سعد. وفي الاستيعاب لابن الأثير: أنها ولدت سنة ٤١ من مولد النبي ﷺ وفي شرح البخاري للعجلوني: أنها ولدت قبل البعثة بسبع سنين وستة أشهر.

(٢) السلا: هو ما يخرج مع ولد الناقة كالمشيمة لولد المرأة، ويكون به قذر ودماء.

وعندما كانت محنة الحصار والمقاطعة عانت فاطمة ـ رضي الله عنها ـ شدة الجوع وقد أثر في صحتها تأثيراً بالغاً ظلَّ يصاحبها إلى أن لقيت ربَّها. وبعد ذلك أذن الله بالهجرة إلى المدينة المنورة وكانت فاطمة الزهراء مع من هاجر إليها، وفي السنة الثانية تقدم لخطبتها علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وبنى عليها عقب غزوة بدر وقد أنجبت منه الحسن والحسين سبطي وريحانتي رسول الله ﷺ وزينب وأم كلثوم.

وعن أبي هريرة قال: نظر النبي ﷺ إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين فقال: «أنا حربٌ لمن حاربكم، سلمٌ لمن سالمكم»[١].

وقد دعا لهم نبي الله الكريم عليه الصلاة والسلام فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»[٢].

وكان رسول الله ﷺ إذا قدم من غزوٍ أو سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم يأتي فاطمة، ومن ثم أزواجه. وهذا دليل واضح على مدى حبه لها ومكانتها في قلبه ﷺ وتقول عائشة ـ رضي الله عنها ـ في ذلك ما رأيت أحداً من الناس كان أشبه بالنبي ﷺ كلاماً ولا حديثاً ولا جلسة من فاطمة ـ رضي الله عنها ـ وكان النبي عليه أفضل الصلاة والسلام إذا رآها أقبلت رحب بها، ثم قام إليها فقبلها، ثم أخذ بيدها فجاء بها حتى يجلسها في مكانه، وكان إذا أتاها ﷺ رحبت به، ثم قامت إليه فقبلته[٣].

وقال لها رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يرضى لرضاك ويغضب لغضبك»[٤]. وذكر أنه حصل بين فاطمة وعلي كلام وأن علي خطب ابنة أبي جهل فعلم بالأمر رسول الله ﷺ. فقام وقال: «إن فاطمة بضعة مني وإني أكره أن يسوءها، والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند

---

(١) مسند الامام أحمد (ج٢/ ٤٤٢)، والحاكم في المستدرك: (ج٣/ ١٤٩).
(٢) أخرجه مسلم: في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل البيت.
(٣) عن حياة الصحابة (ج٢/ ٤٩٩).
(٤) تهذيب التهذيب (ج١٢/ ٤٤٢)، الإصابة (ج٤/ ٣٦٦).

رجل واحد»[1]. وترك علي الخطبة فسر رسول الله ﷺ بذلك بسرور ابنته الحبيبة.

وقد روي عن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: أيُّنا أحبُّ إليك أنا أو فاطمة؟ قال: «فاطمة أحبُّ إليَّ منك، وأنت أعزُّ عليَّ منها».

ولتزداد فاطمة الزهراء فضيلة وبركة أنه لما عادها النبي ﷺ وهي مريضة فقال: «كيف تجدينك يا بنية»؟ قالت: إني لوجعةٌ، إنَّه ليزيدني أنِّي ما لي طعام آكله. قال: «يا بنية أما ترضين أنك سيدة نساء العالمين»؟ قالت: يا أبتِ فأينِ مريم بنت عمران؟ قال: «تلك سيدة نساء عالمها، وأنت سيدة نساء عالمك، أما والله لقد زوجتك سيِّداً في الدنيا والآخرة»[2].

واستمرت حياة فاطمة مع زوجها الكريم بسعادة وهناءة ومن قولها رضي الله عنها عندما كانت ترقص ولدها الحسين:

إن بنـــي شبـــه النبـــي   ليـــس شبيهـــاً بعلـــي

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنه ذكر عندما نزلت سورة النصر، دعا رسول ﷺ ابنته فاطمة فقال لها: إنَّه قد نُعيت إليه نفسه، فبكت، فقال: «لا تبكي فإنك أول أهلي لاحقاً بي» فضحكت[3] ولما ثقل به ﷺ المرض وجعل الموت يتغشاه قالت فاطمة ـ رضي الله عنها ـ واكرب أباه، فقال: «ليس على أبيك كربٌ بعد هذا اليوم».

وتوفي رسول الله ﷺ فبكت فاطمة عليه بكاءً شديداً وأخذت تقول: يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، يا أبتاه أجاب رباً دعاه يا أبتاه جنة الفردوس مأواه. وعندما دفن ﷺ قالت لأنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: يا أنس

---

(١) الحديث رواه البخاري ومسلم وأبو داوود والترمذي.
(٢) سير أعلام النبلاء (ج٢/ ١٢٦).
(٣) المصدر السابق (ج٢/ ١٣٢).

كيف طابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول الله ﷺ ثم بكت وقالت ترثيه:

اغبرَّ آفاقُ السماءِ وكُوِّرت ... شمسُ النهارِ وأظلمَ العَصْرانِ
الأرضُ مِنْ بعْدِ النبيِّ كئيبةٌ ... أسفاً عليه كثيرة الرجَفَانِ
فليبكه شرق البلاد وغربها ... ولتبكه مضر وكل يمان
وليبكه الطود العظيم جوده ... والبيت ذو الأستار والأركان
يا خاتم الرسل المبارك ضوءه ... صلى عليك منزل القرآن

ووقفت فاطمة على قبر أبيها عليه الصلاة والسلام فقالت:

قدْ كانَ بَعدَكَ أنْباءٌ وهنبثةٌ ... لو كنتَ شاهدها لَم تكثُرِ الخُطَب[1]
إنَّا فقدناكَ فَقْدَ الأرضِ وابِلَها ... وغابَ مُذْ غِبْتَ عنَّا الوَحْيُ والكُتُبُ[2]
فليتَ قبلكَ كانَ الموتُ صادفنا ... لما نعيتَ وحَالَتْ دونكَ الكُثُبُ

ومن رثائها أيضاً أنها لما وقفت على قبره ﷺ أخذت قبضة من تراب القبر فوضعتها على عينيها وبكت فأنشأت تقول:

ماذا على من شم تربة أحمد ... أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لو أنها ... صبت على الأيام صرن لياليا

وأورد ابن الأثير ـ رحمه الله ـ في كتابه (أُسْدُ الغابة) أن فاطمة ـ رضي الله عنها ـ ما رؤيت ضاحكة بعد وفاة رسول الله ﷺ حتى لحقت بالله عز وجل. وقد ذكر أن فاطمة طالبت بميراث أبيها من الخليفة الأول أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ فاعتذر إليها أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله، والله إن قرابة رسول الله أحبُّ إليَّ من قرابتي، وإنك لأحبُّ إليَّ من عائشة، ولوددتُ يوم مات أبوك أني مت ولا أبقى بعده؟ أفتراني أعرفك،

---

(١) الهنابث: الدواهي، واحدتها: هنبثة: وهي الأمور الشديدة والاختلاط في القول والخطب الخطوب أي الأمور العظيمة.

(٢) الوابل المطر الغزير، وقد ورد الشطر الثاني في بلاغات النساء لطيفور كذلك: واختل قومك فاشهدهم ولا تغب.

وأعرف فضلك وشرفك؟ وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله؟ إلا أني سمعته ﷺ يقول (لا نورث ما تركناه صدقة)[1].

وعكفت فاطمة البتول بعدها على العبادة وقد اشتد بها المرض وشعرت بدنو الأجل وشكت نفسها إلى أسماء بنت عميس ـ زوج أبي بكر رضي الله عنها ـ ما يدور في نفسها فقالت: يا أسماء إني أستقبح ما يصنع بالنساء يطرح على المرأة الثوب فيصفها. فقالت أسماء: يا بنة رسول الله ﷺ ألا أريك شيئاً رأيته بالحبشة؟ فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله. وقد ذكر عن فاطمة ـ رضي الله عنها ـ أقوال تثبت أنها كانت عظيمة دهرها وواحدة زمانها. ومن ذلك قول عائشة ـ رضي الله عنها ـ ما رأيت قط أحداً أفضل من فاطمة غير أبيها. وقول ابن الجوزي: أنه كان للنبي ﷺ بنات فضلتهن فاطمة وزوجات سبقتهن عائشة.

وفي شرح المصابيح لزين العرب: أن فاطمة سميت بتولاً لانقطاعها عن نساء الأمة فضلاً وديناً وحسباً. لقد روت فاطمة عن النبي ﷺ ثمانية عشر حديثاً أخرج لها منها في الصحيحين حديث واحد متفق عليه في مسند عائشة. وروى لها الترمذي وابن ماجة وأبو داود.

توفيت الزهراء ـ رضي الله عنها ـ ليلة الثلاثاء لثلاثٍ خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة من الهجرة. بعد وفاة رسول الله ﷺ بستة أشهر ولها من العمر تسع وعشرين سنة وكانت كما وعدها ﷺ أول أهله لحوقاً به وحزن عليها علي حزناً كبيراً وقال يرثيها:

لكل اجتماعٍ مِنْ خليلين فرقةٌ ... وكلُّ الذي دون الممات قليلُ
وإنَّ افتقادي فاطماً بعد أحمد ... دليلٌ على أنْ لا يدومَ خليلُ

رحم الله فاطمة الزهراء وبشراها بالجنة التي وعدها بها الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ.

---

(١) من كتاب تراجم سيدات بيت النبوة، عن طبقات ابن سعد وغيره (ص٦٣٣).

لبابة بنت الحارث (الهلالية الكبرى)

هي لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية الكبرى، أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب، خالة خالد بن الوليد، من فواضل نساء عصرها، أسلمت بمكة قديماً، بعد خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ.

هاجرت أم الفضل إلى المدينة بعد إسلام زوجها العباس بن عبد المطلب، وقد كان رسول الله ﷺ، يزورها ويقيل عندها!! فقد روى ابن سعد بإسناده عن زيد بن حسين أنه قال: ما وضع رسول الله ﷺ رأسه في حجر امرأة لا تحلُّ له بعد النبوّة إلاّ (أم الفضل) فإنها كانت تفلّيه وتحكّه، فبينما هي ذات يوم تكحله إذْ قطرت قطرةٌ من عينها على خده فرفع رأسه إليها، فقال: (مالك)؟! فقالت: إنَّ الله نعاك لنا فلو أوصيت بنا من يكون بعدك إن كان الأمر فينا أو في غيرنا!!؟ قال ﷺ: «إنّكم مقهورون مستضعفون بعدي»[1]!؟ ولعلَّ في هذا الحديث نظر إذ أن النبي معصوم من أن يضع رأسهُ في حجر امرأة أجنبية. . ! وروي أيضاً بإسناده إلى سماك بن حرب أنَّ أم الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب، قالت: يا رسول الله رأيت فيما يرى النائم كأنّ عضواً من أعضائك في بيتي!؟ فقال رسول الله ﷺ (خيراً رأيت!! تلدُ فاطمة غلاماً، وترضعه بلبان ابنك قثم)!!

قال: فولدت الحسين، فكفلته أمّ الفضل. . . قالت: فأتيت به رسول الله ﷺ. . . فهو ينّزيه ويقبّله إذ بال على رسول الله ﷺ، فقال: (يا أمّ الفضل! أمسكي ابني فقد بال عليّ)؟!. . . قالت فأخذته فقرصته قرصة بكى منها، وقلت: آذيت رسول الله بلت عليه؟ فلما بكى الصبي قال ﷺ: (يا أم الفضل آذيتني في بنيّ أبكيته)!!. . ثم دعا بما فحدَّره عليه حدراً ثم قال:

---

(١) الطبقات: لابن سعد (ج٨/ ٢٧٨).

(إذا كان غلاماً فأحدروه حدراً، وإذا كان جارية فاغسلوه غسلاً)[1].

وفي رواية عنده: فأجلسه في حجره فبال، فضربت بيدها بين كتفيه، فقال ﷺ: «أوجعت ابني أصلحك الله» أو «رحمك الله»!؟ فقلت: اخلع إزارك والبس ثوباً غيره كيما أغسله، فقال ﷺ: «إنَّما ينضح بول الغلام، ويغسل بول الجارية»[2] وفي الصحيح أنَّ النّاس شكوا في صيام النبي ﷺ يوم عرفة، فأرسلت إليه أمّ الفضل بقدح لبن، فشرب وهو بالموقف، فعرفوا أنّه لم يكن صائماً[3]. ولا يدل تصرفها هذا إلا على راجح عقلها، وحرصها على دينها، في سعيها بإزالة شكوك الصحابة في ذلك. وأما زوجها العباس ـ رضي الله عنه ـ فقد كان يكرمه رسول الله ﷺ ويعظمه ويجله، بعد إظهار إسلامه، ويقول: (هذا عمي وصنو أبي)[4]!!... لقد روت لبابة عن النبي ﷺ ثلاثين حديثاً أخرج لها منها في الصحيحين ثلاثة أحاديث أحدها متفق عليه، والثاني للبخاري، والثالث لمسلم. وروى عنها ابناها عبدالله وتمام، ومولاها عمير بن الحارث، وكريب مولى ابنها عبدالله بن عباس، وعبدالله بن الحارث بن نوفل، وآخرون[5]...

وقالت لبابة وهي ترقص ابنها عبدالله بن العباس:

ثكلتُ نفسي وثكلت بكري إن لم يَسُدْ فِهْراً وغير فهر
بالحسب العد وبذل الوفر حتى يُوارى في ضريح القبر

توفيت لبابة قبل زوجها العباس بن عبد المطلب، في خلافة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنهم ـ وأرضاهم.

---

(١) الطبقات: لابن سعد (ج٨/ ٢٧٩).
(٢) الطبقات: لابن سعد (ج٨/ ٢٧٩)، وأخرجه أحمد: في مسنده (ج٦/ ٣٣٩)، وهو في السنن في أبواب الطهارة.
(٣) الإصابة: لابن حجر (ج١٣/ ٢٦٦).
(٤) الاستيعاب: لابن عبد البر (ج٦/ ٣ـ٩)، على هامش الإصابة، وأسد الغابة: لابن الأثير (ج٣/ ١٠٩ـ١١١)، والإصابة : لابن حجر (ج٥/ ٣٢٨ـ٣٢٩).
(٥) أسد الغابة: لابن الأثير (ج٥/ ٥٣٩ـ٥٤٠)، الإصابة: لابن حجر (ج١٣/ ٢٦٥ـ٢٦٦) والطبقات: لابن سعد (ج٨/ ٢٧٧).

ليلى العامرية

هي ليلى بنت مهدي بن سعد بن ربيعة، أم مالك من بني كعب بن ربيعة، من فضليات نساء عصرها وأجملهن وأحسنهن جسماً وعقلاً وأفضلهن أدباً، وأملحهن شكلاً.

صاحبة «المجنون» قيس بن الملوح بن مزاحم المعروف «بمجنون ليلى» وهو من أجمل فتيان قومه، وأظرفهم، وأرواهم لأشعار العرب.

وسبب عشقهما أنه أقبل ذات يوم على امرأة يقال لها: كريمة، وحولها نسوة يتحدثن، فيهن ليلى وقد دعونه للحديث معه وبينما هم كذلك طلع عليهن فتى عليه بردةٌ يقال له: منازل، فأقبلن عليه وتركن المجنون فغضب وخرج من عندهن، وفي الصباح خرج قيس وإذ بليلى قاعدة بفناء بيتها وقد علق حبه بقلبها وهويته، فدعته للنزول وأخذت تحدثه، فبينما هي كذلك أقبل فتىً من الحي، فدعته وسارته سراراً[١] طويلاً، ثم انصرف ونظرت إلى وجه قيس فوجدته قد تغير، وانتقَع[٢] لونه، فشق عليها فعلها، وأنشأت تقول:

كِـلانـا مُظهِـرٌ للنـاس بُغْضـاً ... وكـلٌّ عنـد صـاحبـه مكيـنُ[٣]
تبلغُنـا العيـونُ بمـا أَرَدْنـا ... وفـي القلبيـن ثَـمَّ هـوىً دفيـنُ
وأسـرارُ اللـواحـظِ ليـسَ تَخْفَـى ... وقـد تُغْـري بـذي الخطـا الظُنُـونُ
وكيـفَ يَفُـوتُ هـذا النَّـاسَ شـيءٌ ... ومـا فـي النَّـاسِ تُظْهِـرُهُ العُيـونُ

(١) سراراً: مصدر ساره في أذنه مسارة وسراراً.
(٢) انتقع: تغير لونه.
(٣) فلان مكين عند فلان: بين المكانة.

فلما سمع ذلك شهق شهقةً شديدة وأغمي عليه، فمكث على ذلك ساعة، ونضحوا الماء على وجهه حتى أفاق، ومن هنا تمكن حُبُّ كلٍّ واحدٍ منهما في قلب صاحبه حتى بلغ منه كل مبلغ.

لقد كان المجنون وليلى يرعيان الغنم لأهلهما عند جبل في بلادهما يقال له: التوباد وهم حينئذٍ صبيان، وعلق[١] كل واحد منهما صاحبه، فلم يزالا كذلك حتى كبرا فحجبت عنه فقال:

تعلقتُ ليلى وهي ذات ذؤابةٍ[٢] ولم يَبْدُ للأتراب[٣] من ثَدْيها حجمُ
صغيرين نرعى البُهْمَ[٤] يا ليت أننا إلى اليومِ لم نكبرْ ولم تكبرِ البُهْمُ

ومن أخبار عشقهما أن ليلى دخلت على جارة لها من عقيل وفي يدها سواك تستاك به، فتنفست ثم قالت: سقى الله من أهدى لي هذا السواك فقالت لها جارتها: ومن هو؟ قالت قيس بن الملوح، ثم نزعت ثيابها تغتسل فقالت ويحه لقد علق مني ما أهلكه من غير أن أستحق ذلك، فنشدتك أصدق في صفتي أم كذب. فقالت: لا والله بل صدق. وبلغ قيساً قولها فبكى وقال شعراً.

وعندما سئل قيس بن الملوح عن أعجب شيء أصابه في وجد ليلى؟ قال: طرقنا ذات ليلة أضيافٌ، ولم يكن عندنا أدم، فذهبت لمنزل أبي ليلى، أطلب منه أدماً، فلما خرجت ليلى، كي تملء إنائي سمناً، فجعلت تصبُّ السمن فيه ونتحدث، فألهانا الحديث وهي تصبُّ السمن وقد امتلأ القعب[٥] فأخذ يسيل حتى استنقعت أرجلنا من السمن. وأتيتهم ليلة أطلبُ ناراً، فأخرجت لي ناراً في عُطبة[٦]، فأخذتها، ووقفنا نتحدث فلما احترقت

---

(١) علق: أحب.
(٢) الذؤابة: شعر الناصية وهي شعر مقدم الرأس إذا طال.
(٣) الأتراب ما يماثلها في السنّ.
(٤) البهم: أولاد الغنم والبقر والمعز. الواحدة بهمة.
(٥) العقب: القدح الضخم الغليظ.
(٦) العطبة: خرقة تؤخذ بها النار.

العطبة خرقت من بُردي خِرقة، فلم يبق عليَّ إلا ما يواري عورتي، وما أعقِلُ ما أصنع. لقد اشتهر أمر العاشقين المتيمين بين الناس، وأخذت تقول عليهم الأقاويل، حتى وصلت بهم الجرأة أن يتهموا قيساً بأنه قد أفحش بشعره عن ليلى، وغضبت ليلى لذلك، فكيف لحبيبها أن يقول مثل ذلك، وعندما بلغها السلام منه على لسان قيس بن الذريح، أجابته: ما كنت أهلاً للسلام والتحية لو علمت أنك رسوله، قل لقيس بن الملوح عني: أرأيت قولك:

أبَتْ ليلةٌ بالغيلِ[1] يا أمَّ مالكٍ لكم غير حبٍّ صادق ليس يكذبُ
ألا إنما أبقيت يا أمَّ مالكٍ صدىً[2] أينما تذهب به الريح يذهبُ

أخبرني عن ليلة الغيل، أي ليلة هي؟ وهل خلوت معك في الغيل أو غيره ليلاً أو نهاراً؟ فقال لها قيس بن الذريح: يا بنة عم، إنَّ النَّاسَ تأوَّلوا كلامه على غير ما أراد، فلا تكوني مثلهم، إنما أخبر أنه رآك ليلة الغيل فذهب بقلبه، لا أنه عناك[3] بسوء. فأطرقت طويلاً، ودموعها تجري وهي تكفكفها، ثم انتحبت حتى ظنَّ أنه تقطعت حيازيمها[4]، ثم قالت: اقرأ على ابن عمي السلام، وقل له: بنفسي أنت! والله إن وجدي بك لفوقَ ما تجدُ، ولكن لا حيلة لي فيك، فانصرف إلى قيس ليخبره فلم يجده! ولما ذهب قيس بن الملوح لخطبة ليلى، وقد بذل لها خمسين ناقةً حمراء، رفض والدها، كما أنه أراد تزويجها من رجل غيره، فكيف يعطي ابنته لرجل شهر بها، وبلغ الخبر قيساً، فيئس وأشرف على الهلاك، وخر مغشياً عليه، ثم أفاق فاقداً عقله، حتى أنه لا يلبس ثوباً إلا خرقة، ولا يمشي إلا عارياً، ويلعب بالتراب ويجمع العظام حوله، فإذا ما ذكرت له ليلى أنشأ

---

(١) الغيل: اسم وادٍ لبني جعدة.
(٢) الصدى: يطلق على الرجل النحيف الجسد.
(٣) عناك: قصدك.
(٤) حيازم: جمع حيزم، وهو الصدر أو أوسطه.

يحدث عنها عاقلاً ولا يخطيء حرفاً، وترك الصلاة، فإذا قيل له:

ما لك لا تصلي! لم يرد حرفاً، فحبسه أهله وقيدوه، فأخذ يعض على لسانه وشفتيه، حتى خشي عليه، فأخلوا سبيله، ليهيم على الأرض، باحثاً عن ذكريات ليلى وآثار بيتها التي تركته بعد أن أهدر قومها دمه.

وكان حزن أهله عليه كثيراً فاجتمع أبو قيس وأمه، ورجال عشيرته إلى أبي ليلى، فوعظوه وناشدوه الله والرحم أن يقبل بزواج ابنته من قيس، لكنه رفض وقال: أفضح نفسي وعشيرتي وآتي ما لم يأته أحد من العرب وأسم[1] ابنتي بميسم فضيحة. فانصرفوا عنه، ومن ثم زوجها كرهاً من رجل في قومها. فازداد قيس يأساً وزال عقله، فحزن عليه أهله كثيراً، ولما أخذه أبوه إلى الكعبة ليسأل الله عز وجل أن يعافيه من حب ليلى، فما كان من قيس إلا أن تعلق بأستار الكعبة وصار يقول: اللهم زدني لليلى حباً، وبها كلفاً، ولا تنسني ذكرها أبداً. فهام حينئذٍ واختلط[2]. وأما ليلى فكانت في عشقها تتضور ألماً وشوقاً مثله، أو ربما أكثر منه وقد قالت في قيس:

لم يكُنِ المجْنُونُ في حالةٍ ... إلا وقد كُنتُ كما كانْ
لكِنَّه باحَ بِسرِ الهوى ... وإنني قد ذُبتُ كِتمانا

وعن أشياخ من بني مرة قالوا: خرج منا رجلٌ إلى ناحية الشام والحجاز في طلب بغيةٍ له، فإذا هو بخيمة قد رُفعت له وقد أصابه المطرُ فنزل إليها وتنحنح فإذا امرأة قد كلمته فقالت: انزل، فنزل. فقالت: سلوا هذا الرجل من أين أقبل، فقال: من ناحية تهامة ونجد، فقالت: ادخل أيها الرجل، فدخلت إلى ناحية من الخيمة فأرخت بينها وبينه ستراً ثم قالت له: يا عبدالله، أي بلادِ نجدِ وطئتَ؟ فقال: كلها، قالت: فبمن نزلت هناك؟ قال: ببني عامر، فتنفست الصعداء ثم قالت: فبأي بني عامر نزلت؟ فقال: بني الحريش، فاستعبرت ثم قالت: فهل سمعت بذكر فتىً منهم يقال له:

---

(١) أسم: أصف.
(٢) فسد عليه عقله.

قيس بن الملوح ويلقب بالمجنون؟ قال: بلى والله وعلى أبيه نزلتُ، وأتيته فنظرتُ إليه يهيم في تلك الفيافي، ويكون مع الوحش لا يعقل إلا أن تُذكَر له امرأة يقال لها ليلى، فيبكي وينشد أشعاراً قالها فيها. فرفعت الستر الذي بينه وبينها فشاهد الرجل فلقة قمر لم تر عينه مثلها، فبكت حتى ظن أن قلبها قد انصدع. فقال لها: أيتها المرأة اتقِ الله فما قلتُ بأساً، فمكثت طويلاً وهي تبكي وتنحب ثم قالت:

ألا ليت شعري والخطوبُ كثيرةٌ   متى رَحْلُ قيسٍ مستقلٌّ فراجعُ[1]
بنفسيَ من لا يستقل برحله   ومن هو إن لم يحفظ الله ضائعُ

وبكت حتى سقطت مغشياً عليها، فقال لها: من أنت يا أمة الله؟ وما قصتك؟ قالت: أنا ليلى صاحبته المشؤومة والله عليه، غيرُ المؤنسة له، فما رأيت مثل حزنها، ووجدها عليه قط. وقال بعض مشايخ بني عامر[2]: إنه مر المجنون في توحشه فصادف حي ليلى راحلاً ولقيها فجأة، فعرفها وعرفته، فصعق وخر مغشياً على وجهه، فأقبل فتيان الحي ومسحوا التراب عن وجهه وسألوا ليلى أن تقف له، فرقت حين رأت ما به، وقالت: أما هذا فلا يجوز أن أفتضح به، ولكن اذهبي يا وليدة[3] وقولي لقيس: إن ليلى تقرأ عليك السلام، وتقول لك: أعْزِزْ عليَّ ما أنتَ فيه، ولو وجدتُ سبيلاً إلى شفاء دائك لوقيتك بنفسي منه، فمضت الوليدة، وأخبرته بقولها، فأفاق وقال: أبلغيها السلام وقولي لها: هيهات! إن دائي ودوائي أنت، وإنّ حياتي ووفاتي لفي يديك، ولقد وكلتِ بي شقاءً لازماً، وبلاءً طويلاً، ثم بكى وأنشأ يقول:

أقولُ لأصحابي هي الشمسُ ضَوؤُها   قريبٌ ولكن في تناولها بُعْدُ

---

(١) «الشعر والشعراء»: (ص٤٧١). و«مصارع العشاق»: (ج١/ ٣٣) استقل القوم: ذهبوا وارتحلوا.
(٢) الأغاني: (ج٢/ ٦٤).
(٣) الوليدة: الجارية.

لقد عارضتنَا الريح منها بنفحةٍ على كبدي من طيب أرواحها بردُ
فما زلتُ مغشياً عليَّ وقد مَضَتْ أنـاةٌ ومـا عنـدي جـوابٌ ولا ردُّ

لقد عانى قيس من الحب كثيراً وعانت ليلى أيضاً، فقد اختلط عقل قيس وترك الطعام والشراب، ففاض قلب أمه حزناً وأساً عليه، فما كان لها إلا أن مضت إلى ليلى فقالت: إن قيساً قد ذهب بعقله وترك الطعام والشراب، فلو جئته وقتاً لرجوتُ أن يثوب إليه بعض عقله، فقالت ليلى: أما نهاراً فلا، لأنني لا آمن قومي على نفسي ولكن ليلاً فأتته ليلاً فقالت له: يا قيسُ، إن أمك تزعم أنك جُننت من أجلي وتركت المطعم والمشرب، فاتقِ الله وأبقِ على نفسك وبكت فقالت:

أخبرتُ أنَّك من أجلي جُننت وقدْ فارقت أهلكَ لم تَعقِلْ ولم تُفِقِ

فبكى وقال لها:

قالت جُننتَ على أيشٍ فقلت لها الحـبُّ أعظـمُ ممـا بـالمجـانيـن
الحبُّ ليس يفيق الدهرَ صاحبُه وإنما يُصرَعُ المجنونُ في الحينِ

فردت عليه قائلة:

نفسي فداؤكَ لو نفسي ملكتُ إذن مـا كـانَ غيـرُك يجـزيهـا ويُـرضيهـا
صَبْراً على ما قَضَاهُ الله فيكَ على مَرارةٍ في اصطباري عنكَ أُخْفيها

قال: فبكت معه، وتحدثا حتى كاد الصبح أن يُسفِرَ، ثم ودعته وانصرفت، فكان آخر عهده بها.

فلم يزل مجنون ليلى على ندبه، وهيامه حتى وافته المنية في واد كثير بالحجارة، فأخذه أهله فغسلوه وكفنوه ودفنوه، ولم تبق فتاة من بني جعدة ولا بني الحريش إلا خرجت حاسرة صارخة عليه تندبه، وحضرت ليلى وأبوها فكان أشد القوم جزعاً وبكاءً عليه وقال أبو ليلى: ما علمنا أن الأمر يبلغ كل هذا ولكني امرؤٌ عربي أخاف من العار وصَبيح الأحدوثة ما يخافه مثلي فزوجتها وخرجت عن يدي ولو علمت أن أمره يجري على هذا ما أخرجتها عن يده ولا احتملت ما كان علي في ذلك، واسترجع وعلم أنه

قد شارك في هلاكه، وبينما هم يقلبون قيساً وجدوا خرقة معه قد كتب فيها:

ألا أيها الشيخ الذي ما بنا يرضى شقيت ولا هنيت من عيشك الغضا
شقيت كما شقيتني وتركتني أهيم من الهلال لا أُطعم الغمضا

وقالت ليلى في قيس:

باحَ مجنُونُ عامرٍ بِهَواهُ وكَتمْتُ الهوى فَمِتُّ بوَجْدي
فإذا كانَ في القيامَةِ نُودي مَنْ قَتيل الهوى تقدَّمتُ وحدي

قيل لليلى: هذا قيس مات لما به من عشقك قالت: ولقد خفت والله أن أموت بذلك فيه، قيل لها: فما عندك حيلة تخفف ما به؟ قالت: صبري وصبره، أو يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

يذكر البعض أنه توفي المجنون سنة (٦٨هـ)[١]، والبعض سنة (٨٠هـ)[٢]، ويقول بعضهم: إن ليلى توفيت قبله، والبعض إنها توفيت بعده بقليل.

* * *

(١) الأغاني (ج٢/ص١٢) وما بعدها.
(٢) قصص العرب (ج٤/ ١٤٦).

نائلة بنت الفرافصة

هي نائلة بنت الفرافصة[1] بن الأحوص بن عمرو، وقيل ابن عفر بن ثعلبة وقيل: عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمم بن عديّ بن جناب الكلبية خطيبة شاعرة، من ربّات الفصاحة والبلاغة، والرأي والعقل والشجاعة والجمال والكمال.

تزوجت من أمير المؤمنين عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ وذلك أن سعيد بن العاص[2] تزوج من هند بنت الفرافصة بنت الأحوص فبلغ الأمر عثمان، فكتب إليه:

«بسم الله الرحمن الرحيم»

«أما بعد، فإنه قد بلغني أنك تزوجت امرأة من كلب، فاكتب إليَّ بنسبها وجمالها».

فكتب إليه سعيد:

(أما بعد، فإن نسبها أنها بنت الفرافصة بن الأحوص. وجمالها أنها بيضاء مديدة القامة والسلام). فكتب إليه عثمان: (إن كانت لها أخت فزوِّجنيها). فبعث سعيد إلى أبيها خاطباً إحدى بناته على عثمان فأرسل

---

(١) جاء في (لسان العرب) أن كل مافي العرب فرافصة بضم الفاء إلا فرافصة أبي نائلة امرأة عثمان، رحمه الله، بفتح الفاء لا غير. الفُرافص: بالضم: الأسد الشديد الغليظ كافُرافصة، والسبع الغليظ، والرجل الشديد البطش.

(٢) سعيد بن العاص: صحابي من الأمراء المولدة الفاتحين، ربي في حجر عمر بن الخطاب، ولاه عثمان بالكوفة، توفي سنة ٥٩ هـ صحيح بخاري (٩/ ١٤) في فضائل القرآن.

الفرافصة وكان نصرانياً إلى ابن له يدعى ضباً أن زوج أختك أمير المؤمنين فأنت على دينه - أي مسلم - وقبل أن تترك السماوة[١] لتذهب إلى المدينة المنورة عند زوجها أوصاها والدها قائلاً لها: إنك تقدمين على نساء من نساء قريش هن أقدر على الطيب منك فاحفظي عني خصلتين تكحلي وتطيبي بالماء حتى يكون ريحك ريح شن أصابه مطر[٢].

ثم حملت إلى المدينة فكرهت الغربة، وحزنت لفراق أهلها فقالت:

ألسْتَ تَرى يا ضَبُّ بالله أنَّني	مُصاحِبةٌ نحوَ المدينةِ أرْكُبا
إذا قطعوا حَزْناً تَخُبُّ[٣] رِكابُهُم	كما زَعْزَعَتْ ريحٌ يَرَاعاً مُثَقَّباً[٤]
لقد كانَ في أبناء[٥] حِصْنِ بنِ ضَمْضَمٍ	لكَ الويلُ ما يُغني الخِباءَ المُطَيَّنا[٦]
أبى الله إلا أن تكوني غريبةً	بيثربَ لا تلقَيْنَ أمّاً ولا أباً[٧]

ولما قدمت على عثمان - رضي الله عنه - سنة ٨٢ هـ قعد على سريره، ووضع لها سريراً حياله، فجلست عليه، فوضع عثمان قلنسيته، فبدا الصلع. فقال: يا ابنة الفرافصة، لا يهولنك ما ترين من صلعي، فإن وراءه

---

(١) السماوة: موضع بين الكوفة والشام، وهي برية معروفة.

(٢) شن: وعاء الطيب، حتى تكون ريحك كريح الشباب المطهرين.

(٣) وردت في نساء من عصر النبوة «تحتُّ» وفي أعلام النساء لكحالة «تحت».

(٤) الحزن جمع حزن وحزون ما غلظ من الأرض وقلما يكون إلا مرتفعاً. خب الفرس في عدوه: رواح بين يديه ورجليه أي قام على إحداهما مرة وعلى الأخرى مرة ومنه المثل: «إما خبت وإما بركت». اليراع: القصب.

(٥) وردت في نساء من عصر النبوة: فتيان.

(٦) وردت في الشطر الثاني لنفس المرجع السابق على النحو التالي:
وجدك ما يغني الخباء المجبى

(٧) وردت الأبيات في الأغاني ومعجم البلدان أنها تخاطب أخاها:

أحقاً تراه اليوم يا ضبُّ أنني؛	مصاحبة نحو المدينة أركبا
لقد كان في فتيان حصن بن ضمضم	لك الويل ما يجري الخباء المحجبا
قضى الله حقاً أن تموتي غريبة	بيثرب لا تلقين أماً ولا أباً

ما تحبين. فسكتت. فقال: إما أن تقومي إليَّ، وإمَّا أن أقوم إليك. فقالت: أما ما ذكرت من الصلع، فإني من النساء أحبُّ بعولتَهنَّ إليهن السادة الصلع. وأما قولك: إمَّا أن تقومي إليَّ، وإما أن أقوم إليك، فوالله ما تجشَّمت من جنبات السماوة أبعد مما بيني وبينك، بل أقوم إليك، فقامت، فجلست إلى جنبه، فمسح رأسها، ودعا لها بالبركة ثم قال لها: اطرحي عنك رداءك، فطرحته، ثم قال لها: اطرحي خمارك، فطرحته، ثم قال لها: انزعي درعك[1] فنزعته، ثم قال: حلي إزارك. فقالت: ذاك إليك فحل إزارها، فكانت من أحظى نسائه عنده. وقد أنجبت منه ابنة يقال لها: مريم بنت عثمان[2].

وفي رواية أخرى[3]: عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش عن عبد الملك بن عمير أن عثمان بن عفان لما تزوج نائلة بنت الفرافصة حملت إليه من الشام فلما دخلت عليه قال لها: لا تكرهين ما رأيت من شيبي فقالت إني من نسوة أحبُّ أزواجهن إليهن الكهل السيد. قال: إني قد جاوزت التكهيل فأنا شيخ. قالت أبليت عمرك في الإسلام ونصرة رسول الله ﷺ في خير ما أفنيت فيه الأعمار، قال: أتقومين إلي أم أقوم إليك، قالت: ما قطعت إليك عرض السماوة أكثر من عرض البيت بل أقوم إليك، قال: اخلعي درعك، قالت: أنت وذاك.

عاشت الزوجة المخلصة والوفية في كنف زوجها الكريم عيشة هنية رضية تتردد على عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ فروت عنها وعن زوجها عثمان، وروى عن نائلة: النعمان بن بشير الأنصاري وأم هلال بنت وكيع وغيرها.

ومن مروياتها ـ رضي الله عنها ـ قالت: أمَّتْنا عائشة صلاة فقامت

---

(١) الدرع: القميص.
(٢) عيون الأخبار (ج٤/ ٤٦ـ٧٦) الأغاني (ج١٥/ ٦٧) البداية والنهاية (ج٧/ ٢٣٠).
(٣) بلاغات النساء لطيفور (ص١٣٨).

وسطاً[1]. وأخذت نائلة مكانتها بين النساء المسلمات الشهيرات، حتى أن زوجها عثمان كان يأخذ برأيها ويتبع نصحها، لما رأى من حبها ووفائها له وأكثر ما يظهر إخلاصها وعظيم حبها عندما حاولت أن تفدي بنفسها زوجها حاول بعضهم قتل عثمان سنة ٣٥ هـ، فما كان لها إلا أن انكبت عليه واتقت السيف بيدها فتقطعت أصابعها، ولكن السيف كان أسرع إلى بطن زوجها فقتل. حزنت نائلة على زوجها الحبيب حزناً شديداً، واعتدت لأجله أربعة أشهر وعشرة أيام، لا تتجمل فيها، ولا تزدان، ولم تفارق داره.

وقد كان لنائلة مبسماً جميلاً، ولهذا أخذت فِهراً دقت به أسنانها فسال الدم على صدرها. فبكى جواريها وقلن لها: ما صنعت بنفسك؟ قالت: إني رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب وإني خفت أن يبلى حزني على عثمان فيطلع مني رجل على ما اطلع عثمان وذلك ما لا يكون أبداً[2].

وقالت ترثي زوجها عثمان رضي الله عنه:

ألا إنَّ خَيْرَ النـاس بعـد ثـلاثـةٍ[3] قَتِيلُ التُّحيبي الذي جاءَ مِنْ مِصرِ
ومـا لِـيَ لا أبكـي وتبكـي قَـرابتـي وقد غُيِّبَتْ عنَّا فُضُولُ أبي عَمْرو[4]

وقد روت المصادر أن الله عز وجل أكرمها بدعوة مستجابة حين صفعها رجل على وجهها فدعت بدعوة عليه قائلة: يبّس الله يدك[5]، وأعمى بصرك، ولا غفر لك ذنبك فقال الرجل الذي دعت عليه: فوالله ما خرجت من الباب حتى يبست يدي، وعمي بصري، وما أرى الله يغفر لي ذنبي. إن

---

(١) الطبقات لابن سعد (ج٨/ ٤٨٣).

(٢) تاريخ ابن عساكر. وفي العقد الفريد: والله لا قعد مني رجل مقعد عثمان أبداً.

(٣) (ثلاثة): تريد رسول الله ﷺ، وأبا بكر الصديق، وعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما.

(٤) ورد في شاعرات العرب (ص٤٤٠)أنه يقال إن تلك الأبيات للوليد بن عقبة تمثلت بهما نائلة.

(٥) وفي رواية أنها قالت له: أشل الله يمينك وصلى وجهك النار.

لنائلة براعة في الكلام والكتابة وفناً في الخطابة تحرك في نفوس سامعيها المشاعر والأحاسيس وخاصة خطبتها التي ألقتها بعد وفاة زوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه عندما توجهت إلى مسجد النبي الكريم عليه الصلاة والسلام فاستقبلت القبلة بوجهها، وقد سدلت ثوبها على وجهها، وألقت كمها على رأسها حتى آذنوها باجتماع الناس، فحمدت الله عز وجل وأثنت عليه، وصلت على النبي ﷺ وخطبت خطبة طويلة وهذا بعض ما قالته: «عثمان ذو النورين قتل مظلوماً بينكم بعد الاعتذار وإن أعطاكم العتبى[١]، معاشر المؤمنة، وأهل الملة، لا تستنكروا مقامي، ولا تستكثروا كلامي، فإني حرى عبري، رزئت جليلاً وتذوقت ثكلاً[٢]، من عثمان بن عفان ثالث الأركان[٣] من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام في الفضل عند تراجع الناس في الشورى يوم الإرشاد فكان الطبيب المرتضى المختار، حتى لم يتقدمه متقدم ولم يشك في فضله متأثم».

وقالت أيضاً: «ولتذكرن بعدها عثمان ولا عثمان، وكيف بسخط الله من بعده، وأين كنتم كعثمان ذي النورين منفس الكرب زوج بنت رسول الله ﷺ وصاحب البرمد ورومة هيهات والله ما مثله بموجود ولا مثل فعله بمعدود). وبعد أن انتهت من كلامها، أقبلت بوجهها على قبر النبي ﷺ فقالت اللهم اشهد:

أيـا قَبْـر النَّبـيِّ وصـاحبيـه ... عذيري إنْ شَكوتُ ضياع ثوبي[٤]

فـإنِّـي لا سبيـلَ فتنفعـونـي ... ولا أيديكم في منع حوبي[٥]

---

(١) الرضا.

(٢) الثكل: فقد الحبيب.

(٣) تريد أنه ثالث الخلفاء الراشدين.

(٤) عذيري: أي من عذيري أي نصيري. وضياع ثوبها عن فقدها زوجها لأن الزوج ستر والثوب ستر.

(٥) الحوب: الحزن والوحشة.

ثم انصرفت باكية مسترجعة وتفرق الناس مع انصرافها. ثم كتبت نائلة إلى معاوية بن أبي سفيان وقد أرسلت بقميص عثمان مضرجاً بالدم وبعثت بأصابيعها المقطوعة وهذا بعض مما كتبته نائلة: (أما بعد فإني أذكركم بالله الذي أنعم عليكم، وعلمكم الإسلام، وهداكم من الضلالة، وأنقذكم من الكفر، ونصركم على العدو، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرةً وباطنة، وأنشدكم الله، وأذكركم حقَّه، وحقَّ خليفته الذي لم تنصروه، وبعزمة الله عليكم فإنه قال: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾[1]. ثم تابعت النص بوصفها مقتل عثمان ودخول القوم عليه ملتمسة من معاوية العون. وقد ورد أن معاوية بن أبي سفيان خطبها بعد وفاة عثمان ـ رضي الله عنه ـ فأبت وأنشأت تقول:

أبى الله إلا أن تكون غريبة   بيثرب لا تلقين أماً ولا أبا

وبقيت نائلة بنت الفرافصة عافة عن الزواج بعد عثمان ـ رضي الله عنه ـ وفاءً له وإبقاءً لذكراه إلى أن توفيت.

* * *

انتهى

(١) الحجرات: (الآية/ ٩).

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



